



مَجَلَّةُ جَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى

لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية

العدد (٥٦)

رمضان ١٤٣٣هـ / أغسطس ٢٠١٢م

رقم الإيداع ١٤٣٣/٢٥٥ تاريخ ١٥/٩/١٤٣٣هـ / ردمد ٤٦٤٣-١٦٥٨

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هيئة الإشراف والتحرير

المشرف العام

معالي مدير الجامعة

د. بكري بن معتوق عساس

نائب المشرف العام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

د. هاني بن عثمان غازي

رئيس هيئة التحرير

أ.د. عبدالله بن سعيد الغامدي

هيئة التحرير

- | | |
|-------|-----------------------------------|
| عضواً | أ.د. عبدالله بن حاسن الجابري |
| عضواً | أ.د. يحيى بن محمد زمزمي |
| عضواً | أ.د. محب الدين بن عبدالسبحان واعظ |
| عضواً | أ.د. ناصر بن محمد مشري الغامدي |
| عضواً | أ.د. صالح بن عبدالله الفريح |
| عضواً | أ.د. احمد بن إبراهيم الحبيب |
| عضواً | د. عبدالله بن محمد القرني |
| عضواً | د. إحسان بن صالح المعتاز |
| عضواً | د. علي بن صالح المحمادي |

المحتويات

رابعاً: الدعوة:

- التفاعل الدعوي بين الداعية والمدعو (مفهومه، مجالاته، مقوماته)
د. هند مصطفى شريقي ١١ - ١٠٤

خامساً: الاقتصاد الإسلامي:

- التنمية الريفية في الاقتصاد الإسلامي
أ.د. محمد بن سعيد ناحي الغامدي ١٠٧ - ١٦٢

سادساً: التاريخ والحضارة الإسلامية:

- وظائف المسجد النبوي في العصر المملوكي
د. عائض بن محمد الزهراني ١٦٥ - ٢٤٢
- الاهتمام بالبيئة في عهد رسول الله ﷺ "العهد المدني دراسة تحليلية"
د. نورة بنت أحمد بن حامد الحارثي ٢٤٣ - ٣٠١

رابعاً: الدعوة

**التفاعل الدعوي بين الداعية والمدعو
(مفهومه ، مجالاته ، مقوماته)**

إعداد

د. هند مصطفى شريقي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة طيبة بالمدينة المنورة

التفاعل الدعوي بين الداعية والمدعو

(مفهومه ، مجالاته ، مقوماته)

إعداد

د. هند مصطفى شريفي

ملخص:

التفاعل الدعوي هو حدوث تجاوب فكري نفسي وسلوكي بين طرفي العملية الدعوية، ينتج عنه استجابة المدعو وتأثره بالداعية، وتحقق نتائج حقيقية مرضية، ومن آثاره: زيادة حيوية الداعية والمدعو، وإبعاد الفتور عنهما، ويساعد على تكوين الاتجاهات الإيجابية نحو الدعوة والدعاة، ومن مجالاته: المجال الإيماني المتعلق بعقيدة الإنسان، والتي تشعره بعظمة الله، وتكسبه محبته ورضاه، والصدق في العلاقة مع الناس، وقوة الانتماء والولاء للإسلام وأهله، ثم المجال السلوكي: بأن يكون الداعية صورة حية متحركة للإسلام، يتجلى في تصرفاته وحركاته، وتكون تعامله مع الناس وفق الشريعة سواء في سلوكه اللغوي أو هيئته الظاهرة، أو سلوكه المعتاد أو الدعوي، ثم المجال الاجتماعي فالدعوة عملية إيجابية تقوم على الأخذ والعطاء بين الأفراد، كما تقوم على الإحسان ورعاية ما يقوي أو اصر الجماعة، ثم المجال الوجداني ويترجمه حسن الاستثمار للمشاعر الإنسانية والارتقاء بها.

مقوماته: مقومات الداعية: كالمقومات الاتصالية والحوارية ومهارته في التأثير والتحفيز، والمقومات الأخلاقية والمقومات المعرفية والمقومات الوجدانية الروحية وما يمتلكه من مهارات دعوية متنوعة، ومقومات المدعو كخلفيته الثقافية وسماته الشخصية العقلية، وصفاته النوعية وحاجاته المتنوعة واتجاهاته، ومقومات الأساليب كتنوعها وتجديدها ومناسبتها للمدعويين، والجمع بين الأساليب المباشرة وغير المباشرة، ومن مقومات البيئة المحيطة: تهيئة البيئة الصالحة المحفزة على القبول، ومعالجة البيئة الصاعدة المحبطة المانعة الاستجابة.

Advocacy Interaction between advocates and people(Concept, fields and Components)

Dr. Hind Shareefi

Advocacy interaction is an intellectual, psychological and behavioral response to the advocacy process, resulting in acceptance and influence leading to good and satisfactory results. Its effects are: Improving motivation of advocates, eliminating apathy and discouragement, achieving positive effects. Its fields: Faith in Allah, Belief how great is Allah leading to Man loves Allah and accepts him, Honesty with people and the great loyalty and belonging to Islam and Muslims. Behavior, the advocate should be a role model of Islam, practicing it in his actions, movements and communications with people which should be compatible with the Law of Islam in sayings, appearance, usual behavior and advocacy practice. Social aspect, as it is a positive interaction process based on care for the community. Finally, Emotion and Conscience, which invest for the sake of humanity feelings.

Its Components: Concerning the Advocates: Communication and interactions with influencing skills. Moral. Knowledge. Emotional, Spiritual skills. Second concerning People, knowledge background, mental personality and quality features, needs and trends. Third concerning Styles: variability, regeneration ability and suitability and direct and indirect methods. Lastly concerning the Community, to create innovative suppress discouraging society.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن غاية الرسالات الإلهية التي بعث الله بها الرسل جميعاً هي تحقيق العبودية لله رب العالمين، وقد قامت هذه الرسالات على مفاهيم عظيمة تمثلت في بيان مراد الله من خلقه في عقائدهم وشرائعهم وأخلاقهم، وسعت إلى جلب المصالح للبشرية ودفع المفاسد عنهم، وإمالة الناس إلى الخير وجذبهم عن الشر، منيرة للناس مسيرتهم في هذه الدنيا ليحيوا فيها عابدين طائعين وقد فقهوا الحكمة من خلقهم وإيجادهم، ثم في الدار الآخرة يسعدون برضوان الله وجنته.

ثم بعث خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ بختم تلك الرسالات بشريعة سمحة كاملة شاملة، تحمّل المؤمنین بها مسؤولية تمتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي مسؤولية الدعوة إلى هذه الشريعة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨)، حيث يأمره الله تعالى أن "يخبر الناس أن هذه سبيله، أي طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي"^(١)، فقامت أجيال القرون المفضلة بهذه المسؤولية خير قيام، وحملوا الأمانة إلى من وراءهم، وامتدت حركة الدعوة الإسلامية على امتداد القرون المتتالية حتى يومنا هذا بين شد وجذب، وقوة وضعف، يحدو أهلها

الآمل في تحقق موعود الله عز وجل بنصرة من رفع لواء دعوته بصدق ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١).

والتأمل في الأنشطة والجهود الدعوية اليوم وفي مخرجاتها وثمراتها سواء الفردية منها أو المؤسسية، يلحظ ضعف التفاعل الدعوي من المدعويين، وقلة إقبالهم، وعدم تناسب الجهود المبذولة مع الأهداف المتحققة الظاهرة، وأنية النتائج، وعدم استمرارها.

وهذا الخلل يستدعي وقفة صادقة ومراجعة من القائمين على الدعوة، سواء من الدعاة الممارسين للدعوة الفردية، أم من الدعاة في المحاضن التربوية، والقائمين على الأعمال المؤسسية الدعوية الخيرية منها والحكومية، إضافة إلى العلماء وطلبة العلم القائمين بواجب الدعوة والإصلاح.

وكل هؤلاء مشاركون ومسؤولون عن الواقع وإصلاحه، فالداعية هو محور العملية الدعوية الرئيس الذي يمكن من خلاله تجاوز الخلل وإصلاح القصور، وبإمكانه أن يعوض النقص الذي قد يتسبب به غيره إذا أتقن دعوته وأدرك عظم مسؤوليته وتعلم المهارات المطلوبة؛ فالدعوة إلى الله ليست مجرد حشو للمعلومات والمعارف في عقل المدعو فحسب؛ ولكنها علم وعمل يستدعيان الإصلاح والتغيير في اعتقاد المدعو واتجاهه وسلوكه، وفي الوقت ذاته لا يعتبر الداعية مصدرا وحيدا للمعلومات أو مؤثرا منفردا في المدعو، بل هناك عوامل أخرى تؤثر في قبول المدعو، وقد تزيد أو تنقص من تفاعله واستجابته للداعية.

إن استجابة الناس للدعوة وحدوث التفاعل الإيجابي بين الداعية والمدعو أمر لا يتحقق بالأمنيات والرغبات، ولا بالحماس وزيادته، بل لا بد من أخذ الأسباب المناسبة، والاستعداد والتهيؤ وحسن الإعداد، وإنما يتحقق التفاعل الدعوي - بعد

توفيق الله- بامتلاك الداعية لفقهِ النصوص الشرعية، والقدرة على إقناع الناس بأهميتها ووجوب اتباعها، والقدرة على نشر القيم الإسلامية من خلال حسن التعامل مع احتياجات المدعو والمجتمع وقضاياه، وتقديم الحلول لمشكلات الناس ومعايشتهم، وعدم الاقتصار على الإحساس بالمشكلات دون القدرة على إدراك أبعادها وكيفية التعامل معها.

إن تحقق التفاعل الدعوي من سبل نجاح الدعوة، وظهور ثمراتها الإصلاحية المباركة في الأفراد والمجتمعات، ومن آلياته حسن التخطيط وبعد النظر، والجمع بين دراسة الماضي والحاضر بعمق، وحسن الإعداد، وهذا يكمن في التحول من التفكير الارتجالي الآني، القائم على ردود الأفعال والقتال في غير عدو، واستنزاف الطاقة في معارك جزئية لاهية، إلى التفكير الاستراتيجي الذي يستوعب سنة المدافعة ويحسن تسخيرها، أو يدرك السنن الاجتماعية والنفسية، ويحسن التعامل معها، وهذا لا يتأتى إلا بمعرفة الواقع بدقة، والأسباب التي تقف وراءه، إضافة إلى التعرف بدقة على الإمكانيات المتوفرة والظروف المحيطة، وتحديد مدى التكليف الشرعي المطلوب والممكن في كل مرحلة، في ضوء التكليف الرباني ومراتب الأحكام وواقع المكلفين، والتبصر بالعواقب والمآلات، وعدم الخضوع لعوامل الإثارة والاستفزاز^(٢).

مشكلة البحث وتساؤلاته :

إن التفاعل الدعوي المطلوب يعني نجاح الداعية وتأثيره في المدعويين، كما يعني تحقق نتائج حقيقية وشرعية راسخة مرضية للداعية والمدعو في آن واحد، فالنتائج الجيدة المؤقتة السريعة الزوال لا تعد فعالة في إصلاح النفوس، كما أن التفاعل والتأثير المؤدي إلى تصدع صفوف المجتمع المسلم وفرقة والإساءة للآخرين غير

مطلوب، فالفاعل الدعوي لا يعني إرغام الداعية للآخرين وإكراههم على قبول وجهة نظره، كما أنه لا يقصد به المساومة والمقايضة لتحقيق مصالح خاصة، فهدف الدعوة الأول هو إقامة شرع الله وتحقيق العبودية له تعالى.

وتحاول الدراسة الحالية الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما مفهوم التفاعل

الدعوي، وما أبعاده في العملية الدعوية؟:

وتوضح مشكلة البحث التساؤلات الآتية:

س١- ما تعريف التفاعل الدعوي، وما أهميته؟

س٢- ما أنواع التفاعل الدعوي؟

س٣- ما مجالات التفاعل الدعوي؟

س٤- ما مقومات التفاعل الدعوي؟

أهمية الموضوع:

لقد حمل الله الإنسان الأمانة حينما أمره بالدعوة إليه، وهداه إلى الطريق القويم عندما بين له كيف يدعو، وأيده بمناهج وأساليب ووسائل تمكنه من تحقيق مقاصد الدعوة في هداية الناس والارتقاء بهم في كافة الجوانب التي تعود بالنفع على الناس، سواء كانت على صعيد الفرد أم الجماعة.

كما أن مناهج الدعوة قد راعت قدرات الناس وإمكاناتهم وطبائعهم، فأرشدت العاملين في مجال الدعوة الإسلامية إلى كيفية مخاطبة العاطفة وإقناع العقل وإرشاد الحواس، لتتقبل النفوس تكاليف الدين وتعمق قيمه في قلوبهم.

إن مهمة الداعية: تصحيح عقائد المدعوين، وتقويم سلوكهم، والمتأمل في العمليات الدعوية والتربوية يرى أن مهمة الداعية أو المربي -أيا كان دوره- لا تتوقف

عند إيصال المعلومة، فالمعرفة - كما يقال - لا تنتج سلوكا بالضرورة، بل لا بد أن يصاحب تلك المعرفة تفاعل إيجابي يؤدي إلى تقويم السلوك وغرس القيم.

وفي إطار السعي الجاد لتحويل الجهود الدعوية إلى حيز التطبيق في واقع الدعوة تُطرح هذه التساؤلات: كيف يمكن للداعية أن يجعل العملية الدعوية سبيلا إلى مزيد من الإصلاح والهداية والإرشاد؟ وكيف تصبح عملية التفاعل بين الداعية والمدعو أكثر إيجابية وأكثر نفعا؟ كيف يمكن أن تتوفر القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يحتذي به المدعو ويتفاعل معه بشكل أفضل يزيد من قبوله للدعوة التي يقدمها له؟ وغيرها من التساؤلات التي تؤكد ضرورة طرح هذا الموضوع، إضافة إلى ما يأتي مما يؤكد أهمية بحث موضوع التفاعل الدعوي:

١- إن المدعو في واقعنا المعاصر أصبح معرضا لمتغيرات كثيرة، وأصبح على اطلاع وتواصل بكثير من وسائل الاتصال التي يتفاعل معها بشكل كبير، وتظهر آثار هذا التفاعل على عقيدته وسلوكه وعبادته، وفي ظل هذا الانفتاح على الداعية أن يعمل على أن يكون أحد أهم هذه المصادر التي تؤثر في الآخرين ويتفاعلون معها.

٢- نظرا لما يعانيه الدعاة -في كثير من الأحيان- من عدم القدرة على التأثير في المدعويين، ومن عدم استجابتهم واقتناعهم، بل معارضتهم والصد عنهم ومعاندتهم في كثير من الأحيان، وهذا بلا شك يحول بين تأثير الداعية في المدعويين، كما أنه يعيق إقامة أي علاقة جيدة بينهما.

٣- إن التفاعل الدعوي يزيد من حيوية الداعية والمدعو ونشاطهما، فيشترك الجميع في تبادل الآراء ومناقشة الأفكار، ويتعد ظل الفتور والتعاس عن الطرفين.

٤- يساعد التفاعل على تكوين وتطوير الاتجاهات الإيجابية نحو الدعوة والدعاة، وينمو عند المدعو الشعور بأهمية هذه الشعيرة ويزداد ارتباطه بدينه، ويقبل عليه برغبة.

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

- ١- التعرف على مفهوم التفاعل الدعوي بين الداعية والمدعو.
- ٢- التعرف على مجالات التفاعل الدعوي.
- ٣- بيان مقومات التفاعل الدعوي بين الداعية والمدعويين.
- ٤- إبراز التطبيقات الدعوية في ظل المتغيرات المعاصرة من منظور دعوي في القرآن والسنة النبوية.

منهج البحث:

سلكت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي خلال هذه الدراسة، وهو بمعنى الوصف والتحليل في العلوم الإنسانية من دينية واجتماعية وثقافية، ولما هو كائن من الأحداث وتعليلها وتحليلها والتأثيرات والتطورات المتوقعة، حيث يهتم المنهج الوصفي بالمقارنة بين أشياء مختلفة أو متجانسة، ذات وظيفة واحدة، أو نظريات مسلمة^(٣).

الدراسات السابقة:

بعد البحث في مظان الدراسات السابقة لم تقف الباحثة على دراسات مشابهة في عنوانها وفكرتها لموضوع البحث في مجال الدعوة إلى الله، بل كانت الدراسات في مجال التفاعل متعلقة بعلوم أخرى مثل: علم الاجتماع وعلم النفس وعلم التربية،

وقد أفادت منها الباحثة حيث إن علم الدعوة مرتبط في موضوعه بأغلب العلوم الإنسانية.

تقسيم البحث:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول تحتوي أحد عشر مبحثاً وخاتمة، وتتوزع الخطة على النحو الآتي:

المقدمة: وتتضمن أهمية البحث، ومنهج البحث وخطته.

الأول: مفهوم التفاعل الدعوي وأنواعه وتطبيقاته في القرآن والسنة، وفيه ثلاثة

مباحث:

المبحث الأول: تعريف التفاعل الدعوي، وأهميته.

المبحث الثاني: أنواع التفاعل الدعوي.

المبحث الثالث: نماذج من تطبيقات التفاعل الدعوي في القرآن والسنة.

الفصل الثاني: مجالات التفاعل الدعوي، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المجال الإيماني.

المبحث الثاني: المجال السلوكي

المبحث الثالث: المجال الاجتماعي.

المبحث الرابع: المجال الوجداني (العاطفي).

الفصل الثالث: مقومات التفاعل الدعوي، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مقومات التفاعل الدعوي المتعلقة بالداعية.

المبحث الثاني: مقومات التفاعل الدعوي المتعلقة بالمدعو.

المبحث الثالث: مقومات التفاعل الدعوي المتعلقة بالأساليب الدعوية.

المبحث الرابع: مقومات التفاعل الدعوي المتعلقة بالبيئة المحيطة.

الفصل الأول: مفهوم التفاعل الدعوي وأهميته، وأنواعه، وتطبيقاته في القرآن والسنة

المبحث الأول: مفهوم التفاعل الدعوي وأهميته.

يعود أصل كلمة تفاعل من فعل الشيء فعلا وفعالا: عمله، ويقال: تفاعلا: أي أثر كل منهما في الآخر.^(٤)

ويقصد بالتفاعل الاجتماعي بصورة عامة: التأثير المتبادل أو المتساوي بين نظامين أو أكثر من نظامين، ويمكن النظر لعمليات التفاعل على أنها نوع من الاتصال أو التواصل، ومن أمثلتها: تأثير الوالدين في الطفل؛ وفي نفس الوقت تأثيره فيهما عن طريق استجاباته لهما، وكذلك فإن علاقة تفاعل وأخذ وعطاء تقوم بين الأستاذ وطلابه، وبين القائد واتباعه، وبين الزوج وزوجته، وكذلك بين الداعية والمدعويين.^(٥)

أما في علم النفس فإن التفاعل المتبادل يعني: "علاقة بين نسقين أو شخصين أو جماعتين أو أكثر، تؤدي إلى تأثير متبادل ومشارك".^(٦)

كما عُرف التفاعل التربوي بأنه: "حدوث اقتناع وتجاوب نفسي بين طرفي العملية التربوية (المعلم والمتعلم) يؤدي إلى استجابة الطرف الثاني المعرفية والسلوكية للطرف الأول وللتأثر به".^(٧)

وفي علم الدعوة يمكن تعريف التفاعل الدعوي بأنه: (حدوث تجاوب فكري نفسي وسلوكي بين طرفي العملية الدعوية {الداعية والمدعوي}، ينتج عنه استجابة المدعو واقتناعه وتأثره بالداعية وما يدعوه إليه).

والتفاعل من حيث أصله سمة إنسانية وطبيعة بشرية، فالإنسان مدني بطبعه، ولا بد له من أن يعيش مع الناس ويخالطهم ويتجاوب معهم ويؤثر فيهم ويتأثر بهم، لذلك لا يُعد كل تفاعل طبيعي أوردته فعل من الإنسان هي (تفاعل دعوي)، إلا لمن كان قدوة يقتدى به، أو لمن أثمرت عملية التفاعل بينه وبين الآخرين تحولا صالحا، فعلى سبيل المثال: ورد في السنة النبوية كثير من شواهد ملاعبة النبي ﷺ للصغار ورعايته لهم، كقول محمود بن الربيع ^(٨): ((عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي، وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ)) ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى غُلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ)) ^(٩) ، ومن مداعباته لأصحابه ما رواه أبو هريرة ^(١٠) ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنِّي لَأَقُولُ إِلَّا حَقًّا))، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: (فَأَيْكَ تُدَاعِبُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَالَ: ((إِنِّي لَأَقُولُ إِلَّا حَقًّا)) ^(١١) ، وغيرها مما حفظته لنا سيرته العطرة هي نماذج حية من التفاعل الإنساني الراقي الذي يجري بين أفراد المجتمع بشكل طبيعي ومتكرر، وقد تحقق من خلاله قمة التفاعل والتأثير لأنه مع رسول الله ﷺ.

ومنه تفاعل الصحابة مع الآيات والأوامر الشرعية، كتفاعل نساء الأنصار مع الأمر بالحجاب فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: ((لَمَّا نَزَلَتْ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ؛ خَرَجَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِنَّ الْغُرَبَانَ مِنَ الْأَكْسِيَّةِ)) ^(١٢) .

أما آثار التفاعل الدعوي فله عدة مظاهر تؤثر في سلوك الإنسان، حيث إن التفاعل يؤدي إلى تعديل أو تغيير أو تكوين أو إلغاء الاتجاهات والميول والاهتمامات

والقيم والآراء والعقائد والمعتقدات وسمات الشخصية ووجهات النظر والفلسفات والمرئيات ونظرتنا للحياة"^(١٣).

وبما أن الدعوة في حقيقتها نوع من أنواع الاتصال البشري، وأن الاتصال عبارة عن عملية تفاعل اجتماعي تهدف إلى تقوية الصلات الاجتماعية في المجتمع، عن طريق تبادل المعلومات والأفكار والمشاعر، التي تؤدي إلى التفاهم والتعاطف والتحابب أو التباغض"^(١٤)، ومن الطبيعي أن الإنسان يتلقى مادة الاتصال ثم يدركها ويفسرها، ويتصرف وفقا لذلك"^(١٥)، وعليه فإن الباحثة ترى أن مراحل العملية التفاعلية الدعوية، هي خمس مراحل على النحو الآتي:

أولاً: مرحلة التبليغ وإيصال الدعوة: أي نقل الحقائق والمعلومات والمعارف والمشاعر من الداعية للمدعو.

ثانياً: مرحلة الأخذ والتلقي من قبل المدعو لما حصله وتلقاه من الداعية.

ثالثاً: مرحلة الوعي والإدراك: وهو فهم المدعو واستيعابه.

رابعاً: مرحلة الاستجابة والاقتناع والتطبيق والاستقامة: وفيها يظهر التجاوب الفعلي وتأثر المدعو بالداعية، وهذه المرحلة يمكن اعتبارها نتيجة لما سبق، كما يمكن اعتبارها مرحلة من المراحل أو جانبا من جوانب التفاعل الدعوي.

خامساً: مرحلة المتابعة من الداعية للمدعو، وفيها تتم ملاحظة الداعية للجانب التطبيقي عند المدعو، حتى لا يقع فيه قصور أو خلل، وكذلك يتم فيها وضع المحفزات والمؤكدات على استمرارية العمل والثبات عليه حتى تبلغ عملية التفاعل ذروتها الإيجابية.

ويمكن تغيير أو إعادة ترتيب هذه الجوانب بحيث يحصل الإدراك والفهم للموقف والإحساس به، وبعدها تأتي بقية الجوانب.

أهمية التفاعل الدعوي:

يكتسب التفاعل أهميته من تعدد المستفيدين منه، حيث يستفيد منه -بالإضافة إلى الدعاة إلى الله - المربون والآباء والقادة، وتحتاجه كل شخصية مؤثرة في مجالها وموطنها، ومن أهم هذه المجالات التعليم والدعوة، ولأنها وظيفة النبي عليه السلام، كما قال عنه تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ ودَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿ (الأحزاب: ٤٥ - ٤٦).

ويؤثر التفاعل تأثيرا بالغا في العملية الدعوية، حيث يعكس الحيوية والتجاوب والافتناع الذي تكتسبه المعلومات المنقولة من الداعية للمدعو، كما يعزز على المدى البعيد قابلية الاستجابة عند المدعو فهما وتأثرا وتطبيقا، هذا إضافة إلى الإسراع في عملية الاستجابة، وبدون التفاعل بين الداعية والمدعو يتحول الداعية إلى مجرد ناقل للمعلومات، ويفقد صفته التأثيرية الهادية إلى سواء السبيل، كما تتأكد أهمية موضوع التفاعل الدعوي من الأمور الآتية:

- ١- إن مصطلح (التفاعل الدعوي) مستحدث في علم الدعوة ويكثر استخدامه ويحتاج إلى تحرير وتوضيح، كما يحتاج إلى تأصيل وبيان من منظور دعوي.
- ٢- إن التفاعل الإيجابي أمر مطلوب من الداعية الذي يقوم بواجب الدعوة إلى الله تعالى، لأن الإسلام دين إيجابي لا يقر السلبية من اتباعه، ويدل على ذلك قول النبي ﷺ: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَدَلِكْ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))^(١٦).

والتأمل للأحاديث التي جاء فيها الفعل معلقا بالشرط؛ يدل على التوجيه والحث على التفاعل الإيجابي، كقوله ﷺ مرغبا في الإحسان للنبات: ((من عال جاريتين حتى تبلغا؛ جاء يوم القيامة أنا وهو)) وضم أصابعه^(١٧)، وقوله في الحث على تجهيز الغزاة في سبيل الله وخلفهم في أهليهم بخير: ((من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا))^(١٨).

٣- يعد التفاعل الدعوي وسيلة وغاية في آن واحد، فهو أمر محمود إذا كان متسما بالحكمة، التي تعين الداعية على تحقيق أهدافه الدعوية، بل غاية عندما يتفاعل المدعو ويقتنع بدعوة الداعية ويستجيب له، والدعوة إلى الله ليست عملية عفوية ساذجة ارتجالية، تتم بمجرد الحماس الآني، بعيدا عن إدراك جميع أبعاد العملية الدعوية والخطاب الدعوي الملائم.

٤- إن التفاعل الدعوي أمر بشري طبيعي يتفاوت فيه الناس، وتختلف درجته بين إفراط وتفريط أو بين قوة وضعف، فهناك من يتصف بالقوة والحكمة في التفاعل، وهناك من يتصف بالبطء أو الضعف التفاعلي، ويظهر هذا جليا من خلال سرعة استجابة جمهور المدعوين للداعية، أو تفاعل المرء مع ما حوله من أحداث، والتطبيق الدعوي في ذلك للنبي ﷺ حيث تمثلت الحكمة في تفاعله في سيرته الطاهرة، ومن ذلك قوله ﷺ: ((إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَنْجُوهُ^(١٩) فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ))^(٢٠) وشدة تأثيره لما رأى ﷺ مبلغ الفقر والحاجة من وفد مضر، فعن جرير بن عبد الله ﷺ قَالَ: ((كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاءٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النَّمَارِ

أَوِ الْعَبَاءِ ^(٢١) ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ ^(٢٢) وَجْهَهُ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ ^(٢٣) ((...)) ^(٢٤) .

كما يظهر هذا التفاوت في تفاعل الناس حين سماعهم للقرآن الكريم، فبعضهم يقشعر جلده ثم يلين قلبه، وبعضهم يزداد إيمانا والبعض الآخر يزيده كفرا، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴿التوبة: ١٢٤ - ١٢٥﴾ .

٥- إن المدعو بطبيعته الإنسانية يجب أن يتفاعل معه الآخرون، لما في ذلك من شعوره بالأهمية والمكانة وهي حاجة إنسانية يسعى المرء إلى تلبيتها، خاصة أنها تؤدي إلى التآلف وتقليل الفوارق بين مفاهيم الناس وطبائعهم ونظراتهم، والنبي ﷺ رأى عبد الرحمن بن عوف ^(٢٥) ((وَيَهْ أَكْرُ صُفْرَةَ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟ قَالَ: زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ دَهَبٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ)) ^(٢٥) .

٦- يظهر الجانب التفاعلي في العملية الدعوية وكأنه عمل لخطوة مشتركة بين الداعية والمدعو، يتفق فيها الطرفان أو يختلفان، وقد يتعاونان أو يتنافسان، ويساعد ذلك على تنبؤ الداعية بسلوك المدعو، من خلال معرفة الداعية بإيمان المدعو وعلمه، كما تنبأ النبي ﷺ بحسن إسلام ثقيف بعد اشتراطها أن لا صدقة عليها ولا جهاد، فقال ^(٢٦): ((سَيَتَّصِدُّونَ وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا))

٧- وأخيرا فإن أهمية موضوع التفاعل الدعوي تتضح في عملية التأثير، فهي لا تسير - غالبا- في اتجاه واحد، فالداعية يؤثر في المدعويين كما أن المدعويين يؤثرون

في الداعية، فهي علاقة تأثير متبادل: تأثر وتأثير، فعدم استجابة المدعو يصيب الداعية بالهم والإحباط، وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَجَ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: ٦)، يعني: وصلت إلى الحالة التي يتوقع منك الناس أن تهلك نفسك تأسفا على توليهم وإعراضهم^(٢٧).

المبحث الثاني: أنواع التفاعل الدعوي.

يؤدي التفاعل الدعوي إلى ظهور تغير في سلوك المدعو، أي أدائه لفعل جديد، أو منعه وكتبه لسلوك كان يحدث من قبل، فمثلا: الحرص على أداء الصلاة في وقتها، وارتداء المسلمة للحجاب الإسلامي، أو ترك السباب والكذب، والامتناع عن النظر إلى ما حرم الله، فهذه التغيرات في السلوك تعد السبيل لمعرفة حدوث الاستجابة وتعلم شيء جديد، ولكي يعرف الداعية حدوث التفاعل والاستجابة؛ فإنه يقارن بين سلوك المدعو في فترة زمنية معينة بسلوكه في فترة زمنية أخرى تحت ظروف مشابهة، فإذا اختلف السلوك فإن الداعية يستنتج حدوث التفاعل والاستجابة، ويشمل التغيير في المدعو كل أنواع السلوك سواء كان ظاهرا أم غير ظاهر، فهو يشمل الأفعال الظاهرة كما يشمل الأفعال الداخلية كحركة التفكير والتدبر، والعمليات القلبية كالخشوع والتوكل على الله، والتي تظهر آثارها على أقوال الإنسان وأفعاله.

أما أنواع التفاعل الدعوي فيمكن عرضها كما يأتي:

أولا: من حيث المصدر: فهو يتعلق إما بالداعية ذاته ويظهر في تجاوبه وانسجامه وصدق مشاعره تجاه المدعو وتغير سلوكه تبعا لذلك، وحرصه على هدايته وصلاحه، أو يتعلق بالمدعو ويظهر في انفعالاته العديدة الباطنة والظاهرة، واستجابته وامتناله لما يدعى إليه، واقتناعه وتطبيقه.

ثانيا: من حيث الوصف: فالتفاعل المتصف بالقبول والتأييد والاستجابة؛ يعبر عنه بالتفاعل الإيجابي، أما سلوك الرفض والمعارضة أو اللامبالاة والإعراض؛ فيعبر عنه بالتفاعل السلبي، ومثال التفاعل الإيجابي ما رواه أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قَالَ: ((كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ لِلَّهِ أَفْذَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ. فَالْتَفَتُ، فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ حُرٌّ لِرُجُوهِ اللَّهِ، فَقَالَ: أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لِلْفَحْتِكِ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ)) ^(٢٨)، وقد ظهرت استجابة الصحابي السريعة لحث النبي ﷺ على الرفض بالملوك والتنبيه على استعمال العفو وكظم الغيظ.

ومثال التفاعل السلبي الذي يظهر فيه الرفض أو عدم الاستجابة، وقد يكون سبب ذلك الجهل بالداعية، ومن ذلك: ((مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ: اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: إِئِمَّا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى)) ^(٢٩)، فاعتذرت المرأة بأنها لم تعرفه ﷺ، فبين لها أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو ^(٣٠).

وقد يكون بسبب نوازع داخلية كالكبر، فقد جاء: ((أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَشِمَالِهِ، فَقَالَ: ((كُلْ يَمِينِكَ))، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: ((لَا اسْتَطَعْتَ مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ))، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ)) ^(٣١).

ويظهر الفرق بين النوعين عند التأمل والمقارنة بين موقف النبي ﷺ ورفقه وبين موقف الصحابة رضي الله عنهم وإسراعهم الأعرابي الذي بال في المسجد، فقد جاء

في الحديث: ((أن أعرابيا بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به^(٣٣) ، فقال لهم رسول الله ﷺ: ((دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبا^(٣٤) من ماء، أو سجلا^(٣٥) من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين))^(٣٦) .

ثالثا: من حيث الزمن والمدة: فهو إما تفاعل دائم يبقى أثره على مر الشهور والسنين لما يغرسه من إيمان لا يتزحزح، أو تفاعل قصير الأجل مؤقت قد يضعف أو يزول بزوال المؤثر، ويحتاج إلى تكرار ومداومة ليبقى الأثر، وقد يبدو أحيانا كأنه ردة فعل مؤقتة، و يحدث غالبا عند سماع المواعظ والرقائق، وهذا ما شكاه حنظلة الأسيدي للنبي ﷺ فقد خاف من النفاق حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي ﷺ، ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا^(٣٧) ، وقد أجابه النبي ﷺ بقوله: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتُمْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً))^(٣٨) ثلاث مرات)) .

رابعا: من حيث طبيعته: فالسلوك والتفاعل الذي ينبعث تلقائيا بصورة طبيعية دون تكلف أو روية أو تظاهر، ويوافق الفطرة الإنسانية السليمة، مثل بكائه ﷺ عند احتضار حفيده بين يديه، أو بكائه عند عيادته لسعد بن عباد رضي الله عنه في مرضه^(٣٩) ؛ هو تفاعل طبيعي، وعكسه التفاعل المتكلف الذي تُدفع إليه النفس لحاجة أو مصلحة، كقول عمر ﷺ في شأن أسرى بدر، وقد نزلت معاتبته من الله لرسوله ﷺ والمؤمنين يوم بدر، إذ أسروا المشركين، وأبقوهم لأجل الفداء، وكان رأي عمر في هذه الحال قتلهم واستئصالهم^(٤٠) ، وذلك في قوله تعالى ﴿لَوْلَا كُنْتُ مِنَ الَّذِينَ سَبَقَ لِمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ((الأنفال:

٦٨))، يقول: ((فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ حِثُّ فَأَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءَ بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءَ بَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا...))^(٤١).

خامسا: من حيث رصده: فهو إما تفاعل داخلي غير ظاهر، أو خارجي ظاهر للعيان، ومثال التفاعل الداخلي ذلك الصحابي الجليل الذي سمع بضع آيات من سورة الطور، فشعر بأن قلبه كاد أن يطير، وبدأت بذرة الإيمان في قلبه، يقول جبير بن مطعم رضي الله عنه: ((سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَعْرَبِ بِالطُّورِ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي))^(٤٢).

أما التفاعل الخارجي الظاهر للعيان فمثاله: وصف الصحابة للنبي ﷺ: ((فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْتَاهُ فِي وَجْهِهِ))^(٤٣).

سادسا: من حيث مجاله: وللتفاعل عدة مجالات-كما سيأتي تفصيله في المبحث الثاني، فهناك التفاعل الإيماني، والتفاعل السلوكي، والتفاعل الاجتماعي، والتفاعل العاطفي الوجداني.

المبحث الثالث: نماذج من تطبيقات التفاعل الدعوي في القرآن والسنة:

تضمنت نصوص الوحيين الكثير من التوجيهات والأوامر والنماذج التي تضيء الطريق للدعاة في مجال كسب المدعويين وحسن التأثير عليهم، ومنهج الرسل في دعوتهم لأقوامهم، مما يظهر التفاعل الدعوي بين الداعية والمدعو، ومن ذلك قوله تعالى أمرا موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۚ ﴾ (طه: ٤٣ - ٤٤)، هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهي أن

فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى عليه السلام صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، فتكون دعوتهما له بكلام رقيق لين قريب سهل، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع، لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة ^(٤٤).

كما يصف لنا القرآن الكريم الآثار الحميدة الناتجة عن حسن تفاعل الداعية مع الآخرين في قوله تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤)، فلا "يستوي الإحسان إلى الخلق ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها ولا في وصفها ولا في جزائها.... فإذا أساء إليك مسيء من الخلق - خاصة من له حق كبير عليك، كالأقارب والأصحاب ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فصله، وإن ظلمك فاعف عنه، وإن تكلم فيك غائبا أو حاضرا فلا تقابله بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين، وإن هجرك وترك خطابك؛ فطيب له الكلام وابدل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان حصل فائدة عظيمة" ^(٤٥).

ويظهر التفاعل السريع من المدعوين في استجابة السحرة لدعوة موسى عليه السلام لما تبين لهم الحق جليا واضحا لا مرية فيه، فخضعت قلوبهم للرحمن وخرروا له سجدا، كما وصفهم الله تعالى في قوله: ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٣٠﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٠ - ١٢٢).

كما يظهر تفاعل الداعية الصادق بشعوره بحاجة المسلمين الشديدة وفاقتهم، لما جاء وفد مضر للنبي ﷺ فرأى ما بهم من الفقر والحاجة، وقام خطيبا في الناس وحثهم على

الصدقة، فتفاعل المسلمون واستجابوا فوراً، وكان أسرعهم تفاعلاً ذلك الأنصاري الذي بدأ بالصدقة، كما جاء في الحديث: ((فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفَّهُ تُعْجِزُ عَنْهَا بِلٌ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمِينَ مِنْ طَعَامٍ وَبِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))^(٤٦).

ومن أروع نماذج التفاعل الدعوي في السنة النبوية: تفاعل الأنصار مع موعظة النبي ﷺ بعد توزيعه غنائم حنين في قريش ووجدتهم في أنفسهم عليه، فكان مما قاله: ((يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْذُّنْيَا، وَتَذْهَبُونَ بِمُحَمَّدٍ يُحَوِّزُونَهُ إِلَيَّ بِيُوتِكُمْ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ رَضِينَا، فَقَالَ: لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَأَخَذْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ))^(٤٧) فبكوا حتى أخضلت لحاهم ورضوا برسول الله ﷺ حفا ونصييا.

ومن النماذج المضيئة التي حفظتها لنا سيرة خير القرون، تفاعل أبي طلحة ﷺ مع الأوامر الإلهية بالصدقة مما يجب، فقد جاء في الحديث أنه قال: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنْ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرِحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا، وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَخِ ذَلِكَ مَالٌ رَاحٍ ذَلِكَ مَالٌ رَاحٍ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تُجْعَلَهَا فِي الْأَفْرَيْنِ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَسَمَّهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِيهِ وَبَنِي عَمِّهِ))^(٤٨)

إن الدعوة الإسلامية تضمنت في نصوص الوحيين حركة بناء لمجتمع طاهر يحقق الخلافة عن الله في عمارة الأرض بواسطة جهود الإنسان المسلم الذي يتفاعل مع الجماعات الإنسانية، والعمل مع الجماعات الإنسانية في العصر الحديث قد أخذ شوطا بعيدا في الدراسة والتوصيف والتخطيط والإعداد، والمنهج الإسلامي الذي قدمته الدعوة الإسلامية للتفاعل مع الأفراد والمجموعات هو المنهج الرائد للعلوم الاجتماعية الحديثة فيما يتعلق بالصلة بين صاحب الدعوة والفكرة، وبين الجماعة التي يريد أن ينقل إليها فكره ودعوته.

لقد تحدث علماء العلوم الإنسانية في دراسات التفاعل بأنواعه عن: ثقة الفرد بنفسه وتحديد أهدافه، وحسن عرضه للمبادئ والقيم التي يدعو إليها، وعن قدرته في التأثير في الآخرين ونشره لأفكاره، كما تحدثت عن الأدوار التي يؤديها وركائز التفاعل وأسس من خلال هذه الأدوار، وهي مبادئ وأسس سبق إليها منهج الدعوة الإسلامية، الذي احترم عقل الإنسان وكرامة الجماعة، وقدم الرسالة بعيدا عن الدعايات الكاذبة والبيانات المضللة والمواقف التي يتقمصها رواد العمل الاجتماعي في العصر الحديث لتحقيق أهدافهم،
(٤٩)
فالدعوة الإسلامية هي المنهج الوحيد الذي أنتج نتاجا دائما .

وهو المنهج الدعوي المبني على الفقه الشامل لطبيعة النفس البشرية، الذي أصل المبادئ الخاصة بالتفاعل مع الآخرين من خلال القرآن والسنة مبكرا، وأثرها خاصة في الجانب التطبيقي العملي.

الفصل الثاني: مجالات التفاعل الدعوي، وفيه أربعة مباحث:

مدخل:

هناك أهمية متزايدة لدراسة موضوع التفاعل الدعوي، لأن معرفة الداعية للمجالات التي يتفاعل من خلالها المدعو يزيد من قدرته على التأثير عليه، وتزيد من اقتناع المدعو واستجابته، كما أنها تعرف الداعية على العوامل التي تزيد من قوة هذا التفاعل في كل مجال من هذه المجالات، بالإضافة إلى الأسباب التي تتجه بالمدعو نحو الجانب الإيجابي فيها.

إن نقطة الانطلاق التي تنبعث منها المجالات التفاعلية الدعوية هو التفاعل الفكري بين الداعية والمدعو، وهذا يعد عاملاً أساسياً لإعطاء المدعو المبرر للاستجابة للداعية وعمل شيء له قيمة لديه.

والفكر عبارة عن استخدام الانسان لإمكاناته العقلية في الحصول الثقافي لديه بغية الوصول إلى مزيد من الصور الذهنية عما يحيط به من أشياء وأحداث ومعطيات حاضرة وماضية، وتوسيع مجال الرؤية لآفاق المستقبل^(٥٠)، ويتم التفاعل الفكري حين يفهم الطرفان- الداعية والمدعو- اللغة المتبادلة، ويحدث الاقتناع العقلي والعاطفي عند المدعو.

إن أهمية التفاعل الفكري تكمن في قوة تأثيره في بناء الشخصية المسلمة عند الداعية والمدعو، وفي توفيره مقداراً ملائماً من الكم العلمي الذي يشكل إطاراً مرجعياً لهما، تقوم عليها العملية الدعوية والتربوية، ومن المهم أن يتضح للداعية أن "استقامة الفكر ونقاءه ليس بديلاً عن التربية ولا الأخلاق ولا أعمال الخير ولا الحركة الدعوية، ولكنه الشرط الأساس لصوابها ورشدتها، فمهمة الفكر رسم مخطط الحركة

وجعلها اقتصادية، بحيث تتكافأ نتائجها مع الجهد والوقت المبذول فيها، كما أنه يجيد كل الوسائل والأساليب التي ثبت قصورها، ويكتف بالخبرات والتجارب المكتسبة في بعض المقولات والمحكات النهائية، ويساعد على طرح البدائل والخيارات في كل حقل من حقول العمل^(٥١).

ومن أهم المجالات الدعوية التي يظهر فيها التفاعل والتأثير في المدعوين: المجال الإيماني، والمجال السلوكي، والمجال الاجتماعي، والمجال الوجداني، وتفصيل ذلك في المباحث الآتية:

المبحث الأول: المجال الإيماني.

وهو المجال المتعلق بعقيدة الإنسان وإيمانه بأركان الإيمان، والتي من خلالها يستشعر الداعية والمدعو عظمة الله تعالى، ويحققان معاني التوحيد والعبودية له تعالى، ومما يعين على تحقيق ذلك ما يأتي:

(أ) السعي والتوجه للحصول على محبة الله ورضاه:

إن محبة الله عز وجل للعبد - داعية أو مدعوا - ورضاه عنه يورث عنده محبة الناس ورضاهم عنه، كما أخبر بذلك النبي ﷺ: ((مَنْ التَّمَسَّ رِضًا اللَّهُ يَسْحَطِ النَّاسَ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْتَةً النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَاءِ النَّاسِ يَسْحَطِ اللَّهُ؛ وَكَأَنَّ اللَّهَ إِلَى النَّاسِ))^(٥٢)، فمن أخلص في طلبه رضا الله تعالى، كافاه الله برضاه عنه وإرضاء الخلق أيضا.

كما أن محبة الملائكة الأعلى للعبد تنتج له محبة العباد وإقبالهم عليه، قال ﷺ: ((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ؛ فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ؛ فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ

(٥٣) **فِي أَهْلِ الْأَرْضِ**)) ، قال الحافظ ابن حجر: المراد بالقبول: "قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه، ويؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله.. والمراد بمحبة الله: إرادة الخير للعبد وحصول الثواب له، وبمحبة الملائكة: استغفارهم له وإرادتهم خير الدارين له، وميل قلوبهم إليه لكونه مطيعاً لله محباً له، ومحبة العباد له: اعتقادهم فيه الخير، وإرادتهم دفع الشر عنه ما أمكن" (٥٤).

وطريق الداعية للحصول على محبة الله ورضاه تكون بالتقرب إليه وطاعته، وبمقدار تقرب الإنسان وطاعته لله تكون محبة الله له، وتمكين قلوب العباد من محبته، وأول ذلك اتباع النبي ﷺ وطاعته، وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١)، إن حب الله تعالى ليس بالأمني أو بالادعاء، بل هي طاعة واتباع للنبي ﷺ، يقول الحافظ ابن كثير: "هذه الآية الكريمة حاکمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية؛ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله" (٥٥).

كما جاء في الحديث القدسي ما يؤكد مكانة أولياء الله تعالى: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتُهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)) (٥٦).

فقرب الداعية من الله وطاعته له بأنواع الطاعات المفروضة والمستحبة لها أثر واضح في إقبال الناس على الداعية وقربهم منه وتقبلهم لما يقول، وهذا مرتبط أساساً للفاعل والاندماج في العملية الدعوية^(٥٧)، الأمر الذي يتطلب من الداعية الحرص على نشره بين المدعوين.

ب) الإخلاص والصدق في العلاقة مع الناس:

يعد الإخلاص أحد العوامل المهمة الأساسية في إنشاء علاقة تفاعلية مثمرة وجيدة بين الداعية والمدعو، لأن الإخلاص في هذه العلاقة يثمر التفاعل الإيجابي بينهما، والإخلاص عمل قلبي ينبعث من قبل الإنسان ومشاعره تجاه الآخرين، حيث يحس بأهمية العلاقة وعمقها، ويصدق في إقامتها من داخله أولاً، ومن ثم ينعكس هذا الإخلاص والصدق على أقواله وأفعاله عندما يدعو الناس، فيبادلونه الشعور ذاته ويتفاعلون معه، وإذا كان الداعية غير مخلص في مشاعره أو كان إخلاصه للمدعوين مشوب بدخن؛ نفر منه الناس وانعدمت الثقة وهذا من علامات ضعف التفاعل وفقده في العملية الدعوية.

إن الناس الذين يشعرون بصدق الداعية وإخلاصه يتفاعلون معه، ويقترّبون منه حسياً ومعنوياً، لأن طبيعة النفس البشرية تميل إلى من تجد عنده الإخلاص وحسن التفاعل وصدق المعاملة، ومن مظاهر الإخلاص في علاقة الداعية بالمدعو: الصدق في الحرص على هدايته، كما وصف الله تعالى نبيه ﷺ في قوله: ﴿فَلَمَّا كَبُرُوا بَصُرُوا بِرَأْسِهِ فَمَا يُبْصِرُونَ﴾ (الكهف: ٦)، إضافة إلى: تطابق أقواله مع أفعاله، فالداعية المخلص هو من يلحق أقواله بأفعاله، ويكون قليل الأمر والكلام كثير العمل، ومنها المسابقة والمصارعة للخيرات والسبق في الطاعات، وهكذا كان

النبي ﷺ، فقد كان يوجه الناس للفرائض وهو السابق فيها، ويأمرهم بالقربات وهو أكثرهم بذلا وعطاء، كما يأمرهم بحسن الخلق وهو الأوفر حظا منهم، لذلك كان الصحابة أكثر ما يمكن حبا وتفاعلا وتصديقا واتباعا له ﷺ^(٥٨).

(ج) قوة الانتماء للدين وأهله وعمق عقيدة الولاء لهذا الدين:

إن قوة الانتماء للدين وعمق عقيدة الولاء للمنهج الإسلامي أحد الركائز المحققة لمفهوم العبودية، كالحمية للدين والغيرة على محارم الله أن تنتهك، وحب الله ورسوله ونصرة دينه وتقديسه على محاب النفس وشهواتها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَكَلَّمَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغْلِبُونَ ۗ﴾ (المائدة: ٥٥ - ٥٦)، "فولاية الله تدرك بالإيمان والتقوى، فكل من كان مؤمنا تقيا؛ كان وليا لله، ومن كان وليا لله؛ فهو ولي لرسوله، ومن تولى الله ورسوله كان تمام ذلك تولى من تولاه، وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان، ظاهرا وباطنا، وأخلصوا للمعبود بإقامتهم الصلاة بشروطها، وفروضها، ومكملاتها، وأحسنوا للخلق، وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم"^(٥٩).

المبحث الثاني: المجال السلوكي:

والسلوك الإنساني عند علماء النفس هو: "جميع أوجه النشاط التي يقوم بها الإنسان وتصدر منه، والتي يستطيع هو أن يلاحظها، أو يلاحظها شخص أو أشخاص آخرون، وقد يكون السلوك ظاهرا يسهل علينا ملاحظته، وقد يكون غير ظاهر"^(٦٠)، ومن أمثلة التفاعل في المجال السلوكي ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: ((دَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَسَارَهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ،

ثُمَّ دَعَاَهَا فَسَارَهَا فَضَحِكَتْ، قَالَتْ: فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ^(٦١) ، فالسلوك الإنساني يكون نتيجة تفاعل بين اتجاهات ومواقف محددة، تستتبع ردود فعل آنية أو دائمة ممن يتفاعل مع الموقف، وقد يكون التفاعل إيجابيا أو سلبيا وذلك تبعا لنوعية التفاعل. وحيث إن الدعوة نوع من الاتصال مع الآخرين فإن استجابة المدعو وتفاعله تدفع الداعية إلى مزيد من العطاء والبذل، والاتصال بين طرفين يستمر أو ينقطع بناء على ما يتلقاه المرسل أو المصدر من ردود فعل، وما يحدث من تغيير في نفسية الطرف الأول وسلوكه يؤثر في الطرف الثاني بنفس القدر أو التناسب^(٦٢) .

ويقصد بالتفاعل في المجال السلوكي: أن يكون الداعية صورة حية متحركة للإسلام، يتجلى الإسلام في تصرفاته وحركاته وسكناته، تكون عقائده وعبادته وتعامله مع الناس وفق الشريعة الإسلامية، وإن للسلوك بهذا المعنى أهمية بالغة في الدعوة إلى الله تعالى^(٦٣) ، وهي أنواع التفاعل المتعلقة بالسلوكيات التي يمارسها الداعية لإحداث التفاعل والتجاوب مع المدعوين وتتعلق بكلامه وهيئته وأفعاله، وهذه السلوكيات متماسكة متداخلة لا يمكن فصلها عن بعضها، لأن الطبع البشري لا يأتي بأحدها منفردا فالإنسان كيان مترابط متكامل، وفيما يلي بيان أنواع التفاعل السلوكي الذي يمكن حدوثه بين الداعية والمدعو:

أولا: التواصل اللغوي: " ويتعلق بلغة الفرد وطريقة تخاطبه مع الآخرين، وأساليبه في السؤال والجواب والحوار، ونوع الكلمات المستخدمة^(٦٤) ، وكلما زاد إتقان الداعية لمهارات الاتصال اللغوي فكان حسن الكلام عذب الحديث نظيف اللسان سهلا واضحا، مستخدما للألفاظ المألوفة المؤثرة؛ كلما زاد تفاعله وأثر في

المدعويين، وقد حذر تعالى من عكس ذلك وبين أثره السلبي على الدعوة بقوله ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩) فالأخلاق الحسنة مع الرئيس في الدنيا، تجذب الناس إلى دين الله وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين؛ تنفر الناس عن الدين وتبغضهم إليه مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول فكيف بغيره^(٦٥) .

وحسن خلقه عليه الصلاة والسلام لم يكن مقتصرًا على أصحابه بل تجاوز إلى المسيء من غير المسلمين، ومن ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ((دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهَّمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَهَلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَدَقُلْتُ: "وَعَلَيْكُمْ))^(٦٦) .

وكلما كان الداعية شديدا وجارحا في ألفاظه كثير المجادلة سليط اللسان متكلفا قاسي اللفظ والفعل؛ كلما قلّ تفاعل المدعويين معه وقد يفقده، وقد قال ﷺ: ((مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَدِيءِ))^(٦٧) .

ثانيا: سلوك السیما والهیئة (المظهر والهیئة الخارجیة):

والهیئة هی: "صورة الشیء وشكله وحالته"^(٦٨) ، ويتعلق هذا الجانب بهیئة الفرد وملامح وجهه، والطابع المميز لقسماته، والسیما التي تغلب عليه عند ملاقة

الآخرين، وهيئته في كلامه وضحكه، ومشيه وجلوسه، بل وكيفية لباسه حيث إن اللباس يعطي انطبعا قويا عن إسراف المرء أو توسطه، وتواضعه أو تكبره. والداعية إما أن يعرف بطلاقة وجهه وانبساط أساريره؛ فيكسب الناس ويملك مشاعرهم، وإما أن يكون مقطب الجبين عابس الوجه؛ فينفر الناس منه، وقد يكون معروفا بجموده وعدم تفاعله فيقيم حاجزا وهميا بينه وبين المدعويين ويشعرون ببعده عنهم وعدم قدرتهم على الانسجام معه.

وتنقسم الهيئة الظاهرة إلى نوعين: جبلي ومكتسب، فالجبلي: هو ما خلق عليه الإنسان وامتن الله به عليه من صورة وجهه، والجمال الجبلي أمر تحبه النفوس وتأنس به وهو محبوب عند الله تعالى، كما بين ذلك النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ))^(٦٩) ، وموضوع التفاعل هنا ليس متعلقا بهذا النوع وإن كانت الدعوة بحاجة إلى من أكرمهم الله بجمال ظاهر، أما المكتسب فهو ما طلبه الشارع من تحسين الهيئة والشكل والنظافة والتزام سنن الفطرة وسائر الأفعال التي يقوم بها الداعية وتؤدي إلى التآلف بينه وبين المدعويين ولا تنفرهم منه^(٧٠).

ومما يؤكد أثر الهيئة والسمت الظاهر في تفاعل المدعويين: أن مظهر الداعية هو أول ما يواجه المدعو، وأن أول ما ينطبع في ذهنه هو شكل الداعية، والناس يفتشون كثيرا في مظهر الداعية لما قد يكون مخالفا لما يدعوهم إليه، كما أن مجال الاقتداء به في مظهره سيحتل جزءا رئيسا من وسائل جذبته للمدعويين.^(٧١)

ولحدوث التفاعل الدعوي المؤثر لا بد للداعية من مراعاة سلوك الهيئة والسيما لسرعة تأثر المدعو بها، ومن أهم سمات الداعية المؤثر طلاقة الوجه وبشاشته، كما

قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه فِي وَصْفِ إِمَامِ الدَّعَاةِ: ((مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا ضَحِكًا))^(٧٢).

ثالثاً: سلوك التعامل المعتاد:

ويتعلق بأسلوب الداعية في تعامله مع المدعويين في حياتهم العامة، ومراعاته لقدراتهم وميولهم، ومعالجته لقضاياهم، وتفاعله مع مشاعرهم ومدى رفقته وسهولته أو صلابته وصعوبته، والداعية إذا اعتاد أن يكون سهلاً ميسراً ورفيقاً شقيقاً، وإذا لمح فيه الناس الميل إلى اليسر والسماحة، وكان دائماً يختار الطريق الأرفق والبديل الأحسن ولو على حساب نفسه؛ أحبه الناس وتقربوا إليه وتفاعلوا معه، وشاركوه مشاعره، بل ربما صار العدو ولباً حميماً بسبب هذا التعامل^(٧٣)، قال تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ((فصلت: ٣٤))، وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان رؤوفاً رحيماً حسن التعامل مع الناس رفيقاً سهلاً، وصفته أم المؤمنين رضي الله عنها بقولها: ((مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُتْهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ))^(٧٤).

وكان يدعو صحابته إلى تمثل أحسن السلوك واليسير على العباد في تعاملهم،

^(٧٥)

فيقول صلى الله عليه وسلم: ((يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَسَكَّنُوا وَلَا تُنْفِرُوا)).

وقد أثنى الله تعالى على من جمع في سلوكه بين الدعوة والقدوة في قوله تعالى

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ((فصلت: ٣٣))،

قال الحافظ ابن كثير: "أي وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد،

وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يآتمر
بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى^(٧٦).

رابعاً: سلوك الدعوة والاحتساب:

ويتعلق بأساليب الداعية في دعوته للناس، وطريقته في أمرهم بالمعروف ونهيهم
عن المنكر، فإن لهذا السلوك أكبر الأثر في تحفيز المدعو للتفاعل والتجاوب أو الرفض
والإعراض، وكلما غلب على سلوك الداعية الحكمة والرفق والحلم والصبر في
دعوته، وكلما راعى حاجات المدعويين وظروفهم، وكلما كان أقدر على مراعاة
الفروق الفردية بينهم، وأكثر خبرة بإنزالهم منازلهم واعتبار مستوياتهم الثقافية؛ كلما
شعر المدعوون بحرصه على هدايتهم، وكان قادراً على كسب قلوبهم وكان المدعوون
له أطوع وأقرب، وقد وجه النبي ﷺ دعواته إلى هذا بقوله: ((يَسْرًا وَلَا تُعْسرًا، وَبَشْرًا
وَلَا تُنْفِرًا، وَتَطَوَّعًا))^(٧٧).

وقد بلغ الشاب الذي استأذن في الزنا أعلى درجات التفاعل والاستجابة برفق
النبي ﷺ به وحكمته في دعوته، حيث وُصف الشاب بأنه: ((لَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى
يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ))^(٧٨)

وتؤكد علاقة التفاعل الدعوي بسلوك الداعية لأن الناس يراقبون أفعال
الداعية وتصرفاته مراقبة دقيقة، حيث إنهم يتوقعون رؤية صورة تطبيقية لدى الداعي
لما يدعو له، وغالبا ما تكون استجابتهم وتفاعلهم بالقدوة الظاهرة أقوى وأسرع
استجابة للدعوة من خلال القول فقط، وفي ذات الوقت فإن مخالفة الداعية لما يقوله؛
تدعوهم إلى رفض دعوته وعدم التفاعل معه^(٧٩).

المبحث الثالث: المجال الاجتماعي

تقوم العلاقة بين الفرد وبين مجتمعه على الأخذ والعطاء والتأثير المتبادل، وهي في جوهرها علاقة إيجابية لا سلبية، فالمجتمع يؤثر في الفرد ويطبعه بالطابع العام الذي يتلاءم مع هذا المجتمع، والفرد بدوره يؤثر في حياة المجتمع بما يضيفه إلى الحياة الاجتماعية من إنتاج وأفكار ونظم واختراعات، والفرد يكتسب معظم ميوله واتجاهاته وقيمه ومثله العليا من المجتمع الذي يعيش فيه، أو بالأحرى نتيجة التفاعل الذي بينه وبين هذا المجتمع وذلك عن طريق ما يمر به من خبرات ومواقف منذ طفولته المبكرة، ولا تقتصر علاقة الفرد بالمجتمع على مجرد اكتساب قيم المجتمع بل إن المجتمع هو الذي يحدد للفرد الدور الذي يقوم به فإما أن يكون قائدا أو مقودا، وذلك بتعدد المؤسسات الاجتماعية التي يساهم في نشاطها^(٨٠).

التفاعل الاجتماعي يشير في الغالب إلى إقامة علاقة بين شخصين أو أكثر كالزوجين، والرئيس والمرؤوس، والطالب والأستاذ، والداعية والمدعو، ويصبح سلوك هذين الشخصين يعتمد بعضه على بعض، أو يتوقف ما يقوم به الطرف الثاني على ما يقوم به الطرف الأول^(٨١).

الإنسان بطبعه يحرص على أن يتقبله المجتمع، لذلك يتعلم أعراف وقيم المجتمع وعاداته ويتفاعل معها، ولا يشذ عنها حتى يستطيع أن يتكيف معها نفسيا وفكريا ووجدانيا ويشبع حاجته الطبيعية بالشعور بالانتماء والقبول عند الآخرين. ومن أوجه التفاعل الاجتماعي: الإحسان إلى الآخرين ورعاية ما يقوي أواصر الجماعة مثل: إفشاء السلام والتهادي، وحضور وإجابة الدعوات والمشاركة في المناسبات الاجتماعية، فعن النبي ﷺ، قال: ((لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ

إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَيْتُ))، وقال ﷺ: ((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا))^(٨٢) قوله:
 ((مَنْ دُعِيَ إِلَى عُرْسٍ، أَوْ نَحْوِهِ، فَلْيَجِبْ))^(٨٣) ، والناس من خلال هذه الحفلات
 يشعرون بقيمتهم ومكانتهم لدى الآخرين، وهو إكرام من قبلهم لمن دعاهم، كما أن
 فيه مواساة وأخوة ودوام للمعروف، ذلك أنه " لا يبعث على الدعوة إلى الطعام إلا
 صدق المحبة، وسرور الداعي بأكل المدعو من طعامه، والتحبب إليه بالمؤكلة، وتوكيد
 الذمام معه بها، فلذلك حض النبي ﷺ على الإجابة ولو نزر المدعو إليه"^(٨٤) .

المبحث الرابع: المجال الوجداني (العاطفي).

ومجاله حسن الاستخدام والاستثمار للمشاعر الإنسانية والارتقاء بها، فالحب
 والبغض عاطفتان فطريتان في قلب الإنسان، وقد جاء الإسلام بتهدئتها وتوجيهها
 الوجهة الصحيحة، فعمل على غرس عقيدة المحبة والولاء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين،
 والبغض والبراءة من الكفر والشرك والفسوق، وجعلهما أوثق عرى الإيمان، كما
 ألزم بشرط الإيمان في قوله ﷺ: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ
 وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))^(٨٥) ، وبشر الصحابة بقيمة هذه المحبة وفرح بها الصحابة أشد
 الفرح فعن أنس ﷺ: ((أَنْ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: " وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟ " قَالَ: لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: " أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّتَ " . قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: " أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّتَ " ، قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أَحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ
 أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ))^(٨٦) .

وترجمة الداعية لهذه العاطفة عن طريق إعلان الحب للمدعو والاندماج في المشاعر ودفع هذه العاطفة في التوجيه للخير، كقول النبي ﷺ لمعاذ ﷺ وقد أخذ بيده: ((يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَأُتَدَعَنَ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ))^(٨٧).

وقد اعتنى الإسلام بالجوانب الوجدانية العاطفية لقوة اثرها في سلوك الإنسان وحالته النفسية، فالإنسان وحدة نفسية جسمية عقلية اجتماعية روحية مترابطة، وتقوم داخل هذا الكل -أي الإنسان- علاقات تفاعل بين قواه النفسية والجسمية، ومن أظهر دلالات هذا التفاعل أن حالات الانفعال تؤثر في كيان الإنسان كله وفي وظائفه، وإذا استمرت حالة الانفعال العنيف كالغضب أو الحزن أو الثورة أو التوتر أو الشر أو الصراع والتأزم أدى ذلك إلى حدوث تغيرات جسمية كبيرة في جسم الإنسان^(٨٨).

ومن أوجه التفاعل الوجداني: إظهار الفرح والسرور البالغ بمن يرغب الداعية في إمالته للخير، وبذل المحبة والود له، وغض الطرف عما سلف منه من قبل، كما فعل مع عكرمة بن أبي جهل ﷺ، لما جاء راغبا فنهى المسلمين عن تعبيره بماضيه، وقال: ((يَأْتِيكُمْ عَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ مُؤْمِنًا مَهَاجِرًا، فَلَا تَسْبُوا أَبَاهُ، فَإِنْ سَبَّ الْمَيْتَ يُوْذِي الْحَيَّ وَلَا يَبْلُغُ الْمَيْتَ، فَلَمَّا بَلَغَ بَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَثَبَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا عَلَى رِجْلَيْهِ فَرَحًا بِقُدُومِهِ))^(٨٩)، وهذا بلا شك مما يريح المدعو ويزيح القلق المكسد الجائم على صدره ويجرره منه، وهذا بدوره يولد الدفء العاطفي والإشباع والاكتفاء الوجداني للمدعو، فيقبل مستجيبا طائعا.

الفصل الثالث: مقومات التفاعل الدعوي

مدخل

يرتكز التفاعل الدعوي في مجالاته على عدة مقومات تؤثر فيه سلباً أو إيجاباً، وعلى الداعية التعرف على هذه المقومات لتحسين الإعداد للعملية الدعوية، وفي قوله تعالى ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ (البقرة: ١٨٩)، تنبيهه إلى أهمية سلوك الطرق الصحيحة للوصول إلى النتائج المرضية، قال الشيخ السعدي: "يستفاد من إشارة الآية إلى أنه ينبغي في كل أمر من الأمور أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جعل له موصلاً، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله يحصل به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمراً من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود"^(٩٠)، فمن المهم للداعية أن يدرس العملية الدعوية بأركانها الأربعة كوحدة واحدة، ليعرف أسلم الطرق وأفضلها لتحقيق أهداف الدعوة، وذلك من أجل إنجاح العملية الدعوية والوصول للتفاعل المطلوب، كما أنه من الضروري للداعية أن يلمس الجوانب المختلفة لعملية التفاعل عند الداعية والمدعو: كالجانب النفسي، والجانب الجسدي والسلوكي، والجانب المعرفي العقلي، للوصول إلى نظرة متكاملة، فالتفاعل الدعوي المطلوب ليس ردة الفعل المؤقتة والإثارة الوجدانية التي تنتهي وتخبو جذوتها بانتهاء العملية الدعوية، بل المطلوب هو التفاعل المستمر الرامي إلى التغيير والإصلاح في أحوال المدعوين.

وأهم مقومات التفاعل الدعوي التي سيتناولها الفصل: المقومات المتعلقة بالداعية ذاته، والمقومات المتعلقة بالمدعو، ثم مقومات الوسائل والأساليب، وأخيرا المقومات المتعلقة بالبيئة المحيطة، وتفصيله كما يأتي:

المبحث الأول: مقومات التفاعل الدعوي المتعلقة بالداعية.

إن عملية الدعوة عملية مركبة، لا نستطيع عزل جانب منها عن الجوانب الأخرى، فأركان الدعوة من داعية ومدعو وموضوع الدعوة والمناهج والأساليب والوسائل لا يمكن فصلها عن بعض، أو فصلها عن أهداف الدعوة وارتباطها بمصلحة الناس وحاجاتهم، فهي عملية لا تقاس فعاليتها بنتائجها فحسب؛ وإنما بما يتم خلالها من عمليات وتفاعلات وما ينشأ عنها من علاقات، وما ينتج عنها من تغييرات في جوانب عديدة متنوعة.

وللداعية الناجح مقومات عديدة وخصائص متنوعة، تسهم إسهاما مباشرا في إحداث التفاعل والتجاوب بينه وبين المدعويين، ومن هذه المقومات ما هو فطري قد صقلته البيئة والتنشئة، ومنه ما هو مكتسب تعلمه خلال مروره بمراحل العمر المختلفة، أو سعى إلى اكتسابه بعد طلب على بصيرة ما دام يحقق له أهدافه في حياته، ويحقق التفاعل المنشود، فالداعية هو العنصر الفعال والمحرك الأساس للدعوة ويقع على عاتقه مسؤولية التبليغ والإصلاح، وهو المنفذ للرسالة والحامل للأمانة، ومهما يقال أو يكتب عن العملية الدعوية فإنه لا يعني شيئا إذا خلا ميدانها من دعاة أكفاء قادرين على تحمل تبعاتها والقيام بمتطلباتها.

ولما كان للداعية هذه الأهمية في العملية الدعوية؛ فمن الضروري أن ينال من العناية بقدر يتناسب مع الدور الخطير الذي يقوم به في دعوة الناس وهدايتهم إلى الخير، وقد سبق ذكر جملة من صفات الداعية المؤثرة في التفاعل الدعوي في مجال

سلوك الداعية منها ما يتعلق بأقواله ومنها ما يتعلق بأفعاله وسلوكه الظاهر، وفيما يلي تفصيل أكثر للمقومات التي يحتاجها الداعية لنتج دعوته تفاعلا مثمرا.
ويمكن تصنيف مقومات التفاعل الدعوي المتعلقة بالداعية إلى خمسة أقسام هي:
المقومات الاتصالية، والمقومات الأخلاقية، والمقومات المعرفية، والمقومات الوجدانية، والمقومات المهارية.

أولا: المقومات الاتصالية:

وهي من أهم المقومات التفاعلية للداعية، وتعتمد قوة إقناع الداعية على مقدار مهارته في عملية التواصل مع المدعويين، فإذا أتقن ذلك فإنه على الأغلب سيؤثر فيهم ويتفاعلون معه.

إن حدوث التفاعل والتجاوب والاقتناع مبحث كل داعية، ومن أهم العوامل المؤدية إليه طريقة تعامل الداعية مع المدعويين، فالدعوة -كما سبق- من أنواع الاتصال الإنساني، "وطرائق الاتصال إذا لاقت لدى طالبها ما يعززها ويوسع آفاقها ويمنحها أصالتها ومعاصرتها؛ غدت مهارات تجعل من صاحبها إنسانا ناجحا ومتميزا، محققا أهدافه بيسر وجمال"^(٩١).

وقدرة الداعية على إثارة التفاعل لدى المدعويين أمر يجمع بين الفطرة والاكْتساب، وتوافر المهارات الاتصالية التفاعلية عند الداعية تحتاج إلى أمرين اثنين: الطبع والصنعة، أما الطبع فما كان لدى الشخص من موهبة مجبولة فيه، أي الاستعداد الشخصي الفطري، وأما الصنعة فهي ما يكتسبه الشخص من علوم ومعارف ينالها بالدراسة والاطلاع والمثابرة على اكتساب أصول هذا العلم وفصوله، فالطبع المفطور عليه الإنسان وحده غير كاف والصنعة وحدها غير كافية، وقمة

التأهيل لإتقان مهارات الاتصال والتفاعل مع المدعويين، فهي قدرات شخصية خالصة تتأتى لطالبيها بالمران والتدريب .^(٩٢)

و الناظر في حال كثير من الدعاة اليوم يرى كثيرا جهودا وفتورا ورفضاً للتجديد أو الارتقاء بالنفس وبالذعوة، حتى يكاد يعتقد بأن حال الداعية هو أداء للواجب وخروج من عهدة التكليف فقط، دون إتقان، أو تخير للأفضل، وكثيرا ما يلقي اللوم على الغير عند عدم الاستجابة والتفاعل، وبدلا من أن يفكر في كيفية النهوض والارتقاء والتطوير المؤدي للتفاعل، تجده يذهب إلى إعلان ما يجب أن يكون، مرددا كلمة: يجب أن يكون كذا وكذا، دون أن يكلف نفسه بالتفكير في طرق الوصول لتحقيق هذا الواجب.

وتقوم مهارات الاتصال بين الداعية والمدعو على قاعدة عريضة من التبادلية، ذلك "أن حسن التجاوب وحرارة الاتصال بين طرفين والتفاعل بينهما يعتمد اعتمادا كبيرا على مفهوم (التبادل في العلاقات)، فعلى قدر ما يبذل كل طرف من جهده وماله ومشاعره نحو الطرف الآخر؛ تقوم العلاقة وتتصاعد إلى أعلى"^(٩٣) ، وهذه القاعدة تستعمل بين الناس في حياتهم اليومية كثيرا ولها وجوه متعددة، ففي العلاقات الاجتماعية والتعاون الاجتماعي يحصل الزيارة ورد الزيارة، والتحية ورد التحية، وبذل الخير والمعونة والشكر لذلك ولا تستقيم وتتصاعد العلاقات الاجتماعية إذا لم يحصل فيها تجاوب وتبادل، وقد قال النبي ﷺ: ((مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَلَيْكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ))^(٩٤) .

ويترتب على هذه القاعدة الألفة والتقارب والتعاون وتبادل المحبة والتقدير وهذه قمة التفاعل الدعوي التي تحقق أهداف الدعوة، وقد قال النبي ﷺ مبينا أثر هذه العلاقة التفاعلية التبادلية بين أفراد المجتمع: ((لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))^(٩٥) .^(٩٦)

فيقدر ما يقدم الدعاة للمدعوين من مراعاة وعناية واهتمام، ويقدر ما يبذلون من رحمة وشفقة وحرص، وما يحيطون به المدعو من صدق في القول والفعل؛ بقدر ما يتفاعل هذا المدعو ويقدم الاستجابة والبر والمعروف.

ولخصائص الداعية الاتصالية أثر بالغ في تفاعله مع المدعو ومن تطبيقاتها

الدعوية ما يلي:

١- منح التقدير والاهتمام للمدعو، فالنفوس البشرية تنزع نحو التقدير، وتستجيب للاهتمام وهو سنة النبي ﷺ مع أصحابه حيث كان يشعر كل منهم بسمو مكانته لديه، ومن ذلك حسن استماع الداعية للمدعو وإنصاته له، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يخطب فجاءه رجل فقال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَأَ يَذْرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيِّ حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَنَّمَّ آخِرَهَا))^(٩٧) ، وتعظم هذه العناية والاهتمام عندما تشمل جميع أصناف المدعوين، فعن أنس رضي الله عنه أن ((امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة، فقال: ((يا أم فلان! انظري أي السكك شئت، حتى أقضي حاجتك)) فخلا معها في بعض

(٩٨) ، والركيزة النفسية لهذا المقوم أن اهتمام الداعية بالمدعو وتقديره له يساعد المدعو على الإفصاح عن مشاعره وآلامه ومشاكله وتساؤلاته، وهذا فيه تخفيف من حدة وطأتها على نفسه وتحقيقا لراحته عن طريق مشاركته له الهموم، وإعطاءه التقدير والمكانة المرضية اللاتقة به.

٢- قدرة الداعية على تحفيز المدعو: فالدوافع جزء أساس من التركيب البشري، وهي حاجات ناقصة تتطلب الإشباع، ويظل الفرد متوترا حتى يشبعها بدرجة معينة فيشعر حينها بالتوازن، أما الحوافز فهي الأشياء التي تُقدم لإشباع هذه الدوافع، وحيث إن الدوافع تدور ضمن ثلاثة محاور هي: الدوافع العضوية، والدوافع الدنيوية، والدوافع الأخروية، فإن الحوافز أيضا تدور في نفس الفلك (٩٩).

وليحقق الداعية التفاعل مع المدعو فإنه يحتاج إلى تقديم ما يشبع إحدى الحاجات أو الدوافع لدى المدعو، خاصة في مجالي الحوافز الدنيوية والأخروية، أما في مجال الحوافز الدنيوية فإن الداعية يتدرج في استخدام الحوافز الأكثر قربا ووضوحا والأسهل استعمالا وتطبيقا حتى لو كانت ليست أقل أثرا أو أقصر بقاء -فيقدم الحوافز المالية والمادية والهدايا، وقد ثبت عن النبي ﷺ كرمه وواسع عطايه حتى إن الرجل ليقول: ((مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ اسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفُاقَةَ)) (١٠٠).

٣- استثمار الميول العاطفية والانفعالية والاجتماعية، حيث يقدم الداعية الحوافز النفسية كالميل للثناء والانتماء والحماية والمساندة والأمن، (١٠١) أو يستخدم

الحوافز العقلية مثل ميل المدعو للإنجاز والتحصيل، وإشباع رغبته في الاستطلاع، وحفزه بالتحدي والحاجة. ^(١٠٢)

وأعلى هذه الحوافز الدنيوية: الحوافز الغيبية، التي تستثمر ميول الفرد وحاجاته العبادية وإحساسه بالحاجة للاستعانة بخالقه تعالى واللجوء إليه، ومن ذلك قوله ﷺ: ((يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ، إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنِ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنِ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَيْبًا نَفْسٍ كَسَلَانَ)) ^(١٠٣).

أما التحفيز في الدائرة الأخروية، فهو أشمل الحوافز وأعمقها، وأبعدها أثرا في النفس والسلوك، ومن ذلك: التذكير برضوان الله وتجنب سخطه، وتبصير المدعو بحقيقة الدنيا مقارنة بالآخرة، ومنها: بيان حقيقة الموت وأنه نهاية الإنسان في الدنيا، والتذكير بأهوال يوم القيامة وما يجري فيها من أحداث وحساب، وبيان وصف الجنة ونعيمها ووصف النار وجحيمها، والتذكير بالخلود والبقاء يوم القيامة، إلى غير ذلك مما ورد في نصوص الوحي.

ومهارة الداعية في التحفيز في الجانب الأخروي تظهر في تناوله مباشرة وكأنه رأي عين، وفي توازنه في العرض بين الترغيب والترهيب، وفتح باب التوبة للمدعو والبعد عن التقنيط والتثبيس، وتنوع أساليبه في العرض كاستخدام المقارنة والموازنة بين النعيم والجحيم، واستخدام الصيغ والألفاظ البلاغية التي تشعر المدعو بالقرب الزمني والمكاني ^(١٠٤).

٤-مراعاة الداعية لفنون الحوار، مثل: الاتفاق على المبادئ والمعايير بين طرفي الحوار، والحرص على تحقيق المصلحة، والبعد عن نقاط الاختلاف والنزاع، والانطلاق من النقاط والمواقف المتفق عليها، وضبط النفس وتجنب الانفعال، والبعد عن اللهجة العدوانية واتهام الطرف الآخر وتوجيهه، ومراعاة الفروق الفردية، والاتفاق على المسلمات والأمور الواضحة، والتأدب بالأخلاق الحسنة، ومراعاة مشاعر الآخرين، والانضباط بالقواعد المنطقية والعقلية الصحيحة، واتباع اللين والحكمة والتودد والتحجب والابتعاد عن المراء والجدال.. إلى غير ذلك من آداب الحوار وفنونه المعروفة^(١٠٥).

٥-القرب من المدعويين: وإشعارهم بتوافر الوقت لهم والشعور بهم: كقول جرير بن عبد الله رضي الله عنه: ((مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسَلَّمْتُ وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا ضَحِكًا))^(١٠٦).

ثانيا: المقومات الأخلاقية:

يعد حسن خلق الداعية من أهم المقومات التي تؤثر في المدعو وتدفعه إلى التفاعل مع الداعية والاستجابة له، وكم كسب الدعاة قلوب الناس بحسن أخلاقهم وأصلحوا أحوالهم، وكم نفر المدعوون من الداعية ذي الأخلاق السيئة، فتحلي الداعية بمكارم الأخلاق دلالة على أدائه للواجبات الاجتماعية بكفاءة وإتقان، ودلالة مهارته في التكيف الاجتماعي مع الآخرين، وحكمة في سياسة النفس وتربيتها على المكارم، وحينها يكون الداعية قدوة حسنة مؤثرة، ذلك أن "حسن الخلق لا يؤسس في المجتمع بالتعاليم المرسله، أو الأوامر والنواهي المجردة، إذ لا يكفي في طبع النفوس على الفضائل، أن يقول المعلم لغيره: افعل كذا، أو لا تفعل كذا، فالتأديب المثمر

يحتاج إلى تربية طويلة، ويتطلب تعهدا مستمرا، ولن تصلح تربية إلا إذا اعتمدت على الأسوة الحسنة، فالرجل السيء لا يترك في نفوس من حوله أثرا طيبا، وإنما يتوقع الأثر الطيب ممن تمتد العيون إلى شخصه، فيروعها أدبه^(١٠٧)، ومن أهم الأخلاق المؤثرة في تفاعل المدعوين مع الداعية ما يأتي:

صدق الداعية: وهذا له علامات يختبرها المدعو فيه منها: العزة والاستعفاف عما في أيدي الناس وعدم التعلق بالدنيا، وهو المنهج الذي سلكه موكب الأنبياء من قبل، فالداعية الحق هو الذي يطمئن الناس إلى أنه لا يريد شيئا من حطام الدنيا ومما يملكونه، إنما هو يطلب أجره من رب العالمين الذي كلفه بدعوة الناس إلى صراطه المستقيم في قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ((الشورى: ٢٣))، والداعية الصادق هو الأكثر تأثيرا في مستمعيه، والصدق يعني أن يعكس حديثه حقيقة مشاعره وأفكاره، ويعني مطابقة أفعاله لأقواله، وحينئذ سيعكس حديثه قدرا كبيرا من الثقة في النفس، وعدم تأثر المدعو بأقوال الداعية لا يرجع دائما إلى عدم اهتمامه برسالته أو عدم فهمه لها، وإنما يرجع إلى أن تصديق المدعو للداعية يؤثر على دوافعه نحو قبول ما ينتهي إليه الداعية من استنتاجات^(١٠٨).

العدل: وهو إعطاء كل ذي حق حقه، وهو فضيلة فردية و اجتماعية، أما كونه فضيلة فردية؛ فلأنه يدل على مزاج ذاتي خاص عند الإنسان العادل، وأما إنه فضيلة اجتماعية؛ فمن حيث مراعاة هذه الفضيلة لحقوق الغير^(١٠٩) والعدل يكفل لكل فرد وكل جماعة قاعدة التعامل القائمة على الاستقرار والثقة البريئة من الميل والهوى، فلا

تتبدل لعلاقة النسب أو المصاهرة، أو الغنى والفقر إنما تمضي في طريقها تكييل للجميع
(١١٠)
بمكيال واحد .

ومن صور عدل الداعية، التسوية بين المدعويين في المعاملة، ومكافأة جهودهم
بحسبها، وإسناد الأعمال والوظائف لمن يستحقونها، وعدم المفاضلة بينهم تبعاً للهوى
والمصلحة الشخصية، أو غير ذلك من الأسباب الغير شرعية.

الرحمة: وهي من الأخلاق الجليلة التي كتبها الله تعالى على ذاته المقدسة، امتناناً منه

تعالى وتفضلاً على عباده، كما قال تعالى: ﴿كُنْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام: ١٢)

وبفضل الله ومنتته على رسوله ﷺ كان رحيماً لنا رفيقاً، كما وصفه في قوله

تعالى: ﴿فِيمَا رَحَمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ رَاحِمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، والرحمة منبع كريم يفيض
بالعطاء والرفق، وهي رقة تلامس القلب، وتدفع إلى مشاركة الداعية الرحيم لغيره في
آلامه ومسراته، والشعور بمثل مشاعره، وحب الخير له (١١١)

البذل والعطاء: والمثل الأعلى في البذل والكرم والجود هو النبي ﷺ، حتى إنه

كان أجود بالخير من الريح المرسلة، ولا يُسأل شيئاً قط فيقول: لا، وكان ينفق مما آتاه
الله تعالى بسخاء نصرته للإسلام والدعوة إليه والترغيب في الدخول فيه، يقول أنس
رضي الله عنه: ((أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ؛ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: "أَيُّ
قَوْمٍ أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ، فَقَالَ أَنَسٌ: "إِنْ كَانَ
الرَّجُلُ لَيَسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّىٰ يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا
عَلَيْهَا)) (١١٢)، وذلك بركة عطاء النبي ﷺ وانسراح صدره للإسلام.

التواضع: وقد سُئل الفضيل بن عياض رحمه الله عنه، فقال: أن يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله. وقيل: التواضع أن لا ترى لنفسك قيمة، فمن رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب ^(١١٣).

وحقيقة التواضع: أن يلين الداعية للمدعو مع حفظ عزة النفس وترك التذلل، ومن التواضع عدم الافتخار بالآباء والأجداد والمكانة، أو بالأموال والجاه، وهو من الأمور الباعثة على التآلف بين الداعية والمدعو، وهو من الأخلاق الكريمة التي أمر الله تعالى بها نبيه ﷺ في قوله: **وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿الشعراء: ٢١٥﴾، فقد كان ﷺ، هينا لين الخلق جميل المعاشرة، من أشد الناس تواضعا ومن أبعدهم عن الكبر والترفع رغم ما حاز من الشرف الميزات التي أمتن الله تعالى عليه بها، فهو سيد ولد آدم وخاتم الأنبياء. ويقول مرغبا في التواضع: **((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ))**. ^(١١٤)

ثالثا: المقومات المعرفية:

إن أهم المقومات المعرفية التي تمكن الداعية من التأثير في الآخرين علمه بشرع الله وبصيرته في الدين، وعلى الداعية أن يمتلك قدرا كافيا من العلم المستمد من كتب الله تعالى، ومن سنة رسوله أما الدعوة بدون علم فإنها دعوة على جهل والدعوة على جهل ضررها أكبر من نفعها، لأن الداعية على غير علم كالسائر على غير هدى ودليل، ومن هذا شأنه يضل نفسه وغيره، وقد قال تعالى أمرا نبيه ﷺ: **﴿قُلْ هَلْ يَدْرِي سَيَلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾** يوسف: ١٠٨، فهو على بصيرة فيما يدعو إليه من شرع الله وحكمه، على بصيرة في حال المدعو، وعلى بصيرة في كيفية

دعوته، "وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها؛ فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، ولا بد من كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي"^(١١٥) ،

ولا تنجح الدعوة إلا مع العناية بالمضمون الدعوي وصدق الرسالة التي يحملها الداعية، فوسائل الداعية وأساليبه مهما بلغت في تأثيرها وخطفها لأبصار المدعويين وإثارتها حماسهم، فإنها لا تلبث أن تفقد وهجها وقيمتها وتأثيرها الآني إذا لم تحمل المعلومة الصحيحة المهمة والحقيقة الواضحة والمعرفة الصادقة، "لئن كانت النتائج للوسائل والأدوات مؤثرة وفاعلة؛ فإن العواقب لكل اتصال وإعلام لا يمتلك مضامين حقيقية وصحيحة تكون وخيمة، لذلك أكد الخطاب القرآني على خصائص وصفات الرسول أو القائم بالاتصال ليكون محل ثقة واحترام"^(١١٦) .

ومن المقومات المعرفية الضرورية عند الداعية: حسن المعرفة بالمدعويين ومراعاة الفروق الفردية بين المدعويين، والموجودة في قدراتهم النفسية والجسمية والعقلية وفي خصائصهم وأحوالهم وسمات شخصياتهم، وهذا له أثره في تعامل الداعية مع المدعو من حيث حسن انتقائه للموضوعات الدعوية والمعلومات التي تشعره بصدق الداعية، وتثير لديه التعجب والافتناع بقوة علم الداعية وخبرته، وشاهد ذلك الحوار الذي دار بين النبي ﷺ وعدي بن حاتم ^(١١٧) .

ومن الجوانب المعرفية المهمة لدى الداعية: حسن المعرفة لطبيعة المجتمع: وذلك بالتعرف على أعراف المجتمع وعاداته وتقاليده، وأنماط الثقافة السائدة فيه، ويكون هذا التعرف بأسلوب الممارسة والمعاشة والاشتراك وهو نمط أقوى في إدراك حقائق الأمور، كما تكون معاشة الداعية للمجتمع الذي يدعو معاشة المستوعب لثقافة

البيئة، دون أن يغامس حياة المجتمع في اتجاهاته التي قد تؤثر عليه، فهو يعيش في أوساط المجتمع لا في وسطه ويشترك مع فضليات الأخلاق وعظام الأمور في المجتمع، وينأى عن الشرور والانحرافات^(١١٨).

والقرآن الكريم يضع معرفة الداعية لمجتمعه ومعرفة المجتمع لسيرة الداعية موضع الاستدلال على صدق نبوته ﷺ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِمْ فَقَدْ لَيْتُ فِيكُمْ عُمَرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس: ١٦)، فكانه يقول لقومه: إن حياتي مكشوفة لكم، معلومة لمن عاصرني، فلو أعملتم افكاركم وعقولكم وتدبرتم حالي وحال هذا الكتاب؛ لجزتمم جزما لا يقبل الريب بصدقه، وأنه الحق الذي ليس بعده إلا الضلال^(١١٩)، بل إن جميع أطوار حياته ﷺ معلومة التفاصيل: لذلك قالوا في حادثة الحجر الأسود: هذا محمد الصادق الأمين.

رابعاً: المقومات الوجدانية:

ويقصد بهذه المقومات: الجوانب الداخلية الإيمانية والعاطفية والنفسية والميول لدى الداعية، ومدى قدرته على الشعور بمشاعر الغير والنظر إلى الأمور من زاوية الرأي الآخر وتبني مواقفه ولو بشكل مؤقت، كذلك أن يكون الداعية قادراً على رؤية نفسه من وجهة نظر الآخرين، وما هي رؤية المدعوين له سواء أكانوا من الموافقين أم من المعاندين الصادقين.

وأهمها وأولها: قوة إيمانه بالله تعالى وثباته على الحق، وقوة قناعته بوجوب وأهمية رسالته الدعوية التي يؤديها ومكانتها في الدين الإسلامي، وعظم أجرها وثوابها عند الله، وما يترتب على هذا الإيمان من ثقته الكبيرة بنصر الله وحسن ظنه به، وثباته عند الشدائد والفتن.

وتوافر المقومات الوجدانية عند الداعية تؤثر في تفاعله مع المدعويين وذلك من جانبين:

أولهما: جانب ثقة الداعية في نفسه، وثانيهما: جانب ثقة المدعويين في الداعية. ولن تقوم علاقة تفاعلية سليمة بين الداعية والمدعو إذا انعدمت الثقة أو ضعفت، لأنه "يستحيل قيام حياة اجتماعية من غير قدر ما من الثقة نؤسس عليه العلاقات المختلفة، ومهما اخترع البشر من نظم وقوانين لتنظيم علاقاتهم؛ فإنه سيظل هناك فراغات عديدة لا يمكن تسيير الحياة فيها من غير ثقة، ويمكن الاستغناء عن الثقة إذا تحول الناس إلى آلات صماء، أو انعدمت العلاقات بينهم وهذا ما لا يكون"^(١٢٠).

ولكن توافر هذه الثقة لا يعني استجابة المدعويين دائما، فقريش التي قالت للنبى ﷺ "مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قالت له بعد إنذاره لهم: تَبَّ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلْهَذَا جَمَعْتَنَا"^(١٢١).

"لقد كانت ثقة المجتمع في الداعية مبنية على الوضوح في سلوكه، ومعرفة تامة بأخلاقه، ومعاملة مستمرة تظهر في كل يوم جليل خلقه، ونفيس صدقه وعظيم وفائه، ورفيع محبته للناس جميعا.

و ثقة الداعية بنفسه قائمة على ثقته بربه، وثقته بالحق الذي يدعو إليه، وثقته بنصر الله، وتلك هي التي تعوز جميع قادة العمل الاجتماعي في العصر الحديث، وتلك التي امتازت بها نظم العمل مع الجماعة في منهج الدعوة الإسلامية منذ ذلك الفجر البعيد"^(١٢٢).

خامسا: المقومات المهارية:

يحتاج الداعية إلى العديد من المهارات التي تمكنه من التبليغ والتأثير في المدعوين، كالمهارات الإدارية والمهارات الاتصالية والمهارات التقنية، حيث إن تفاعل المدعو يعكس القدرة المهارية للإقناع والتأثير عند الداعية، و"هناك الكثير من القدرات الإنسانية الكامنة في مجالات الحياة إذا أهمل العناية بها فإنها تعكس آثارا سيئة على العمل والانتاج خصوصا في هذا العصر الذي يتوقف نجاح أي مشروع من المشروعات فيه إلى حد كبير على العنصر البشري، والتدريب خير وسيلة تعين أبناء المجتمع على تحمل المسؤولية كاملة"^(١٢٣).

والتدريب هو الوسيلة الأقوى لإكساب المهارات وتنميتها، وهو نوع من التنظيم والتوجيه والتعاون والمتابعة يستهدف تحقيق الانسجام بين الفرد وعمله، عن طريق رفع مستوى الأداء، مما يجعل العاملين قادرين على استغلال طاقاتهم البشرية إلى أقصى حد ممكن، ويحقق التوازن بين أوجه النشاط المختلفة، فالتدريب يجعل الشخص قادرا على إنجاز أعماله بطريقة أسهل تناولا وأكثر كفاية وقل تكلفة^(١٢٤).

من أهم القدرات المهارية عند الداعية: القدرة البيانية التي يستطيع بها الداعية إيصال دعوته للناس بوضوح يتحقق معها البلاغ المبين، فالتفاعل مع أي دعوة ونجاحها يتوقف على كيفية عرضها عرضا واضحا صادقا، وهذا يضمن الثقة بها والتفاعل معها، ووضوح العرض يراد منه أمران: وضوح الهدف، ووضوح الدليل، ووضوح الهدف: يعني ما هو المراد من الدعوة وما هي مقاصدها وإلى أي شيء ترمي، وأما وضوح الدليل فهو قائم على وضوح اللفظ وشمول الدليل على عناصر الإقناع، وهي: قبول العقل لها، وإحساس الوجدان بصدقها، وتصويرها لحقائق مسلمة، وقد اشتملت

(١٢٥)

نصوص القرآن والسنة على هذه الركائز .

وامتلاك الداعية للمقومات المهنية يقترن بحس إعداده وتدريبه، والتدريب " باختصار هو ارتقاء دائم، وانتقال من طور إلى طور، وهو مواكبة ومقاربة لما عليه الماهرون الأقوياء في مناهجهم القويمية وطرائقهم المستقيمة ونشاطاتهم الفاعلة" (١٢٦) ، وبرامج التدريب غالباً تهدف إلى حل مشكلة قائمة لدى الداعية ورفع مستوى أدائه أو مضاعفة إنتاجه في نشاط معين، ومن أمثلة برامج التدريب التي تنمي مهارات الداعية وتزيد من تفاعله مع المدعو: التدريب على الإلقاء والخطابة، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتدريب على مواجهة المواقف الحرجة، وعلى الاستفادة من التقنيات المعاصرة، والتدريب على حسن استثمار المواقف والأوقات لمصلحة الدعوة، وعلى مواجهة الجماهير ذوي الاحتياجات المختلفة (١٢٧) ، وعلى استخدام وسائل الاتصال المعاصرة والبرامج والتقنيات الحديثة، والمهارات الإدارية المتنوعة.

المبحث الثاني: مقومات التفاعل الدعوي المتعلقة بالمدعو.

يتعامل الداعية في المجتمع مع غيره من الأفراد ويتأثر بهم ويؤثر فيهم ويتفاعل معهم، ولكن كيف يتم هذا التفاعل والتأثير؟ كيف ينظر المدعو إلى الداعية، وبماذا يشعر تجاهه ونحو سلوكه؟ لماذا يميل المدعو إلى شخص محدد بعينه ويتفاعل معه بشكل إيجابي؟ بينما يشعر بالرفض لداعية آخر قد يكون أعلى شأنًا وأغلب شهرة وأقدم في ميدان الدعوة؟

إن انجذاب المدعو وتقبله للداعية يشكل شرطاً مهماً لتفاعله معه، ومن المؤلف أن يسعى الداعية لذلك من خلال عرضه لدعوته، وإثبات براعته في التأثير والإقناع، وهذا مؤثر بلا شك، ولكن الواقع يدل على أن اهتمام المدعو بما يقوله الداعية يكون

بمقدار اهتمام الداعية به وبمقدار مراعاته له، لا بأهمية ما يطرحه من علم ومعرفة، وهذا لا يتم إلا إذا فهم الداعية مدعويه وتعرف عليهم عن قرب، وعرف أحوالهم ونفسياتهم وعقلياتهم، وفيما يلي أهم المقومات المتعلقة بالمدعو والتي تؤثر في تفاعله مع الدعوة، وهي كما يأتي:

المقومات الثقافية والفكرية، المقومات الشخصية، المقومات النفسية.

أولاً: المقومات الثقافية والفكرية:

وهي الخلفية الثقافية لدى المدعويين: وقد تسمى: [الرواسب الفكرية] وتعرف بأنها: "ما ورد على الإنسان، وأثر في تكوينه العقلي، وطريقة تفكيره، وتعامله مع الحياة، وتفسيره لها، وتتجمع هذه الواردات في ذاكرته، من منزله وبيئته ومجتمعه وثقافته، لتكوّن رأياً ذا تأثير في التعامل والقبول والرد، دون أن يشعر بذلك في غالب الأحيان"^(١٢٨).

ولا يكاد يخلو مجتمع من العقائد الموجّهة نحو الكون والحياة وعلاقات الناس بخالقهم وأبناء جنسهم، وهذه في جملتها تشكل الأساس النظري والمعنوي للواقع المعاش، وتشكل أسساً فكرية ثابتة في عقولهم، وبالتالي فحين تطرح قضية من القضايا، فإن الناس لا يتعاملون معها من فراغ، وإنما من خلال الثوابت لديهم^(١٢٩).

ولما كان البشر بطبعهم ميالون لمقاومة التغيير والتحويل عما ألفوه، خاصة في الأمور المتعلقة بالعقيدة، لأنها مفاهيم متأصلة منغرس في عقل وقلب الإنسان، تترجمها الجوارح إلى سلوك عملي، فإن الاقتناع بالعقيدة الجديدة يستلزم النظر بموضوعية وتأمل وتجرد من الخلفية الفكرية السابقة. وكثير من الناس يظل متخبطاً، لا يتضح له الحق ولا ينكشف له وجهه، مهما عرضت عليه الأدلة والبراهين، لا لأن

الأدلة غير كافية للإقناع بالحق، ولكن لأن سوابق الأفكار كان لها سلطان على عقولهم، وتأثير فيها، وتغشية على بعض قدرات الرؤية لديها.^(١٣٠)

ويحدث من اجتماع ذلك في عقل المدعو ونفسه صراع بين الحق والباطل، وتضارب بين الأفكار والآراء القديمة وبين الحديثة، وينتج عن ذلك الصراع اندفاع وانجذاب إلى الاعتقاد الذي تغلب على فكره واعتاد عليه خاصة إذا قوي أثر خلفيته الفكرية، وأنتج نفورا من الاعتقاد الآخر المعاكس، وإعراضا عنه، بل ومعاداة له في بعض الأحيان، إلا أن هذا الاندفاع نحو القديم لا يمحى أثر الأفكار الجديدة تماما، إذ قد يظهر الانجذاب إليها والاعتقاد بها، في وقت لاحق، متى زال تأثير هذه الخلفية الفكرية، وسنحت الفرصة لتأثير الفكر الجديد.

وهذا الأمر - الخلفية الثقافية - يشكل الأساس لدى المدعو للاستعداد للتفاعل: ويقصد بالاستعداد للتفاعل: مدى قدرة المدعو على التفاعل في درجات ومستويات مختلفة، تعتمد على محتوى البناء العقلي أو الخلفية العلمية لديه، وعلى خواصه وسماته الأخرى مثل حالته النفسية والصحية، ولذلك يلاحظ أن خلفية المدعو العميقة في المعلومات أو ثقافته الواسعة تسهل عملية التفاعل الدعوي، ويمكن على هذا الأساس القول بأن ذوي الخلفية الثقافية الضعيفة يحتاجون إلى جهد أكبر لفهم المعلومة الجديدة المعتمدة على المعرفة السابقة ليتم التفاعل معها ومن ثم تقبلها.

ومن هنا تتأكد ضرورة مراعاة الداعية للفروق الفردية بين المدعويين، فمن مميزات الدعوة الإسلامية أنها تتلاءم مع التفاوت الطبيعي بين عقول الناس وتفكيرهم، فتخاطب كل أناس بما يتناسب مع مستوى نضوجهم العقلي، ودرجات الذكاء المتفاوتة بينهم، كما تراعي اختصاصاتهم العلمية، قال الإمام الغزالي رحمه الله: من وظائف المعلم أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله،

فينفره، أو يخط عليه عقله، فيبث إليه من الحقيقة ما يستقل بفهمها^(١٣١)، ويزيد الأمر وضوحاً خطاب الإمام الشاطبي رحمه الله لكل داعية وعالم، يوصيه فيه بعرض موضوعه ومسألته على الشريعة، فيقول مخاطباً: "فإن صحت في ميزانها فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمن وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة؛ فاعرضها في ذهنك على العقول فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها إما على العموم إن كانت مما تتقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ فالكوت عنها هو الجاري على المصلحة الشرعية"^(١٣٢).

ثانياً: المقومات الشخصية:

مما لا شك فيه أن السمات الخاصة بكل إنسان تكوّن لديه طبيعة مختلفة عن غيره من البشر في مواقفه التي يتبناها وردّة فعله واستجابته وتفاعله، ومن أهم هذه السمات المرحلة العمرية للمدعو، فدعوات الرسل ودعوات الإصلاح، تلقى غالباً مقاومة في بداية الأمر، ومن كبار السن بشكل خاص، لأن الأمور الاعتقادية عادة تتحلى عندهم بالثبوتية والاستقرار، وهذا ما يميز هذه الشريحة من المجتمع: الثبوت والابتعاد عن التقلب والتغيير.

وقد أثبتت الخبرة التاريخية والتجارب، أن الشباب يتفاعلون بشكل أسرع ويتقبلون الأفكار الجديدة والتغير الثقافي أكثر من المتقدمين في السن، "وكلما تقدم الفرد في السن كلما اكتملت الصورة ببطء، أما الشاب فإنه أكثر مرونة"^(١٣٣)، ويبين الحافظ ابن كثير رحمه الله أن أكثر المستجيبين للدعوة الإسلامية هم "الشباب وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتو وعَسُوا في دين الباطل، ولهذا

كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله شبابا، وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل^(١٣٤)، ويمكن إرجاع هذا الأمر إلى عدة عوامل:

١- إن الشباب يتحلى بالمرونة الذهنية بسبب حداثة السن، فالإنسان تتصلب آلية التفكير والاستيعاب والتكيف لديه، على نحو يحاكي تصلب الجهاز الحركي عنده، ومن ثم، فكما إنه يكتسب عادات صارمة في الأكل والمشى والكلام، فإنه يكتسب أيضا عادات صارمة في الفهم والتمثل والاعتناع، يصعب معه قبول الجديد^(١٣٥).

وعن هذا المانع من موانع التفاعل والاستجابة يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: مانع الإلف والعادة والمنشأ، فإن العادة قد تغلب حتى تغلب حكم الطبيعة، ومن ثم قيل هي طبيعة ثانية، فيربى الرجل على المقالة ويُنشأ عليها صغيرا، فيتربى قلبه ونفسه عليها، ولا يعقل نفسه إلا عليها، ثم يأتيه العلم وهلة واحدة يريد إزالتها وإخراجها من قلبه، وأن يسكن موضعها، فيعسر عليه الانتقال، ويصعب عليه الزوال، فدين العوايد هو الغالب على أكثر الناس^(١٣٦).

٢- إن الشباب من طبعه الحماس والانديفاع، بسبب طول الأمل وإحساسه بأن في العمر بقية كافية للقيام بكثير من المشاريع، ولتطلعه نحو المستقبل، أما عند التقدم في السن، فإن النفس البشرية يصيبها نوع من السامة والبطء في الانفعال والتفاعل مع الجديد^(١٣٧)، خاصة إذا كان هذا الجديد هو دين واعتقاد وعبادات ستغير حياته كلها اعتقادا وقولا وعملا.

٣- قد يجد كبار السن صعوبة في الانقياد إلى رأي من يصغرهم سناً وخبرة أو مكانة اجتماعية، وقد يرى أن في ذلك إغضاً من مكانته الاجتماعية ومنزلته، واتهاماً له بقلّة الفهم والضلال، خاصة في المجتمعات التي غلب عليها المبالغة في توكير الكبير واحترامه.

ومن السمات الشخصية المؤثرة في التفاعل الجنسي؛ فالمرأة بطبيعتها العاطفية أسرع في تقبل آراء الآخرين " ولقد تبين أن المرأة أكثر امتثالاً في المواقف التي تتضمن تفاعل الوجه للوجه.... وربما يرجع ذلك لاهتمام المرأة أكثر بانسجام ووثام الجماعة، فالمرأة تفضل مسايرة الجماعة بدلاً من مقاومة الانسجام الجماعي" ^(١٣٨) ، وقد راعى الإسلام طبيعة المرأة العاطفية وسرعة تفاعلها بقوله المعروف ﷺ: ((أَيُّ أَنْجَسَةِ رُؤْيَدًا سَوَفَكَ بِالْقَوَارِيرِ)) ^(١٣٩) .

لكن هذه السمات الفردية في حد ذاتها لا تكفل تفاعل أصحابها وامتثالهم أو عدم استجابتهم، فالامتثال والاستعداد للتفاعل أو للمعارضة يتوقفان أيضاً على طبيعة الموقف كما يتوقفان على الأسباب التي تحدد اختيار الفرد، والتي تحدد اتجاهه وميوله أمام ما يعرض عليه.

ومن المقومات المتعلقة بشخصية المدعو: حاجاته المتنوعة: فإذا كان الموضوع أو الموقف الدعوي مما يشبع حاجة مهمة عند المدعو أو يلمس أوتاره الحساسة، وتوافق مع حاجاته التي يرغب في إشباعها، فهو أدعى أن يحقق التفاعل المطلوب، لذلك كان من المهم للداعية التعرف على حاجات المدعو ووضعها موضع الاهتمام لتقديم الملائم لها، مع مراعاة أن حاجات الأفراد تختلف من بيئة إلى أخرى، وأن هناك

حاجات مشتركة لدى أكثر الناس، كالحاجة إلى التقدير والقبول الاجتماعي والحاجة إلى الانتماء إلى جماعة معينة، والحاجة إلى المشاركة الوجدانية وغيرها. ومن هنا تتأكد ضرورة تنوع الداعية في طرق تبليغه وبيانه، فيقدم الدعوة لجمهير العامة من الناس بطريقة تختلف عن دعوته للخاصة (الصفوة)، مع الحرص على تنوع الأساليب البيانية تبعاً لمستوى الثقافة عند المدعويين، فالدعوة الإسلامية موجهة للناس جميعاً، على اختلاف عصورهم وطبائعهم ومستوى تفكيرهم وأنماط حياتهم.

والداعية إذا تأمل من حوله وجد أن أمامه ساحتين: ساحة ترفرف عليها أعلام الهداية، ويؤمن أصحابها بالإسلام عقيدة وشريعة، ويلتزمون به سلوكاً، وساحة بعيدة كل البعد عن الإسلام، أو قد انطبع الإسلام في أذهانها بصورة مشوشة محرفة، كما هو الحال خارج المجتمعات الإسلامية. وكي يحقق التفاعل الدعوي فإن الواقع يفرض على الداعية أن يصوغ خطابين متنوعين:

١- خطاباً يتوجه به إلى المدعويين في الساحة الإسلامية، يركز فيه على ضرورة الالتزام والتمسك بتعاليم الإسلام، وضرورة المبادرة إلى الإحسان، والتحلي بالإيجابية، وإتقان الأعمال الدعوية.. الخ.

٢- وخطاباً آخر يتوجه به إلى الساحة الغير مسلمة أو إلى المشوشة، يركز فيه على محاسن الإسلام، ويرد على الشبه المثارة حوله، وينبغي أن تكون العناصر العقلانية في الخطاب الثاني أقوى، أما في الخطاب الأول فيشتمل على كل العناصر، لكن يكون العنصر العاطفي فيه ظاهراً^(١٤٠).

وقد لاحظ الإسلام الحاجات الإنسانية التي تؤثر في أخلاق الإنسان، فمن المعلوم أن الجبلة البشرية تنطوي على مجموعة من الأخلاق الفطرية، التي لا يمكن إزالتها بالكلية أو هدمها، بل الترفي بها لتعديلها، ومن ذلك ما فعله النبي ﷺ مع حكيم بن حزام رضي الله عنه - وهو من مسلمة الفتح - حين سأله من غنائم حنين، فأعطاه ثم سأله فأعطاه، ثم سأله فأعطاه تأليفا له، ثم أراد رضي الله عنه تهذيب خلق حب المال عنده فقال: ((يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، أَيْدِي الْعُلَيَّا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى))، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا)) ^(١٤١). فقرر حكيم رضي الله عنه الامتناع عن سؤال أحد من الناس والتزم بما قاله، فامتنع عن السؤال أو أخذ أي عطاء - رغم استحقاقه له - لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئا، فيعتاد على الأخذ، فتتجاوز به نفسه إلى ما لا يريد، ففطمها عن ذلك ^(١٤٢)، تهذبا لأخلاقه أن تنساق وراء رغباته وشهوات نفسه.

ثالثا: المقومات النفسية

وتقوم المقومات النفسية لدى المدعو على قاعدة مهمة وهي: قاعدة تأثر المدعو برأي الداعية فيه:

وهذه الركيزة تعني: " إن فكرة الفرد عن نفسه هي انعكاس مباشر لفكرة الآخرين عنه، وأن الفرد يبني كثيرا من علاقاته على أساس من الرأي السائد فيه " ^(١٤٣)، فالمدعو يتأثر بقول ورأي الداعية فيه، ويبني رأيه عن شخصيته وفقا لما يقوله الآخرون عنه، فإذا كان محلا للثقة، ومعروفا بالقدرة والنشاط، ويلقى من التشجيع والتأييد ومن التوجيه والتكليف ما يمثل رأيا يتناسب مع قدراته وإمكاناته، وموكولا إليه من

المهام ما يتطابق مع الرأي السائد فيه؛ فإن المدعو هنا سيسعى إلى تأصيل ذلك في ذاته، ويجعلها صفة من صفاته وسمته من سمات شخصيته ما أمكن، سواء كانت في الجانب الإيجابي أو السلبي^(١٤٤).

وقد كان النبي ﷺ يستثير هممة المدعويين في جوانب الإيمان والعبادة ويشعرهم برأيه فيهم، ومن ذلك قوله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: ((نعم، الرجلُ عبدُ الله لو كان يُصلي من الليل)) فكان بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً^(١٤٥).

كما يخاطب أحد زعماء قريش وأصحاب الرأي والعقل فيهم بأسلوب الإيحاء، ليحثه على الدخول في الإسلام، فيقول عن سهيل بن عمرو رضي الله عنه: ((من لقي سهيل بن عمرو، فلا يجد النظر إليه، فلعمري إن سهيلاً له عقل وشرف، وما مثل سهيل يجهل الإسلام)) فخرج إليه ابنه فأخبره بذلك، فقال: كان والله براً صغيراً وكبيراً^(١٤٦)، فكان دافعاً له للدخول في الإسلام.

ويمكن أن يكون عكس هذه الآراء فتعطي نتيجة عكسية للتفاعل الدعوي، حيث تبني فكرة الفرد عن نفسه من خلال شك الداعية فيه وعدم ثقته في قدراته، مما يورث ردة فعل تتسم بالعصيان والرفض للداعية ومقته ظاهراً وباطناً، كما تظهر السلبية والازدواجية وهذه الصفات من أهم ما يقوض التفاعل الدعوي بين الداعية والمدعو.

وكم نرى من المدعويين من يرفض الاستجابة للدعوة ولسان حاله يقول: مهما تغيرت وصلاح حالي فلن يلحظ الداعية هذا التغير، أسلوبه في انتقاصي لن يتغير حتى لو استجبت لما يأمر به، هذا الداعية يحتقر من يفعل مثلي ويلبس مثلي، فيكون هناك رفض داخلي للداعية وما يدعو إليه، وبالتالي يضعف تأثيره وتفاعله معه.

وتقسم الباحثة المقومات النفسية إلى قسمين كما يلي:

١-التوازن النفسي لدى المدعو: حيث تشكل الحالة النفسية للمدعو عنصراً أساسياً في عملية التفاعل الدعوي سلبي وإيجابي، فلكل إنسان نمطه النفسي الخاص به، وله كبشر تفاوت وتغير في حياته اليومية، فحالته النفسية أثناء غضبه ومرضه أو انشغاله تختلف عنها في بقية أوقاته، وهذا يستلزم توجيه الخطاب الدعوي بأسلوب مختلف، وكلما اعتنى الداعية بإحداث التوازن النفسي لديه، وتمكن من جعل نفسيته هادئة مطمئنة، وابتعد عما يمكن أن يثير حفيظته وغضبه، مثل إغلاظ القول عليه أو توجيه الانتقاد المباشر له، كلما تهيأت نفسه لقبول الدعوة عن طواعية وطمأنينة، وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمُورًا﴾ (التوبة: ٦)، في هذه الآية الكريمة يأمر الله نبيه ﷺ إذا جاء أحد من المشركين لا عهد بينه وبين المسلمين ولا ميثاق، وطلب الأمان أن يجيبه إلى طلبه، حتى يسمع كلام الله فيقرأه عليه ويذكر له من الدين ما يقيم به حجة الله عليه، وهو آمن حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه ^(١٤٧).

ولا شك أن محاولة إحداث التوازن النفسي لدى المدعو، بمحاولة جعل نفسيته هادئة مطمئنة والابتعاد به عما يثير قلقه أو خوفه، هو من عوامل الجذب والاستمالة، التي تدعوه إلى تكييف أفكاره وأعماله مع ما يدعى إليه، فتكون نفسه كالأرض المهية لتشرب ما يلقي إليها من خير ^(١٤٨).

وإذا استطاع الداعية أن يفرغ نفوس المخاطبين مما يثقلها فيما يتعلق بالموقف الدعوي، وذلك بموافقته في أهم ما يثير نفوسهم، والبعد عن تحطتتهم أو تسفيه

تصرفاتهم، فإنه سيجد الطريق إلى قلوبهم، ويكسب عواطفهم، ثم يقودهم إلى الفكرة والاتجاه الذي يريد.

وقد يحتاج الداعية أحيانا إلى تغيير المسار النفسي لدى المدعو في كثير من الأحيان ليتفاعل معه، وذلك بتحويل مزاجه إذا كان يسير في اتجاه معاكس لما يدعوه إليه وقد ينحرف بالدعوة عن خطها الذي رسمه الداعية، وقد يؤثر بذلك على غيره من المدعويين ويحدث أثرا سيئا في نفسيتهم، فعلى الداعية حينها أن يعمل على تغيير هذا المسار سواء أكان باستحداث موضوعات جديدة تحتاج إلى تفكير وتأمل، أو احتواء مشاعر الرفض والصدود بالاعتراف لأهل الفضل منهم بفضلهم والثناء عليهم وتذكيرهم بنعمة الله عليهم، والسمو بروحهم المعنوية، أو تحويلهم إلى أعمال أخرى تشغلهم عما هم فيه، وتصرف أذهانهم إلى أمور إيجابية، إلى غير ذلك من الأساليب التي يمكن للداعية أن يغير بها المسار النفسي للمدعو حتى يخرج من حالة الرفض والإعراض عن الدعوة^(١٤٩).

٢- اتجاه المدعو نحو الدعوة إلى الله ودعاتها: ليتحقق التفاعل على الداعية ملاحظة اتجاه المدعويين تجاه الدعوة وموضوعاتها وأهلها، ويلزم الداعية هنا التمييز بين الاتجاه والرأي عند المدعو، فالرأي يعتنقه الفرد لفترة محدودة، وأحيانا يعبر بالرأي عن الشعور السائد لدى جميع أفراد المجتمع، كما أن الغالب أن الفرد يعبر برأيه عما يجب أن يكون عليه الوضع، وليس ما هو كائن بالفعل، والآراء قابلة للتغيير وتتأثر بأساليب الدعاية وبأساليب الجدل المنطقي السليم، أما الاتجاهات فالغالب أن تبقى مدة أطول في حياة الفرد، وليس من الضروري أن تعطي الرأي العام السائد في المجتمع، وإن كان هذا لا يمنع من أن الاتجاه قد يعكس مشاعر الجماعة

التي ينتمي إليها الفرد، كما أن الاتجاهات قابلة للتغيير ولكن بدرجة أقل عمقا من
 الآراء^(١٥٠).

ويمكن تعريف الاتجاه بأنه: حالة من الاستعداد العقلي والعصبي التي تتكون أو
 تنتظم خلال التجربة والخبرة، والتي تسبب تأثيرا موجها على استجابات الفرد لكل
 الموضوعات والمواقف التي ترتبط بهذا الاتجاه، والاتجاه هو الذي يحدد استجابة الفرد
 لمثيرات البيئة الخارجية ويكمن وراءه السلوك أو الاستجابة والتفاعل الذي نلاحظه،
 والإنسان يمتلك اتجاهات متعددة نحو الأشخاص والأشياء الموجودة حوله وهذا يؤثر
 على تفاعله، وقد تكون هذه الاستجابات ودية أو عدوانية، وقد تكون تعبيراً عن
 الاهتمام والإيجابية، كما أنها قد تكون تعبيراً عن اللامبالاة أو عدم الاحترام، كما أن
 الاتجاه يتضمن استجابات تعلمها الفرد نتيجة للخبرات السابقة مثل خبرات الفشل
 والنجاح، أو خبرات السعادة والحزن، أو خبرات الثواب والعقاب، إضافة إلى أن
 الاتجاه يكون -أحيانا- نتيجة للاتجاه السائد في المجتمع الذي يعيش فيه، حيث إنه
 يتفاعل ويفسر الأحداث نتيجة هذا الاتجاه^(١٥١)، ويتعلم الفرد اتجاهاته من خبراته
 الشخصية، ومن تأثير المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في مجتمعه كالأُسرة
 والأصدقاء والمدرسة ووسائل الإعلام، ومن الثقافة السائدة في مجتمعه^(١٥٢) ويمكن
 للداعية التعرف على اتجاهات المدعوين من خلال سلوكهم وردة فعلهم أن السلوك
 هو الذي يعبر به الإنسان عن رأيه واتجاهه.

والدعوة إلى الله تهدف إلى إحداث التغيير الإيجابي عند المدعو في معلوماته
 وسلوكه واتجاهاته، وهذا التغيير يحدث -غالباً- في المعلومات والاتجاهات والسلوك
 لدى الناس على التوالي، فالتغيير النفسي يرتبط بالتغيير السلوكي، وفي نفس الوقت

يعد نتيجة للتغير في السلوك في ذات الوقت، لأن كلا منهما يعتمد على الآخر وقد

قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

ومما يدفع الناس إلى تغيير اتجاهاتهم أو تبني اتجاهات جديدة؛ رغبتهم في التكيف مع بيئتهم ومجتمعهم بشكل أفضل، ولإشباع حاجاتهم الداخلية، فالاتجاهات الجديدة حينئذ ستكسب المدعو شعورا بالرضا والراحة والطمأنينة، وإذا استطاع الداعية أن يبين للمدعو بأن الاتجاه الجديد يمثل قيما أسمى وأفضل من القديم؛ فإنه يكون أكثر إقناعا له للتفاعل مع الأفكار التي يدعوه لها.

وبشكل عام فإن التفاعل الدعوي يهدف إلى تقوية أو تعزيز الاتجاه الموجود سابقا لدى المدعو، أو تعديل اتجاه المدعو نحو الأفضل، أو تغيير السلوك الظاهر له، كقيامه إلى الصلاة عند سماع الأذان أو المسارعة للتبرع لمشروع خيري عند معرفة الحاجة لذلك، أو بعد قراءة آيات قرآنية تبين فضل الانفاق في سبيل الله.

المبحث الثالث: مقومات التفاعل الدعوي المتعلقة بالأساليب الدعوية.

لن تتناول الباحثة في هذا المبحث الأساليب الدعوية، بل ستعرض بعض المقومات التي على الداعية مراعاتها لتحقيق أساليبه التفاعل المطلوب، فلكل داعية طريقته التي يلتقي بها مع مدعويه ويتخاطب معهم، وللمدعويين مشكلاتهم وحاجاتهم المتباينة، ورسالة الداعية تتطلب منه حسن تخير الأسلوب الأمثل المناسب لدعوة الأفراد أو الجماعات، فالدعوة الفردية الموجهة إلى مجموعة محددة من المدعويين لها من الأساليب ما يختلف عن الدعوة العامة الجماعية، كما تلزمه بالتنوع والتجديد في أساليبه، لأن مرونة الدين الإسلامي وصلاحيته لكل الأزمان تقتضي الدعوة بأسلوب العصر ولغته، حيث إن تنوع الأساليب الدعوية أمر ضروري لنجاح العملية الدعوية،

فالتماثل يفضي إلى الرتبة ومن ثم الملل والفتور، في حين يؤدي التنوع إلى النماء والشراء.

إن اهتمام الداعية بالأساليب المثيرة لتفاعل المدعوين يساعده على تحقيق الأهداف الدعوية، ويمكن هذا عن طريق عدة أمور، مثل: استعمال أكبر عدد ممكن من الحواس، فالحواس إذا أثرت وارتبطت بالدعوة تفاعلت مع الداعية بشكل أكبر، وكان ذلك دافعا أكثر للتأثر، وكذلك إبراز الأغراض والأهداف التي ترمي لها العملية الدعوية، حتى تشد انتباه وتركيز المدعو إليها، وتجعله ينتظر الثمرة والنتيجة، كما أن إتقان الداعية لاستخدام أساليبه، وانتقاء المناسب لحال المخاطبين ولقدراتهم وفهمهم، مما يقوي ثقته بنفسه، ويؤكد ثقة المدعوين به، وهذا يستلزم العناية بجانب تطوير خبراته وتنمية مهاراته عند إعداده كداعية.

ولعل من الأولويات المطلوبة في مجال الأساليب الدعوية: التمييز بين موضوع الدعوة (رسالة الإسلام) أو (الدعوة الإسلامية)، أي عطاء معرفة الوحي في الكتاب والسنة والسيرة بكل أبعادها، في مجال العقيدة والشريعة والأخلاق والثقافة والسياسة والعمران.. الخ، وبين وسائل وأساليب توصيلها وإبلاغها، ذلك أن الخلط والتداخل بين الأمرين يحمل الكثير من المضاعفات والعقبات، وقد يؤدي إلى التجمد والرفض وعدم التفاعل، وإن عدم التكيف والتطور والقدرة على اكتشاف وسائل وأساليب جديدة متناسبة مع العصر، بلغته وثقافته ومع المدعو بمشكلاته واحتياجاته، يعد من أكبر عقبات الدعوة، ذلك أن "الجمود والعجز عن الإبداع في عملية البلاغ المبين، أو في أساليب ووسائل الدعوة، قد يكون مرده في كثير من الأحيان التداخل والتلبس الحاصل في بعض الأذهان بين الاجتهادات البشرية، والنصوص والقيم الإسلامية، أو بين الدين وأساليب وصور التدين من بعض الوجوه، حيث يسود التوهم والوهم بأن

أي تغيير في أساليب البلاغ المتوارثة أو تجديد فيها، أو تفكير في أوعية إعلامية متطورة، يعني انتقاص عرى الدين واهتزاز قيمه^(١٥٣).

ومن المقومات المهمة التي تحقق التفاعل الدعوي في الأساليب الدعوية ما يأتي:

١- تنوع الداعية في أساليبه بين الأساليب المباشرة التي يواجه فيها من يراد دعوتهم وتذكيرهم بالمقصود الرئيسي مباشرة دون تورية أو مجاز أو تعريض أو إشارة، وبين الأساليب غير المباشرة فيكون بخطاب غير صريح، حيث يأتي المقصود متواريا مستترا بأفكار أخرى أو أعمال تدل على المقصود من تشبيه أو قياس أو إشارة، كالكنيات والمعارض والقدوة والبيئة الصالحة ورواية القصص وضرب الأمثال وغيرها، وكلا الأسلوبين له مجاله الملائم وله مزاياه، وعلى الداعية أن يكون خبيرا بالنفوس الإنسانية فيستخدم الطريق المباشر إن كان هو الأجدى، وأن يستخدم الطريق غير المباشر إن أوصل إلى تحقيق المقصود، دون أن تصده العقبات النفسية والفكرية عند المدعويين^(١٥٤)، وقد اشتمل القرآن الكريم والسنة النبوية على أمثلة متنوعة في الدعوة والتذكير، جمعت بين الأسلوب المباشر وغير المباشر بما ينسجم مع الطبيعة الإنسانية، ويتناسب مع عامل الوقت والمكان، وقد قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

٢- العناية بأساليب الاتصال والتأثير غير اللفظية إلى جانب الأساليب اللفظية، فهي تساعد الداعية على التعبير عن مشاعره وأفكاره بدقة ووضوح وصدق، مما يضيف على العملية الدعوية حيوية وسرعة وجاذبية، كما أنه يتيح للداعية تكرار رسائله بعدة طرق ويزيد من ثقته بنفسه، وجذب انتباه الجمهور المستهدف، ومن أمثلة المؤثرات غير اللفظية: المظهر العام للداعية وطريقة جلوسه ووقوفه ومشيه، وحركات الجسد

وتعبيرات الوجه ولمسات اليد ومراعاة خصائص الصوت، وقد نبه الله تعالى إلى مثل هذه المؤثرات في آيات عديدة كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبَادُ الرَّحْمَنَ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ (الفرقان: ٦٣)، وقوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَسْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (لقمان: ١٩)، ولعل أهم المؤثرات غير اللفظية ملامح وجه الداعية حيث "يعتبر الوجه من أسرع الوسائل التي تنقل المعاني من المرسل إلى المستقبل وبالعكس، فملامح الوجه تعتبر أكبر مصدر للاتصال غير اللفظي لأنها تنقل لنا مشاعر الآخرين أو عواطفهم تجاهنا، وتكشف عن عواطفنا أو مشاعرنا تجاههم في آن واحد" (١٥٥)

ومن أهمها أيضا استعمال حركة الجسد للفت الانتباه كإدخال عناصر مفاجئة في الموقف، مثل تغيير طريقة الجلوس، وتكرار الكلام، وقد ورد ذلك في العديد من الأحاديث النبوية كقوله ﷺ: ((أَلَا أُبَيِّنُكُمْ يَا كَبِيرَ الْكَبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ" وَكَانَ مُتَكَيِّمًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: "أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ" فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ: لَا يَسْكُتُ)). (١٥٦)

٣-التوازن: قد يضعف التفاعل الدعوي عندما يُبرز الداعية وسيلة أو أسلوبا معيناً، على حساب الوسائل والأساليب الأخرى لأنه سيفتقد التوازن حينئذ، كأن يغلب على حديثه ودعوته إظهار الأخطاء وانتقاد الأوضاع دون ذكر لأي جوانب إيجابية أو ثناء على تقدم وتحسن في السلوك، أو يصب جل كلامه على النهي عن المنكر وينسى الشق الآخر وهو الأمر بالمعروف.

أو يكثر من استخدام أسلوب التهيب والتخويف، بعيدا عن فهم حال المدعويين، فيدعو عامة الناس على ما يمكن أن يكون فيهم من النقص ويصفهم

بصفات الكافرين والمنافقين، ويصب على رؤوسهم التخويف الذي يقضي على كل أملهم في التوبة والنجاة، وتزيد خطورة الأمر عندما يكون الخطاب الدعوي موجهاً لحديثي التوبة والإسلام، أو لصغار السن، فيحدث لهم قلقاً نفسياً واضطراباً سلوكياً، يبعدهم عن الاستجابة والتفاعل الصحيح، أو كأن يغلب حال الترغيب في المواطن التي تحتاج إلى الترهيب والتخويف من العواقب، نتيجة الإفراط في المعاصي وعدم نفع الترغيب، ولا شك أن العدول عن الترهيب دائماً، لا يحقق التفاعل الدعوي السليم، إضافة إلى أن غياب الترهيب عن مواطنه المطلوبة يوصل المدعويين إلى حالة من الاستهتار والدعة والأمن من عقاب الله.

مع مراعاة أن تقديم الترغيب على الترهيب هو الأصل في الدعوة إلى الله، وتغليب التبشير على التنفير هو الأجدي والأمن والأولى بالتفاعل الدعوي وهو المقدم في القرآن والسنة، وقد قال تعالى ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (البقرة: ٢١٣)، وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: ٢٨)، وقد أمر النبي ﷺ بتقديم الترغيب والابتعاد عن التنفير، ومن ذلك قوله لرسوله إلى اليمن: ((يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشِّرًا وَلَا تُنْفِرًا، وَتَطَاوَعًا))^(١٥٧)، كما وجه الوصية الكريمة إلى كل الدعاة بقوله ﷺ: ((يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَسَكِّنُوا وَلَا تُنْفِرُوا))^(١٥٨)، وهذا له اثره الكبير في الاستجابة والتفاعل حيث إن تأثير الترغيب والتبشير إيجابي جداً، ينطلق المرغَّب مغيراً للباطل، معززا للحق، مجاهداً في سبيل الله، بينما تأثير الترهيب في غير مواقعه الدقيقة سلبية، يُندم صاحبه، ويكثر من التحسر والأسى على ما اقترفه، أو ما سيجترحه، فيحذر ويخاف ولا يتقدم^(١٥٩)، ولا بأس بالتهديد والتخويف في موقعه المناسب ونطاقه المحدود مع حسن التقدير للمصالح والمفاسد.

٤- ضرورة العناية بالأساليب التي تنمي الاتجاهات الإيجابية لدى المدعوين وعدم الاكتفاء بالتبليغ فقط، فالتفاعل الدعوي لا يتأتى مع تنمية الجانب المعرفي فقط، ذلك أن دور المعرفة في تغيير الاتجاهات والأفكار محدود، وعاطفة الفرد تجاه قيمه وأفكاره تتأثر بالاتجاهات والآراء السائدة في الجو الاجتماعي أكثر من تأثرها- في كثير من الأحيان- بمعرفة الفرد، كما أن معرفة المدعو للصواب لا تضمن تخلصه من الاتجاهات والسلوك الخاطئ، فكما يقال: إن المعرفة لا تنتج بالضرورة السلوك المطلوب، بل إن المعرفة تجعل الفرد يشعر بوجود الفرق بين ما ينبغي أن يقوم به وبين ما يقوم به فعلا، والمعرفة بهذا الفرق تجعل الفرد يشعر بالتوافر لكنه لا يعدل السلوك، كما أن محاولة تعديل سلوك الفرد أو اتجاهه بطريقة مباشرة؛ تجعله يظن أنه كان على خطأ، وقد يفسر ذلك بأنه هجوم عليه سواء كان تفسيره شعوريا أو لا شعوريا، والإنسان يكره الشعور بأنه مخطئ، ويرغب في الدفاع عن نفسه (١٦٠).

وتكمن أهمية عناية الداعية باتجاهات المدعوين أن تفاعل واستجابة المدعو لاتجاهاته تختلف عن استجابته وتفاعله مع تعلمه معلوماته ومعارفه، فالعبارات اللفظية والأوامر المباشرة غير كافية لتوجيه المدعو، ولا تثمر التفاعل المطلوب، كما أن عبارة (حافظ على صلاتك) أو (لا تكذب على الآخرين)؛ قد لا تؤدي إلى تحقيق المطلوب.

وهناك أمران مهمان لغرس الاتجاهات الإيجابية:

الأمر الأول: مدى قدرة ونجاح المدعو في أداء ما يطلب منه، فالفرد الذي يجيد قراءة القرآن ويتقن تجويده لا بد أن يكون له اتجاه إيجابي نحو قراءة القرآن وحفظه.

الأمر الثاني: القدوات والنماذج التي يتعرض لها المدعو، " فنحن نتعلم الاتجاهات بشكل غير مباشر من ملاحظة سلوك الناس المهمين لنا، إذ يؤثر الآباء والمعلمون والزملاء والشخصيات العامة تأثيراً عظيماً إذا تصرفوا بالأسلوب الذي يتفق مع الاتجاهات التي يريدون تعليمها"^(١٦١)، فالمربون والدعاة الذين يظهرون في سلوكهم التواضع وحب تقديم الخير للناس والتعاون؛ لهم أثر كبير في تكوين اتجاه إيجابي عند المدعويين نحو العمل التطوعي، وبالتالي حدوث التفاعل والافتتاح للقيام به.

ومن المهم هنا الإشارة إلى أن الاتجاه ليس هو السلوك ذاته، لكنه يدفع غالباً نحو السلوك، "وفي بعض الأحيان لا يدل السلوك الظاهري على اتجاه الفرد الحقيقي، فإن العوامل الاجتماعية قد تجعل الفرد يحجم عن التعبير الصريح عن اتجاهه الحقيقي إزاء الموضوعات الشائكة"^(١٦٢)، لذلك لا يمكن إفراد أقوال الناس أو أفعالهم في الحكم على اتجاهاتهم؛ بل أنها تتنظم بشكل سلوك متكامل يوضح ذلك، وبالتالي لا يمكننا قياس الاتجاه إلا بملاحظة السلوك الفعلي للمدعويين، وأفضل طريقة لقياس اتجاه الشخص نحو موضوع ما هو ملاحظة كيف يسلك أو يتصرف إزاء هذا الموضوع، فالمرأة التي تنسى ارتداء الحجاب، وتدعي المرض عند حلول وقت الصيام. لها اتجاه سلبي إزاء هذا الحجاب وهذه الفريضة، والشباب الذين يقضون وقت فراغهم في مساعدة المحتاجين والمعوزين أو يشاركون في العمل التطوعي لديهم اتجاه إيجابي نحو معاونة الآخرين^(١٦٣).

المبحث الرابع: مقومات التفاعل الدعوي المتعلقة بالبيئة المحيطة.

عندما يدرس الداعية البيئة التي يدعو فيها، فإنه يحللها من عدة جوانب: من جانب نقاط القوة الموجودة والتي يستطيع أن يستثمرها في دعوته، ومن الفرص المتاحة التي عليه أن يحسن استثمارها لتحقيق أهدافه، إلى جانب تعرفه على نقاط الضعف

الموجودة لديه والتي قد تعيقه عن تحقيق أهدافه الدعوية، كذلك المخاطر التي قد يتعرض لها الداعية والدعوة نفسها.

إن الخطاب الدعوي المقدم لبيئة منغلقة جاهلة لاهية لا يصلح بالتأكيد لبيئة متعلمة متدينة واعية، والخطاب المطلوب للتفاعل الدعوي الذي يوجه للمدعو في بيئة صالحة واعية بهدف إصلاحه وحثه على التمسك بالإسلام، وإقناعه بأن سعادة الدنيا والآخرة ترتبط بهذا الأمر، يختلف عن الخطاب الموجه للمدعو الذي تحيطه البيئة التي ينغمس أهلها في الشهوات والملذات، ويكثر فيها تجاوز حرمان الله، بل إن تقديم الدعوة الملائم للبيئة الصالحة بموضوعاته ومواصفاته للبيئة الطالحة؛ سوف يفقده قيمته وفاعليته، بل قد ينشر صوراً سلبية عن الدعوة وأهلها، فتتحول إلى وسيلة للتفجير وإقامة الحواجز النفسية، وبالتالي سيفتقد التفاعل في العملية الدعوية.

القرآن الكريم هو مصدر الخطاب الدعوي الإعلامي الثقافي التربوي الذي تشكلت من خلاله خير أمة أخرجت للناس، وقد أخذ بالاعتبار ظروف المدعوين وبيئاتهم المحيطة بهم، وخلفياتهم الثقافية وفروقاتهم الفردية، فراعى التنوع في الخطاب، والتدرج في أخذ الناس بأحكام الدين، وتفاوت القضايا التي طرحها، وتنوع الأساليب التي استعملها في مخاطبة الناس في الفترة المكية والفترة المدنية، والسنة كمينية للقرآن وشارحة له، مع السيرة النبوية كتطبيق عملي جاءت منزلة للدعوة الإسلامية على حياة البشر المتنوعة؛ كانت أيضاً تراعي حال المدعوين وحاجاتهم ومشكلاتهم وظروفهم المحيطة بهم، ويظهر هذا جلياً في تنوع الوصايا النبوية للمسلمين تبعاً لظروفهم وأحوالهم^(١٦٤)، وفي تنوع إجابات النبي ﷺ حين سؤاله، فيقول ﷺ لمن سأله أي الإسلام خير؟ ((تَطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ

(١٦٥) **تُعْرِفُ**)) ، ويوجب السائل الآخر: أي المسلمين خير؟ بقوله: ((**مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِيهِ**)) (١٦٦) ، ومن سأله: أي العمل أفضل؟ قال له: ((**إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ**)) (١٦٧) .

ويرجع تأثير البيئة القوي فيمن ينشأ فيها إلى عدة أسباب منها: الدافع الفطري في الانسان إلى الاجتماع، والدافع المكتسب من النشأة وارتباطه بمن حوله، وعجز الإنسان عن أن يقوم بنفسه بكل ما يحتاج إليه في حياته، مع رغبته وحاجته إلى اكتساب العلوم والمهارات التي لا يتم تحقيقها إلا بالاجتماع البشري (١٦٨) ، ومما يجعل الفرد مرتبطا ببيئته ومتمنيا إلى مجتمعه لا يمكن له الاستغناء عنه؛ ارتباطه مع من حوله بمصالح متبادلة، فتفاعله مع بيئته يتم بتأثيره فيما حوله في ذات الوقت الذي يتأثر هو بما حوله.

ومن مقومات التفاعل الدعوي المتعلقة بالبيئة المحيطة ما يأتي:

أولاً: ضرورة تهيئة البيئة المساعدة على الاستقامة والتفاعل، وقد اعتمدت الدعوة الإسلامية في عصر النبوة في منهجها الدعوي " على إعداد البيئة الإسلامية الصالحة اعتمادا كبيرا، فاهتمت بتكوين المجتمع المسلم الأول عن طريق الهداية بالدعوة، فالنصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن طريق الأسوة الحسنة، والتربية الحكيمة على الالتزام بأحكام الإسلام وشرائعه وأخلاقه وآدابه" (١٦٩) ، بل إن من أساليب تعديل الاتجاهات والسلوك المعروفة: إيجاد جماعة يشعر الفرد بالانتماء إليها، ثم تهيئة وإصلاح هذه الجماعة، وعن طريق قبول الفرد للانتماء لهذه الجماعة يقبل أيضا قيمها ومثلها ومعتقداتها الجديدة.

ثانيا: المناسبة بين العملية الدعوية والواقع البيئي للمدعو فمن المهم لحدوث التفاعل بين الداعية والمدعو استيعاب الواقع والإحاطة به، والعمل على معالجة قضايا ومشكلاته، والتعامل مع المدعو بشكل يتوافق مع الحالة التي هو عليها، ومما يؤكد أهمية ذلك حدوث التفاعل القوي من الصحابة مع أسباب النزول، حيث إن أسباب نزول الآيات وورود الأحاديث النبوية استوعبت الواقع بكل أبعاده، حتى كأن الحادثة أو الواقعة هي التي استدعت نزول النص ووروده، وهي في الحقيقة نماذج ووسائل معينة على الفهم، ومساعدة على حسن تنزيل النص على الحياة، وليست قيودا زمانية أو مكانية، تحد من مدى الرؤية، واستيعاب الزمان والمكان في ضوء هداية الوحي^(١٧٠) ، ويوضح أهمية استيعاب واقع المدعويين قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (إبراهيم: ٤)، وقوله عز وجل: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (آل عمران: ١٦٤)، فدلالة الآية لا تتوقف عند البعد اللغوي كوسيلة للتخاطب والتفاهم مع المدعويين ليحدث التفاعل، لكن هناك أبعاد أخرى تتمحور حول وسيلة فهم الواقع وقضايا ومشكلاته الاجتماعية والثقافية^(١٧١) .

ثالثا: الاهتمام بعناصر البيئة الصادرة المعرضة: فعلى سبيل المثال: من معوقات التفاعل الدعوي مع القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الفجوة المصطنعة بين هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين المجتمع، والذي ساهم فيه سلبية التعامل الإعلامي مع قضايا الهيئة، وتضخيم أخطاء بعض رجال الهيئة، ونقص الدقة والمصداقية فيما ينقل عنها، وعدم لزوم الحيادية من وسائل الإعلام، مع إغفال ذكر آثارها الإيجابية على المجتمع، كل هذا كون صورة ذهنية سلبية عند أفراد المجتمع عن

الهيئة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١٧٢)، ولن يحدث تفاعل إيجابي إن كان هناك رفض للدعوة في البيئة المحيطة، أو اعتقاد أن الإسلام سبب للتخلف أو الرجعية، أو حمل أي صورة سلبية عن أهل الدين والدعوة، وهذه أمور تحتاج إلى مزيد عناية وعلاج من الداعية.

وإذا سادت القيم والاتجاهات الخاطئة في بيئة المدعو بشكل واضح، أو تلبست الأفكار والمعتقدات بالغموض؛ وأصبح المدعو في حيرة وتردد من أمره؛ أمكن إقناعه بالدعوة البيئية المقبولة، فيحدث التفاعل والاستجابة بشكل أقوى عند الفرد الباحث عن الحق عند ظهوره له، كما يظهر من واقع كثير من المسلمين الجدد الذين دخلوا في الإسلام وكان سبب اقتناعهم وضوح تعاليم الدين الإسلامي وموافقته للفتنة، إلى جانب غموض وتضارب تعاليم الإنجيل.

رابعا: من العوامل المهمة المؤثرة في التفاعل الدعوي: حجم الجماعة التي ينتمي لها المدعو، فكلما كبر حجم الجماعة التي ينتمي لها المدعو؛ كلما زاد تأثيرها عليه، وكلما زادت قوة تماسكها ووحدتها زاد تأثيرها على سلوك الأفراد^(١٧٣). وأفضل مثال على ذلك الأثر القوي الذي أحدثته مقاطعة المجتمع المسلم للثلاثة الذين خلفوا بعد غزوة تبوك، وقد عبر القرآن عن حالهم في قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ (التوبة: ١١٨)، فتفاعل الفرد مع مجموعة من الناس لا يقارن بموقفه وتفاعله مع سائر أفراد المجتمع.

مع ضرورة ملاحظة الداعية إلى أن الامتثال في السلوك لا يعني دائما أن الإنسان قد قبل الموقف أو المبدأ أو القيمة التي يدعى إليها، فالإنسان قد يمثل لموقف الجماعة دون أن يعتقد أن الموقف هو الصواب، وقد يتصرف في المواقف الأخرى

تصرفا مخالفا، والامتثال العلني لا يكشف كثيرا من الأفكار والمعتقدات الداخلية الحقيقية، والأمثلة على ذلك كثيرة، فأمام الضغوط الاجتماعية قد ترتدي المرأة الحجاب الإسلامي في مجتمعتها، لكنها في مجتمعات أخرى لا تلتزم به، وقد يحافظ الرجل على صلواته أمام أفراد أسرته وزملائه في العمل وجيرانه، ويتهاون فيها كثيرا أمام غيرهم، وهذا يعني أن "اتجاه الفرد المعبر عنه علنة؛ لا يكفل بالضرورة شعوره الحقيقي"^(١٧٤). فالامتثال يرجع في بعض الأحيان إلى ضغط البيئة والجماعة، وهو يشبع لدى الإنسان شعوره بالانتماء لمجتمعه وعدم نبذه أو عزله، ومهمة الدعوة هنا تحقيق هذا الامتثال والقبول لقيم المجتمع السليمة لتحقيق ترابط المجتمع وتماسكه وانسجامه بدلا من تفرقه وتمزقه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي وفقني إلى إنجاز هذا البحث الذي أرجو ان أكون قد وفقت فيه إلى إضافة ما ينتفع به الدعاة السائرون في سبيل نبيه ﷺ.

توصلت الباحثة من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج تجملها كما يأتي:

١- المقصود بالتفاعل الدعوي: (حدوث تجاوب فكري نفسي وسلوكي بين طرفي العملية الدعوية {الداعية والمدعو}، ينتج عنه استجابة المدعو واقتناعه وتأثره بالداعية وما يدعو إليه).

٢- التفاعل من حيث أصله سمة إنسانية وطبيعة بشرية، والتفاعل الدعوي المطلوب يعني نجاح الداعية وتأثيره في المدعويين، كما يعني تحقق نتائج حقيقية وشرعية راسخة مرضية للداعية والمدعو في آن واحد.

٣- للتفاعل الإيجابي آثار حميدة مطلوبة فهو يزيد من حيوية الداعية والمدعو ونشاطهما، فيشترك الجميع في تبادل الآراء ومناقشة الأفكار، ويتعد ظل الفتور والتقاعد عن الطرفين، كما أنه يساعد على تكوين وتطوير الاتجاهات الإيجابية نحو الدعوة والدعاة، وينمو عند المدعو الشعور بأهمية هذه الشعيرة ويزداد ارتباطه بدينه، ويقبل عليه برغبة.

٤- التفاعل الدعوي مهم جدا للعملية الدعوية، فالإسلام دين إيجابي لا يقر السلبية من اتباعه، والناس يتفاوتون في طريقة تفاعلهم ودرجته مع الدعوة.

٥- إن عملية التفاعل عملية تبادلية ذات طرفين، فالداعية يؤثر في المدعويين كما أن المدعويين يؤثرون في الداعية، فهي علاقة تأثير متبادل: تأثر وتأثير.

- ٦- للتفاعل أنواع عديدة من حيث مصدره، ومن حيث نوعه، ومن حيث زمنه ومدته، ومن حيث طبيعته، ومن حيث موضعه، ومن حيث مجاله.
- ٧- للتفاعل عدة مجالات، أولها: المجال الإيماني، وهو المجال المتعلق بعقيدة الإنسان وإيمانه، والتي من خلالها يستشعر الداعية والمدعو عظمة الله تعالى، كالسعي والتوجه للحصول على محبة الله ورضاه، والإخلاص والصدق في العلاقة مع الناس، وقوة الانتماء للدين وأهله وعمق عقيدة الولاء لهذا الدين، ثم المجال السلوكي المتعلق بالسلوك اللغوي عند الداعية، وهيئة الداعية ومظهره، وطريقته في التعامل مع الآخرين ودعوتهم، والمجال الاجتماعي، والمجال الوجداني العاطفي.
- ٨- تنوع مقومات التفاعل الدعوي، وأهمها: المقومات المتعلقة بالداعية ذاته، والمقومات المتعلقة بالمدعو، ثم مقومات الوسائل والأساليب، وأخيرا المقومات المتعلقة بالبيئة المحيطة.
- ٩- من أهم المقومات المتعلقة بالداعية: المقومات الاتصالية والحوارية ومهارته في التأثير على الآخرين وتحفيزهم، والمقومات الأخلاقية وما يتحلى به من محاسن الأخلاق الإسلامية، والمقومات المعرفية وعمق علمه وغزازه ومدى معرفته بالمدعويين وأحوالهم، والمقومات الوجدانية الروحية وقوة إيمانه بدينه وبرسالته وثقته بنفسه، وما يمتلكه من مهارات دعوية متنوعة.
- ١٠- من أهم المقومات المتعلقة بالمدعو: خلفيته الثقافية وسماته الشخصية العقلية، وصفاته النوعية وحاجاته المتنوعة، ونظرتة لنفسه، وتوازنه النفسي، واتجاهاته وقناعاته.

- ١١- من أهم المقومات المتعلقة بأساليب الدعوة: تنوعها وتجديدها ومناسبتها لفئات المدعويين، وجمع الداعية بين الأساليب المباشرة وغير المباشرة، والعناية بالأساليب غير اللفظية المساعدة على التفاعل، وتوازنها.
- ١٢- من مقومات التفاعل المتعلقة بالبيئة المحيطة: أهمية دراستها ومعرفة نقاط القوة ونقاط الضعف فيها، وتهيئة البيئة الصالحة المحفزة على القبول، ومعالجة البيئة الصادة المحبطة التي تمنع الاستجابة.

كما توصي الباحثة بما يأتي:

- ١- العناية بإعداد الدعاة وتدريبهم على المهارات المؤثرة في المدعويين.
- ٢- توجيه العناية بالدراسات المتعلقة بنفسية المدعويين وعوامل القبول والاستجابة أو عوامل الرفض والصدود لديهم.
- ٣- إجراء الدراسات التقييمية للأنشطة الدعوية المطبقة في الميادين الدعوية المتنوعة لقياس جدواها وأثرها.

تم بحمد الله وفضله

الحواشي والتعليقات

- (١) تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير، ٤/ ٣٤٥. تحقيق: عبد العزيز غنيم وآخرون، كتاب الشعب، القاهرة، ط: بدون.
- (٢) من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق: عبد الله الزبير عبد الرحمن، من مقدمة الكتاب بقلم: عمر عبيد حسنة، ص ١٣، كتاب الأمة وزارة الشؤون الإسلامية بقطر، ط: ١، ١٧١٤هـ/ ١٩٩٧م.
- (٣) انظر، كتابة البحث العلمي صياغة جديدة: د عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، ص ٣٣، ط ٩، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- (٤) انظر، المعجم الوسيط: د. إبراهيم أنيس وآخرون، ٢/ ٦٩٥، دار المعارف مصر، ط: ٢، ١٣٩٢هـ.
- (٥) انظر، تفاعل الجماعات البشرية: د. عبد الرحمن محمد العيسوي، ص ٣٩، الدار الجامعية، الإسكندرية، ط: بدون، ٢٠٠٦م.
- (٦) معجم علم النفس والطب النفسي: د. جابر عبد الحميد جابر، و د. علاء الدين كفاقي، ٤/ ١٧٧١، دار النهضة العربية القاهرة، ط: بدون، ١٩٩٠م.
- (٧) علم النفس الدعوي، دراسات نفسية تربوية للآباء والمعلمين والدعاة: د. عبد العزيز النغمشي، ص ٢٥٣، دار المسلم، الرياض، ط: ١، ١٤١٥هـ.
- (٨) الصحابي الجليل محمود بن الربيع ابن سراقه، ويقل أبو نعيم الأنصاري الخزرجي المدني، اجتاز بدمشق غازيا إلى القسطنطينية، مات رضي الله عنه سنة ٩٦هـ وقيل ٩٩هـ وهو ابن ٩٣ سنة، انظر، الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: ٩، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، بيروت، ٣/ ٥٢٠.
- (٩) صحيح البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب العلم، باب متى يصح سماع الصغير ح ٧٧، دار السلام الرياض، ط: ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- (١٠) صحيح مسلم: الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري كتاب السلام، باب استحباب السلام على الصبيان ح ٤٠٣٨، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
- (١١) سنن الترمذي: الجامع الصحيح: محمد بن عيسى بن سورة، كتاب البر والصلة باب ما جاء في المزاح ح ١٩٩٠، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: ٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ١٩٢، ح ٢٠٧٦، المكتب الإسلامي بيروت، ط: ١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- (١٢) سنن أبي داود: كتاب اللباس، باب في قوله تعالى (يدنين عليهن من جلابيبهن) الأحزاب: ٥٩، ح ٤١٠١، دار ابن حزم، بيروت، ط: ١، ١٤١٩/١٩٩٨ م.
- (١٣) تفاعل الجماعات البشرية، مرجع سابق، ص ٤٢.
- (١٤) الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي: د إبراهيم أبو عرقوب، ص ١٧، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الاردن، عمان ط: ٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥ م.
- (١٥) تفاعل الجماعات البشرية، مرجع سابق، ص ١٠١.
- (١٦) صحيح مسلم: كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص ح ٤٩.
- (١٧) صحيح البخاري: كتاب الجهاد، والسير باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير ح ٢٨٤٣.
- (١٨) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات ح ٢٦٢٩.
- (١٩) أي أخفنها وأقللها. النهاية في غريب الحديث ١/٣١٥.
- (٢٠) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي ح ٧٠٩.
- (٢١) النمار جمع نمره وهي ثياب صوف فيها تنمير، والعباء جمع عباءة، وقوله مجتأبي النمار: أي خرقتها وقوروا وسطها، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٧/١٠٢.
- (٢٢) تعر: أي تغير وجهه، المرجع السابق ٧/١٠٢.
- (٢٣) الفاقة: الحاجة والفقر. انظر النهاية في غريب الحديث ٣/٤٨٠.
- (٢٤) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره ح ١٠١٧.
- (٢٥) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب الصفرة للمتزوج ح ٥١٥٣.
- (٢٦) مسند الإمام أحمد: ٣/٣٤١، المكتب الإسلامي ط: بدون، وقد صححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/٥٠٩ ح ١٨٨٨، المكتبة الإسلامية عمان، ط: ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م.
- (٢٧) بتصرف، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، ١١/٨، دار الفكر بيروت، ط: ٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨ م.
- (٢٨) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب صحبة المالك وكفارة من لطم عبده ح ١٦٥٩.

- (٢٩) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب زيارة القبور ح ١٢٨٣.
- (٣٠) فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري: الحافظ أحمد بن علي بن حجر، ٣/ ١٥٠، تصحيح وتحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- (٣١) صحيح مسلم: كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ح ٣٧٧٣.
- (٣٢) وفي ألفاظ روايات أخرى جاء: (فتناوله الناس) وجاء (فقاموا إليه) وجاء (فجره الناس) وعند البيهقي (فصاح الناس به) فيظهر أن تناوله كان كله بالألسنة لا بالأيدي. انظر فتح الباري ١/ ٣٢٤.
- (٣٣) يقال وقعت بفلان: إذا لمته، ووقعت فيه إذا عبته وذمته. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ٢١٥.
- (٣٤) الذنوب: الدلو مألئ بالماء، وقيل: الدلو العظيمة. انظر فتح الباري ١/ ٣٢٤.
- (٣٥) السجل: الدلو مألئ ولا يقال لها ذلك وهي فارغة، وقيل: الدلو الواسعة أو الدلو الضخمة. انظر فتح الباري ١/ ٣٢٤.
- (٣٦) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا)) ح ٦١٢٨.
- (٣٧) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٧/ ٦٦، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط: بدون.
- (٣٨) صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، ح ٢٧٥٠.
- (٣٩) انظر الحديث في صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض ح ١٣٠٤.
- (٤٠) بتصرف، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ٢٨٧.
- (٤١) صحيح مسلم: كتاب الجهاد، والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ح ٣٣١٥.
- (٤٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا ح ٤٠٢٣.
- (٤٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ح ٦١٠٢.
- (٤٤) بتصرف، تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير، ٥/ ٢٨٨.
- (٤٥) باختصار، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٦٩٥، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط: ٧، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- (٤٦) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره ح ١٦٩٧.
- (٤٧) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام ح ١٧٦٣..
- (٤٨) صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب ح ١٤٦١.
- (٤٩) بتصرف، الدعوة الإسلامية في عهدنا المكى مناهجها وغاياتها: د. رؤوف شلي، ص ١٦٩-١٧٠، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط: بدون، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- (٥٠) انظر، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ص ١٣.
- (٥١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ص ١٦.
- (٥٢) سنن الترمذي: كتاب الزهد باب ما جاء في حفظ اللسان ح ٢٤١٤، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/٢٨٨، ح ١٩٦٧.
- (٥٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب المقة من الله ح ٦٠٤٠، والمقة بكسر الميم وتخفيف القاف هي المحبة.
- (٥٤) فتح الباري: مرجع سابق، ١٠/٤٦٢.
- (٥٥) تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٢/٢٥.
- (٥٦) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع ح ٦٥٠٢.
- (٥٧) انظر، علم النفس الدعوي، مرجع سابق، ص ٢٦٧.
- (٥٨) انظر، علم النفس الدعوي، مرجع سابق، ص ٢٧٦.
- (٥٩) تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ١٩٨-١٩٩.
- (٦٠) علم النفس التربوي: د. عبد المجيد سيد أحمد منصور وآخرون ص ٢٢-٢٣، مكتبة العبيكان، ط: ٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- (٦١) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ح ٣٦٢٥.
- (٦٢) بتصرف، تفاعل الجماعات البشرية، مرجع سابق، ص ١٠١.
- (٦٣) السلوك وأثره في الدعوة إلى الله تعالى: د فضل إلهي، ص ١١، إدارة ترجمان الإسلام باكستان ط: ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

- (٦٤) علم النفس الدعوي، مرجع سابق، ص ٢٦٩.
- (٦٥) تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ١٢١.
- (٦٦) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله ح ٦٠٢٤.
- (٦٧) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة، ما جاء في حسن الخلق ح ٢٠٠٢، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٩٤/٢ ح ١٦٢٨.
- (٦٨) النهاية في غريب الحديث والأثر: الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير)، ٢٨٥/٥، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية ط: بدون، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
- (٦٩) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ح ٩١.
- (٧٠) انظر، هيئة الداعية ومظهره ودورها في إيصال رسالته: د. عبد الله إبراهيم اللحيان من ص ١٠-١٣، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط: ١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م
- (٧١) انظر، هيئة الداعية ومظهره، مرجع سابق، من ص ١٠-١٦، وعلم النفس الدعوي، مرجع سابق، ص ٢٧١.
- (٧٢) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر جرير بن عبد الله البجلي ح ٣٨٢٢.
- (٧٣) علم النفس الدعوي، مرجع سابق، ص ٢٧٢
- (٧٤) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ (يسروا ولا تعسروا) ح ٦١٢٦.
- (٧٥) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا)) ح ٦١٢٥.
- (٧٦) تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ١٦٨/٧
- (٧٧) صحيح البخاري: كتاب الأدب باب قول النبي ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا)) ح ٦١٢٤.
- (٧٨) مسند الإمام أحمد: ٢٥٦-٢٥٧، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/١٠٠ ح ٣٧٠.
- (٧٩) انظر، السلوك وأثره في الدعوة إلى الله، مرجع سابق، ص ٤٠.
- (٨٠) بتصرف، تفاعل الجماعات البشرية، مرجع سابق، ص ٢٣٨
- (٨١) بتصرف، تفاعل الجماعات البشرية، مرجع سابق، ص ٤٣:

- (٨٢) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب من أجاب إلى كراع ح ٥١٧٨.
- (٨٣) صحيح مسلم: كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة ح ١٤٢٩.
- (٨٤) فتح الباري: مرجع سابق، ٢٤٦/٩.
- (٨٥) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب حب النبي ﷺ ح ١٥.
- (٨٦) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ح ٣٦٨٨.
- (٨٧) سنن أبي داود: كتاب سجود القرآن، باب تفريغ أبواب السجود وكم سجدة ح ١٣٠٥.
- (٨٨) بتصرف، تفاعل الجماعات البشرية، مرجع سابق، ص ٣٩.
- (٨٩) المستدرك على الصحيحين: الإمام الحافظ الحاكم النيسابوري، كتاب معرفة الصحابة ٣/٢٤١، وسكت عنه الحاكم وسكت عنه الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: بدون.
- (٩٠) تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ٧١.
- (٩١) مهارات الاتصال: راشد علي عيسى، ص ٤٣، كتاب الأمة، العدد ١٠٣، ط: ١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، قطر.
- (٩٢) بتصرف، مهارات الاتصال، مرجع سابق، ص ٤٤.
- (٩٣) علم النفس الدعوي، مرجع سابق، ص ٢٥٥.
- (٩٤) سنن أبي داود: كتاب الزكاة باب عطية من سأل بالله ح ٥١٠٩.
- (٩٥) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إقضاء السلام سبب لحصولها، ح ٥٤.
- (٩٦) انظر، علم النفس الدعوي: مرجع سابق، ص ٢٥٥-٢٥٨.
- (٩٧) صحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة ح ١٤٥٦.
- (٩٨) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب قرب النبي عليه السلام من الناس وتبركهم به ح ٢٣٢٦.
- (٩٩) انظر، علم النفس الدعوي، مرجع سابق، من ص ٦٧-٧٢.
- (١٠٠) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا، وكثرة عطائه ح ٢٣١٢.

- (١٠١) كقوله ﷺ لعبد الله بن عمر: "يَغْمَ الرَّجُلُ عَبْدَ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَكَانَ بَعْدُ لَأَيَّامٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا" صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ح ٣٧٣٩.
- (١٠٢) ومثاله قول النبي ﷺ: ((إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كِبْرَكَةُ الْمُسْلِمِ، فَطَنَنْتُ أَنَّهُ يُعْنِي النَّخْلَةَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ التَّفَتُّ فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشْرَةِ أَنَا أَحَدُهُمْ، فَسَكَتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هِيَ النَّخْلَةُ)) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة، باب أكل الجمار ح ٥٤٤٤.
- (١٠٣) صحيح البخاري: كتاب التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل ح ١١٤٢.
- (١٠٤) انظر، علم النفس الدعوي، مرجع سابق، من ص ١٠٣-١٧٧
- (١٠٥) انظر، الحوار آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه: محمد شمس الدين خوجة، من ص ٦١-٨٥، من مطبوعات مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط: ٦، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- (١٠٦) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر جرير بن عبد الله البجلي ح ٣٨٢٢.
- (١٠٧) خلق المسلم: محمد الغزالي، ص ١٥، دار الكتب الحديثة مصر، ط: ٨، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م
- (١٠٨) بتصرف، مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة: د. محمد منير حجاب، ص ٩٧، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: ٤، ٢٠٠٣م.
- (١٠٩) بتصرف، مقدمة في علم الأخلاق: د. محمود حمدي زقزوق ص ١٥٧، دار الفكر العربي، ط: ٤، بدون تاريخ.
- (١١٠) بتصرف، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مرجع سابق، ص ٥٢٨..
- (١١١) الأخلاق الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢/٥، دار القلم دمشق، ط: ٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- (١١٢) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال: لا، وكثرة عطائه ح ٢٣١٢
- (١١٣) بتصرف، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية، ٢/٣٢٩، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٢، ١٣٩٣ع/١٩٧٣م.
- (١١٤) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع ح ٢٥٨٨.

- (١١٥) مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن قيم الجوزية، ١/١٥٤، دار الكتب العلمية بيروت، ط: بدون.
- (١١٦) مهارات الاتصال، مرجع سابق، ص ٢٣.
- (١١٧) انظر الحديث بتمامه في مسند الإمام أحمد ٤/٣٧٧.
- (١١٨) انظر، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مرجع سابق، من ص ١٩٠-١٩٨.
- (١١٩) تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ٣١٧.
- (١٢٠) العيش في الزمان الصعب: د عبد الكريم بكار ص ٢٣٠، دار القلم دمشق، ط: ٥، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- (١٢١) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الشعراء ح ٤٧٧٠.
- (١٢٢) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مرجع سابق، ١٨٠.
- (١٢٣) الكفاية الإنتاجية للمدرس: د محمد مصطفى زيدان، ص ٢٤١، دار الهلال بيروت، دار الشروق جدة، ط: بدون، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- (١٢٤) بتصرف، المرجع سابق، ص ٢٤١.
- (١٢٥) انظر، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مرجع سابق، ص ٢١٤-٢١٧.
- (١٢٦) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي: د محمد موسى الشريف، ص ٢٦، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط: ٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- (١٢٧) للاستزادة انظر المرجع السابق.
- (١٢٨) الرواسب الفكرية والاجتماعية، دراسة دعوية عن حقيقتها وأثرها وكيفية التعامل معها: د. زيد الزيد، في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الثاني عشر ١٤١٥هـ ص ٢٣. ويسمىها الأستاذ عبد الرحمن الميداني (سوابق الأفكار) انظر بصائر للمسلم المعاصر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ١١٤، دار القلم دمشق، ط: ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- (١٢٩) بتصرف، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي المسلمون بين المواجهة والتحدي: د عبد الكريم بكار ص ١١٩، دار المسلم الرياض، ط: ١، ١٣١٧هـ/١٩٩٦م.
- (١٣٠) بتصرف، بصائر للمسلم المعاصر، مرجع سابق، ص ١١٤-١١٥.

- (١٣١) بتصرف، إحياء علوم الدين: محمد بن محمد بن محمد الغزالي، ١/٥٧، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط: بدون.
- (١٣٢) الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحق الشاطبي، ٤/١٩١، تحقيق وتخرير الشيخ: عبد الله دراز المكتبة التجارية مصر، ط: بدون.
- (١٣٣) تفاعل الجماعات البشرية، مرجع سابق، ص ٢١٦.
- (١٣٤) تفسير القرآن العظيم، ٥/١٣٦.
- (١٣٥) بتصرف، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، مرجع سابق، ص ٨٠.
- (١٣٦) بتصرف، مفتاح دار السعادة، مرجع سابق، ١/٩٨.
- (١٣٧) بتصرف، مقدمات للنهوض، مرجع سابق، ص ٨٠.
- (١٣٨) تفاعل الجماعات البشرية، مرجع سابق، ص ١٢١.
- (١٣٩) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب رحمة النبي ﷺ للنساء، وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن ح ٢٣٢٣.
- (١٤٠) بتصرف، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، مرجع سابق، ص ٣٦٠-٣٦١.
- (١٤١) صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة ١٤٧٢.
- (١٤٢) بتصرف، فتح الباري ٣/٣٣٦.
- (١٤٣) علم النفس الدعوي، مرجع سابق، ص ٢٦٢.
- (١٤٤) بتصرف، علم النفس الدعوي، مرجع سابق، ص ٢٦٢.
- (١٤٥) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ح ٣٧٣٩.
- (١٤٦) المستدرك على الصحيحين: كتاب معرفة الصحابة، ٣/٣٨١، وسكت عنه الحاكم، وسكت عنه الذهبي.
- (١٤٧) بتصرف، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٤/٥٥.
- (١٤٨) انظر، علم نفس الدعوة: د محمد زين المهادي ص ٢٧٥، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط: ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م

- (١٤٩) علم نفس الدعوة، مرجع سابق، ص ٢٧٥.
- (١٥٠) بتصرف، تفاعل الجماعات الإنسانية، مرجع سابق، ص ٢٠٩-٢١٠.
- (١٥١) انظر، تفاعل الجماعات الإنسانية، مرجع سابق، ص ١٩١-١٩٢.
- (١٥٢) بتصرف، الاتصال الإنساني، مرجع سابق، ص ٤٦، وتفاعل الجماعات الإنسانية، مرجع سابق، ص ١٩٤.
- (١٥٣) من مرتكزات الخطاب الدعوي، مرجع سابق، ص ١٩.
- (١٥٤) انظر، فقه الدعوة إلى الله وفقه النصيح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: عبد الرحمن حسن جبنة الميداني ١/٤٢٩-٤٣٨، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط: ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- (١٥٥) الاتصال الإنساني، مرجع سابق، ص ٢٧.
- (١٥٦) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر ح ٥٩٧٦.
- (١٥٧) صحيح البخاري: كتاب الأدب باب قول النبي ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا)) ح ٦١٢٤.
- (١٥٨) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا)) ح ٦١٢٥.
- (١٥٩) من مرتكزات الخطاب الدعوي، مرجع سابق، ص ١١٠.
- (١٦٠) بتصرف، تفاعل الجماعات البشرية، مرجع سابق، ص ٢٢٠.
- (١٦١) التعلم أسسه وتطبيقاته: د. رجاء محمود أبو علام ص ٢٨٠، دار المسيرة، عمان، ط: ١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- (١٦٢) تفاعل الجماعات البشرية، مرجع سابق، ص ٢٤١.
- (١٦٣) بتصرف، التعلم أسسه وتطبيقاته، مرجع سابق، ص ٢٨٠.
- (١٦٤) انظر، من مرتكزات الخطاب الدعوي، مرجع سابق، ص ٢٢-٢٨.
- (١٦٥) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام ح ١٢.
- (١٦٦) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام وأي أمره أفضل ح ٤٠.
- (١٦٧) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب من قال: إن الإيمان هو العمل ح ٢٦.

(١٦٨) انظر، فقه الدعوة إلى الله، مرجع سابق، ١/٤٦٢-٤٦٥.

(١٦٩) فقه الدعوة إلى الله، مرجع سابق، ١/٤٦٨.

(١٧٠) بتصرف، من مرتكزات الخطاب الدعوي، مرجع سابق، ص ٢٩.

(١٧١) انظر، من مرتكزات الخطاب، مرجع سابق، من ص ٢٩-٣١.

(١٧٢) الصورة المستقبلية لما يريده المجتمع من الهيئة، دراسة استشرافية لعالم ومتطلبات المجتمع من الهيئة: بسام سليمان اليوسف، من ص ٣٢٩-٣٣٣، بحث مقدم لندوة الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها بتاريخ ١٤٣١هـ)

(١٧٣) بتصرف، تفاعل الجماعات البشرية مرجع سابق ص ١١٩

(١٧٤) تفاعل الجماعات البشرية مرجع سابق ص ١١٨.

مراجع البحث

- الألباني، محمد ناصر الدين:
 - ١- سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتبة الإسلامية عمان، ط: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
 - ٢- صحيح سنن الترمذي، المكتب الإسلامي بيروت، ط: ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ابن الأثير، الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية ط: بدون، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
- أنيس، د. إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، دار المعارف مصر، ط: ٢، ١٣٩٢هـ
- البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، دار السلام الرياض، ط: ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- بكار، د. عبد الكريم:
 - ١- العيش في الزمان الصعب، دار القلم دمشق، ط: ٥، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
 - ٢- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي المسلمون بين المواجهة والتحدى، دار المسلم الرياض، ط: ١، ١٣١٧هـ/١٩٩٦م.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة: وهو الجامع الصحيح، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: ٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- جابر، د. عبد الحميد، و د. علاء الدين كفاي: معجم علم النفس والطب النفسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط: بدون، ١٩٩٠م.
- الحاكم، الإمام الحافظ الحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: بدون.
- ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تصحيح وتحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط: بدون.
- حجاب، د. محمد منير: مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: ٤، ٢٠٠٣م.
- حسنة، عمر عبيد: من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق: عبد الله الزبير عبد الرحمن، مقدمة الكتاب بقلم: عمر عبيد حسنة، كتاب الأمة وزارة الشؤون الإسلامية بقطر، ط: ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- حنبل، الإمام أحمد: مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي ط: بدون.

- خوجة، محمد شمس الدين: الحوار آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، من مطبوعات مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط:٦، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- أبي داود، الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود، دار ابن حزم، بيروت، ط:١، ١٤١٩/١٩٩٨م.
- الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٩، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- الزيد، د. زيد: الرواسب الفكرية والاجتماعية، دراسة دعوية عن حقيقتها وأثرها وكيفية التعامل معها، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الثاني عشر ١٤١٥هـ.
- زقروق، د. محمود حمدي: مقدمة في علم الأخلاق، دار الفكر العربي، ط:٤، بدون.
- زيدان، محمد مصطفى: الكفاية الإنتاجية للمدرس، دار الهلال بيروت، دار الشروق جدة، ط: بدون، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- أبو سليمان، د. عبد الوهاب: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، ط ٩، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- السعدي، عبد الرحمن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط:٧، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- الشاطبي، أبو إسحاق: الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق وتخرّيج: عبد الله دراز المكتبة التجارية مصر، ط: بدون.
- الشريف، د. محمد موسى: التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط:٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- شلبي، د. رؤوف: الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط: بدون، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- أبو عرقوب، د. إبراهيم: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الاردن، عمان ط: ٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
- أبو علام، د. رجاء محمود: التعلم أسسه وتطبيقاته، دار المسيرة، عمان، ط:١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- العيسوي، د. عبد الرحمن محمد: تفاعل الجماعات البشرية، الدار الجامعية، الإسكندرية، ط: بدون، ٢٠٠٦م.
- عيسى، راشد علي: مهارات الاتصال، كتاب الأمة، العدد ١٠٣، ط: ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، قطر.
- الغزالي، محمد: خلق المسلم، دار الكتب الحديثة مصر، ط: ٨، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م
- الغزالي، الإمام محمد بن محمد بن محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، ١/ ٥٧، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط: بدون.
- فضل إلهي: السلوك وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، إدارة ترجمان الإسلام باكستان ط: ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل، دار الفكر بيروت، ط: ٢، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي:
 - ١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
 - ٢- مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية بيروت، ط: بدون.
- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبد العزيز غنيم وآخرون، كتاب الشعب، القاهرة، ط: بدون.
- اللحيدان، د. عبد الله إبراهيم: هيئة الداعية ومظهره ودورها في إيصال رسالته، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط: ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م
- مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبيكة:
 - ١- بصائر للمسلم المعاصر، دار القلم دمشق، ط: ١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
 - ٢- فقه الدعوة إلى الله وفقه النصيح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط: ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
 - ٣- الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم دمشق، ط: ٣، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- منصور، د. عبد المجيد سيد أحمد وآخرون: علم النفس التربوي، مكتبة العبيكان، ط: ٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

- النغمشي، د. عبد العزيز: علم النفس الدعوي، دراسات نفسية تربوية للأباء والمعلمين والدعاة، دار المسلم، الرياض، ط: ١، ١٤١٥هـ
- الهادي، د. محمد الزين: علم نفس الدعوة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط: ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م
- اليوسف، بسام سليمان: الصورة المستقبلية لما يريده المجتمع من الهيئة، دراسة استشرافية لمعالم ومتطلبات المجتمع من الهيئة، بحث مقدم لندوة الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها بتاريخ ١٤٣١هـ.

خامساً: الاقتصاد الإسلامي

التنمية الريفية في الاقتصاد الإسلامي

إعداد

أ. د. محمد بن سعيد ناحي الغامدي

أستاذ الاقتصاد الإسلامي

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى

التنمية الريفية في الاقتصاد الإسلامي

إعداد

أ. د. محمد بن سعيد ناحي الغامدي

ملخص البحث:

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى وبعد
يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل موضوع التنمية الريفية كفرع من فروع التنمية
الاقتصادية على اعتبار القيام بذلك من أهم الأهداف التي تتجه إليها معظم خطط التنمية
وبرامجها في الكثير من دول العالم.

هذا وقد حاول البحث دراسة هذا الموضوع وتأصيله من وجهة نظر الاقتصاد
الإسلامي من خلال محاور عدة بدأت بتأصيل المفهوم، ثم الأهمية، ومجموعة الأهداف
المختلفة التي تسعى إلى تحقيقها التنمية الريفية، ومتطلباتها ووسائلها، ودور الإنسان في
تحقيقها من خلال تعزيز مشاركته في اتخاذ القرار وكل ذلك تحليليا على مجموعة من الدول
العربية، ومساهمات البنك الدولي في جهود التنمية الريفية، وانتهى البحث إلى خاتمة
تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

والله من وراء القصد

Summary of research

Praise be to Allah, and enough prayer and peace upon His slaves who are chosen after.

This research deals with the study and analysis theme of rural development as a branch of the branches of economic development on the grounds to do so from the most important goals towards which most of the development plans and programs in many countries of the world.

This research has tried to study the subject and indigenize from the viewpoint of the Islamic economy through several issues began radicalized the concept, and importance, and set different goals that seek to achieve rural development, and requirements and means, and the role of human achievement through the promotion of participation in decision-making and all that the analytical group of Arab countries, and the contributions of the World Bank in rural development efforts, and the answer came to a conclusion included the most important findings and recommendations.

The God of the intent behind

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد:

مما لا شك فيه أن موضوع التنمية الريفية من الموضوعات الهامة لأنه يتوجه إلى إحداث تغيرات جذرية في بنية وتركيب وطبيعة الأرياف في معظم الدول الإسلامية وإرساء الوسائل والأساليب والاستراتيجيات الكفيلة بتحقيق جملة من الأهداف الاقتصادية التي تعمل على تحسين الحياة الاقتصادية والاجتماعية لتلك الفئة من السكان، والاستفادة بشكل عملي من الطاقات والموارد وإرساء مبادئ المشاركة الشعبية لسكان الريف وما يترتب على ذلك من فوائد تصب جميعها في مصلحة الريف وسكانه، وفي هذا السياق جاء موضوع هذا البحث ليناقدش ويحلل بشكل خاص ذلك وفق مقتضيات الاقتصاد الإسلامي.

أهداف البحث:

يتجه البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف هي:

- ١- البحث عن مفاهيم علمية تخص التنمية الريفية.
- ٢- دراسة أهم أهداف التنمية الريفية كجزء من التنمية الاقتصادية.
- ٣- إيجاد الاستراتيجيات الكفيلة بتحقيق تلك الأهداف.
- ٤- الوصول إلى حلول ممكنة ومعقولة لأهم معوقات التنمية الريفية وصعوباتها.

فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية مؤداها انتشار الكثير من خصائص التخلف الاقتصادي والاجتماعي وغيرها في أرياف الدول الإسلامية وأن هناك وسائل يمكن من خلالها الوصول إلى حلول ممكنة لتلك الظواهر عن طريق زيادة الاهتمام بتنمية تلك المناطق وذلك من الأمور الممكنة.

منهج البحث:

يستخدم هذا البحث مجموعة من المناهج المتداخلة كالاستنباط والاستقراء في تأصيل القضايا من وجهة النظر الإسلامية وكذا المنهج الوصفي في دراسة الظواهر الاقتصادية المرتبطة بعملية التنمية الريفية، والمنهج الإحصائي للتدليل على بعض المعوقات من خلال إيراد بعض الإحصائيات.

جديد البحث:

في كونه يتناول بالبحث والتحليل والمقاربة، وأيضا الاهتمام اللائق بتنمية الأرياف وتوجيه مزيد من الاهتمام لها في ضوء الدعم الأكيد من توجيهات الإسلام في هذا المجال كما هو في غيره، ولأن هذا الموضوع من الموضوعات الهامة عندما يصل الحديث إلى اهتمام التنمية الاقتصادية عموما بقضايا التوازن الإقليمي بالذات، وعلى اعتبار ذلك هدف من الأهداف التخطيطية التي تسعى إليها كثير من الدول حتى وإن كان من الناحية العامة أو النظرية على الأقل، ويتمثل فيما سبق جديد الموضوع وعليه تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثمانية فروع وخاتمة على النحو التالي:

الفرع الأول

(مفهوم التنمية الريفية)

يتناول علم الاقتصاد الإسلامي في أدبياته المختلفة مفهوم التنمية في أبعاد شمولية توازنه مستدامة محافظة على الإتقان والتعاون والإحسان والتغيير الجذري لكافة البنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والإدارية والثقافية والحضارية وغيرها^(١) وفي أبعاد مختلفة وعامة درج الكتاب في هذا المجال على إرساء المفهوم القرآني كأساس والاعتماد عليه في تطوير تلك المفاهيم بما يرقى إلى التوجهات العامة في قضية الأعمار التي سار عليها الفكر الإسلامي منذ انطلاقه في صدر الدولة الإسلامية وتشكل الدولة وقيامها بالخدمات الأساسية لها وفق الأطر المتعارف عليها في هذا المجال فقد قال جل من قائل عليما ((هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها... هود ٦١)) أي طلب عمارتكم لها والطلب المطلق من الله تعالى في رأي بعض المفسرين^(٢) دال على الوجوب الذي يثاب فاعله ويعاقب تاركه ومنذ تلك الأزمنة الغابرة والفكر الاقتصادي الإسلامي في مجال التنمية يجررها من قيود المادة ولا يتجاهلها.

وبالرغم من ذلك كله إلا أن الأمر لا يمنع التعرض لبعض المفاهيم في هذا الصدد ومحاولة موائمة مفهوم علمي دقيق لمثل هذا النمط من أنماط التنمية يتوافق مع اتجاهنا في التحليل الاقتصادي الإسلامي غير متناسين التردد في المواقف الفكرية بين الكتاب في الوصول إلى تعريف مقبول كون ذلك لا يخص التنمية كفرع من الاقتصاد الكلي، ولكن يخص كافة فروع العلوم الاجتماعية لا الاقتصاد فحسب على ما هو متعارف عليه فيما يعرف بزوايا الرصد واستنطاق المفهوم، إذ نجد جملة من المفاهيم

تنطلق من نقطة ما وتتجه إلى آخر رغم اختلاف مدلولات مفاهيمها، وهذا يصدق على التنمية عموماً، والتنمية الريفية موضوع بحثنا خصوصاً مما يجعل الوصول إلى المفهوم الأولى بالقبول والدقة أمراً في غاية الصعوبة.

من التحليل المتقدم يمكن أن نخلص إلى مجموعة من المفاهيم اللغوية والعامة أيضاً تتصافر جميعاً في الوصول إلى ما يمكن تسميته مفهوم مقارب للتنمية الريفية في ضوء الاقتصاد الإسلامي.

أولاً: المفهوم اللغوي^(٣):

الريف: الخصب والسعة في المأكل، والجمع أرياف، وفي الحديث: ((تفتح الأرياف فيخرج إليها الناس))، وهو كل أرض فيها زرع ونخل، وقيل: هو ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها، وتريف القوم صاروا إلى الريف.

ثانياً: بعض المفاهيم العامة:

درجت الكتابات على التصنيف في الوصول إلى محتوى لهذا المفهوم فبعضها ذكر الريف صراحة وإلى هذا نتجه والبعض الآخر يلصقه إطار بمفاهيم القروية إلا أن هذا لا يمنع من التعرض لبعض تلك المفاهيم، وتوصيف محتوياتها كي يعيننا ذلك إلى الوصول إلى تشكيل تعريف علمي يحيط بكافة ما نتوخاه من التنمية الريفية بعد اهتمامات سابقة في هذا الحقل - التنمية الاقتصادية وتخطيطها - جاوزت ربع قرن. ونوالي هنا استعراض بعضاً من تلك المفاهيم:

عرفت التنمية الريفية بمعناها الواسع بأنها: تنمية موارد البيئة خارج المناطق الحضرية زراعية ورعوية لتوفير الغذاء ومصادر الطاقة والحد من الهجرة، كما أنها

تحتوي مفهوما مركبا ومعقدا لا يقف عند مجال واحد بل يشمل كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية... الخ، وعرفت بأنها تعني تحسين ظروف معيشة السكان الاجتماعية والعلمية والصحية وتطوير مهاراتهم المعرفية والفنية وتمكينهم من الاستغلال الأمثل لمواردهم الاقتصادية وضمان حقوق الأجيال اللاحقة، كما أنها تعني التحسن الكمي والنوعي للأنشطة الاقتصادية في الريف وضمان استدامتها، ويرى البعض أنها ظاهرة متشابكة تعمل على تنمية موارد الأرياف ومحاربة الفقر والمشاكل المرتبطة بالريف، فضلا عن ذلك تشكل التنمية الريفية سلسلة متصلة شاملة مركبة ومستمرة لكافة التحولات الهيكلية المعينة على النهوض بالأرياف واستغلال مواردها الطبيعية والبشرية وتنويع الأسس الاقتصادية وجاذبية العمل بالأرياف، وهناك من يرى أنها ذلك المفهوم الذي يتضمن بذل الجهود لمساعدة الفقراء والنهوض بهم ليشمل تلك القطاعات الاقتصادية ذات الصلة بمناشط الريف، وعرفت أيضا بأنها تتضمن تنمية الإنسان والمواد الطبيعية وتحقيق الرفاه والعدل الاجتماعي لسكان الريف^(٤).

حاصل الأمر أن الرابط بين هذه التعاريف (المفاهيم) تركيزها على أبعاد مادية تتجه في الأساس إلى جعل سكان الريف في وضع لائق من المعيشة والمهارات والمشاركة، علاوة على حسن الاستغلال الأمثل للموارد الاقتصادية، وتحسين نوعية الأنشطة الاقتصادية.

ولمؤاممة ومقاربة المفاهيم السابقة وبالنظر إلى بعض الاتجاهات التي تحاول إبراز جوانب أخرى في المفهوم من خلال الخصائص المختلفة لموضوع البحث يمكن النظر إلى التنمية الريفية من خلال خصائصها أيضا على النحو التالي:

- (١) الهدف الأساس لعمليات وبرامج التنمية الريفية تنصب بصفة أساسية على سكان الريف.
- (٢) الاهتمام الملائم بالجهود المحلية في الاستخدام الأمثل للموارد الريفية الحالية والاحتمالية.
- (٣) ضرورة رفع المستوى المعاشي للريفيين وتوفير الخدمات الملائمة لهم للحد من هجرتهم وبالتالي تريف المدن.
- (٤) التنسيق الملائم بين الجهود المختلفة وبمشاركة سكان الريف في اتخاذ القرار.
- (٥) تصنيف سكان الريف وتوجيه الاهتمام المتزايد إلى الفئات الأكثر فقرا.
- (٦) التنمية الريفية قضية كافة المعنيين بها من ريفيين ومخططين ومتخذي قرار.

ثالثا: حول المفهوم الإسلامي للتنمية الريفية:

لم يغفل الإسلام أبدا أمر الحياة الإنسانية بمجالاتها المتعددة والمتشعبة سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم خلقية أم إدارية... الخ بل وضع لكل أمر من الأمور ما يناسبه وما يحتاج إليه ومن ذلك موضوع التنمية الريفية التي يمكن تصور ملامح المنهج الإسلامي لها وفق التحليل التالي:

بداية ينظر الإسلام إلى التنمية الريفية على اعتبارها فرع من التنمية الاقتصادية ذات الأبعاد العقائدية والخلقية والمادية الشاملة، التي ترتبط بخصائص أساسية كالاستخدام الأمثل للموارد الاقتصادية، والشمول والتوازن، وتحسين مستوى المعيشة من خلال الارتقاء بمستوى الدخل الفردي ومتوسط نصيب الفرد فيه، ناهيك عن قضايا التغيير الهيكلي في البنى الاقتصادية والاجتماعية... الخ وعليه فإن توفر مثل

هذه الخصائص في الكل أي التنمية الاقتصادية يجب أن يتواجد في الجزء أي التنمية الريفية^(٥).

من التحليل المتقدم يتجه الإسلام في النظر إلى موضوع التنمية الريفية من مفهوم شمولي لا يركز على الشمول المكاني فقط بل ينطلق أيضا إلى الشمول الفكري، والعدالي والقطاعي في ضوء الرؤية التوازنية المحيطة بالعملية التنموية برمتها، فلا يفضل بداية إقليم على إقليم ولا منطقة على أخرى، بل يجب الاهتمام بها جميعا في ضوء التوازن المتعارف عليه والذي لا يقضي بالتساوي في توزيع استثمارات الخطط بين القطاعات والمناطق بل في ضوء إرساء مبدأ الأهمية النسبية في هذا المجال.

أخيرا يمكن النظر إلى التنمية الريفية في الاقتصاد الإسلامي في ضوء رؤية منهجية شاملة^(٦) تركز على كافة الأبعاد بما يجعل من تعريفها على اعتبارها فرع من التنمية الاقتصادية يتوخى خصائص مفاهيمها المختلفة ويعمل بصفة مستمرة على زيادة الاهتمام بالأرياف داخل أية دولة ويرتقى بمستويات معيشتها وواقعها الاقتصادي مع بذل الجهد الملائم في استخدام موارد الريف والحد من هجرته وفقا لتعاليم الإسلام، ويركز هذا التعريف على الأبعاد المتعلقة بالتنمية الاقتصادية في وضع عقائدي إنساني شمولي توازني لا مادي تنحصر لديه حقيقة العالم في ماديته ويرقى إلى تطبيق مفاهيم الإسلام في هذا المجال.

وعليه نرى أن التنمية الريفية في مفهومها الشامل تتضمن عددا من الأبعاد لعل

أهما:

(١) البعد الاقتصادي الذي ينصرف إلى تحقيق معدلات نمو اقتصادي ملائمة، وتطبيق مفهوم التنمية الشاملة المستدامة.

(٢) بعد التنمية البشرية الذي يهدف إلى توفير الخدمات الأساسية من صحة وتعليم وتدريب وتنمية وتطوير القدرات، وتمكين الفئات المختلفة من المشاركة الفاعلة في التخطيط إعدادا وتنفيذا ورقابة، واتخاذ القرارات، وإدارة المشروعات الريفية.

(٣) البعد الاجتماعي الذي يعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية والحد من الفقر وإيجاد السياسات التشغيلية المناسبة في الأعمال الإنتاجية، فضلا عن تضيق الفجوات والقدرات الاقتصادية بين الفئات الاجتماعية في الأرياف وتفعيل القدرات التنموية بين الريف والحضر.

(٤) البعد البيئي الذي يهدف إلى تحقيق تنمية ريفية مستدامة تحافظ على البيئة والموارد الطبيعية المتاحة من التدهور بما في ذلك الماء والأرض وما عداها، والكائنات الحية نباتية كانت أم حيوانية وغيرها.

الفرع الثاني

(أهمية التنمية الريفية)

تعد قضية التنمية الاقتصادية عموما والتنمية الريفية كفرع رئيس منها من أهم الموضوعات التي تشغل بال الباحثين والمهتمين بأدبيات التنمية في إطارها الأكاديمي ويتعدى ذلك الاهتمام إلى رجال الحكم وصناع القرار والمخططين في كثير من دول العالم، يعود ذلك مبدئيا إلى كون التنمية الريفية وكذا الزراعة تشكلا تكاملا فنيا لتحقيق تنمية اقتصادية شاملة يكتب لها النجاح، إذ أن تأمين الغذاء والخدمات

الأساسية الأخرى لسكان الريف مطلب من المطالب الأساسية التي درجت عليها إستراتيجيات التنمية الريفية.

إن التنمية الريفية من العمليات التي تعمل على تنسيق الجهود المختلفة لكافة الفعاليات من قطاع عام وخاص، وتستهدف تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المختلفة؛ لأن التنمية الاقتصادية عموماً تستهدف تحسين الوضع المعاشي وإشباع الحاجات المادية والاجتماعية للإنسان (غذاء، صحة، تعليم، سكن، عمل)؛ فالتنمية هدفها وصانعها الإنسان، وتنمية الريف هامة لا تحفى على النظر الرشيد، إذا ما تم وضعها في السياق الصحيح.

وعليه نرى أن التنمية الريفية لها اولوية في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية تسعى بشكل أو بآخر إلى تحقيق نوع من التوازن في بعده المناطقي (المكاني)، بين أجزاء وربوع الاقتصاد القومي المختلفة فذلك من الناحية العلمية والإستراتيجية هدف رئيسي من أهداف التنمية الاقتصادية، وعليه تبنى مفاهيمها المختلفة في مستوياتها الأولية.

وتأكيداً على ما سبق وللمزاوجة بين التحليل واستخدام المؤشرات التي تعين على تصور هذه القضية رغم وضوحها نسوق النقاط التالية^(٧):

(١) من خلال لغة الأرقام التي تبدو مخيفة إلى حد بعيد إذ يعيش حوالي (٢, ١) مليار نسمة بأقل من دولار واحد في اليوم، يقطن أكثر من ثلثي هؤلاء في المناطق الريفية معتمدين على الزراعة كمصدر رئيس للدخل، وإذا كان الهدف المعلن حسب خطة الأمم المتحدة يتجه إلى تخفيف نسبة الفقر إلى النصف بحلول عام (٢٠١٥م) فذلك يعني حتمية الاهتمام بدرجة أكبر بقطاع الزراعة والتنمية

الريفية والبحوث المنهجية وتوفير الخدمات الأساسية لسكان الريف من طرق وصحة وتعليم.

(٢) أغلب سكان العالم وخاصة ما يسمى بالدول النامية والدول الإسلامية جزء كبير منها يعيشون في الريف، فضلا عن كون متوسط نسبة سكان الريف في الوطن العربي يبلغ بين (٦٠ إلى ٨٥ ٪) من جملة السكان.

(٣) أوضحت عمليات المسوح الإحصائية التي أجريت في بعض دول آسيا وأفريقيا أن ما بين (٧٥ إلى ٨٥ ٪) من السكان الريفيين يشتغلون بالزراعة أما بقية سكان الريف فيقومون بأعمال أخرى تدخل فيما يعرف بالصناعات الريفية أو بعض مكونات قطاع الخدمات من تجارة ونقل وخلافه.

(٤) نسبة العاملين بالزراعة من جملة عدد السكان الريفيين بلغت ما بين (٤٥ إلى ٧٥ ٪) من الدول العربية.

(٥) زيادة معدل النمو السكاني في أرياف الدول النامية بمعدل مرتفع يصل إلى (٢ ٪) تقريبا بالرغم من معدلات الهجرة المرتفعة من الريف إلى المدن.

(٦) ارتفاع نسبة الأمية في الأرياف، إذ تبلغ نسبة الأمية في الدول العربية (٦, ٧٢ ٪) من جملة عدد السكان في المتوسط، معظمهم من سكان الريف^(٨).

(٧) هناك تفاوت كبير في مستوى نصيب الفرد من الخدمات العامة وفي مستوى المعيشة بين سكان الريف، وسكان الحضر فتدل التقديرات على أن نصيب الفرد من الخدمات العامة في الحضر يبلغ (٤ - ٦) مرات، أكبر من نصيب الفرد في الريف حسب إحصائيات منظمة (الفاو).

(٨) أن أعلى نسبة للفقراء في العالم تعيش في مناطق ريفية، و يقسم تقرير البنك الدولي الخاص بإستراتيجية التنمية الريفية فقراء الريف إلى مجموعات حسب درجة فقرهم، إذ أن هناك فقر كلي معناه أن يبلغ دخل الفرد (٥٠ دولار) فأقل سنويا، وفقر نسبي للأفراد الذين يقل دخلهم السنوي عن نصف متوسط دخل الفرد في دولته، وعليه يمكن تصنيف الدول النامية التي يزيد عدد سكانها عن مليون نسمة كالتالي^(٩):

(أ) (٨٥%) من الذين يعانون من فقر كلي يعيشون في مناطق ريفية.

(ب) كان للدول النامية بآسيا نصيب الأسد من إجمالي عدد الفقراء، إذ تبلغ نسبتهم إلى جملة عددهم في العالم (٢٧%) تليها إفريقيا بنسبة (١٧%) ثم أمريكا اللاتينية والكاربي (١٣%).

(٩) قصور أنماط التنمية الاقتصادية عموما، والتنمية الريفية خصوصا في كثير من الدول النامية عن مواجهة متطلباتها من الأغذية والتكوين الرأسمالي وغيرها من العناصر الإنتاجية.

(١٠) أن أعلى نسبة للفقراء في العالم تعيش في الريف.

الفرع الثالث

(أبعاد المنهج الإسلامي في التنمية الريفية)

يتجه بعض الكتاب في تعريف التنمية الاقتصادية عموما، إلى أنها عملية لشمل جميع فروع وأجزاء النشاط الاقتصادي، ولا تقتصر على قطاع دون آخر، نظرا لكثرة الارتباطات والعلاقات، المختلفة بين القطاعات الاقتصادية، بحيث يصبح من الصعب

عزل قطاع منها عن الآخر، فهي لا تقتصر على مجال اقتصادي واحد كالزراعة وحدها أو الصناعة وحدها أو على إقليم دون آخر في إشارة إلى الاهتمام الواضح بالريف وتنميته.

ومن الاقتصاديين من يعرف التنمية بأنها عملية مستمرة تتضمن تغييرات هيكلية كبيرة في البنية الاقتصادية والاجتماعي، يعمل على تحسين أداء القطاعات الاقتصادية المختلفة^(١٠)، وهذا يتفق مع التعريف الذي يرى أن التنمية الاقتصادية لا تعني التصنيع وخلق صناعات جديدة فقط، وإنما تتعداها إلى الزراعة والتجارة والخدمات كالنقل والمواصلات.

وتثير بعض التعاريف أيضا إلى أن التنمية الاقتصادية هي: مجموعة الأنشطة الاقتصادية التي تسبب زيادة إنتاجية الاقتصاد ككل سواء كان ذلك في المراكز أو الأطراف وبما يضيف أبعاد تكاملية فنية بين فروع التنمية المختلفة وعلى رأسها تنمية الريف.

ومن المعروف أن أساليب واستراتيجيات التنمية الاقتصادية تتباين في مدى تحقيقها لتوازن القطاعات الاقتصادية، فبينما تراعي بعض الدول هذه العملية من خلال تبني استراتيجية النمو المتوازن، يجنح البعض الآخر إلى عدم مراعاة توازن القطاعات، عن طريق الاهتمام بقطاع قائد كما تقضي بذلك نظرية النمو غير المتوازن، وفي ذلك بعد عن الهدف من تحقيق تنمية ريفية يكتب لها النجاح، إذ أن نجاحها مرهون بمدى تحقق توازن التنمية وشمولها عموما.

إن ما نتوجه إليه أن التوازن المكاني، لا يعني التعادل في توزيع استثمارات الخطط الاقتصادية، بحيث ينال كل إقليم نفس النسبة التي ينالها إقليم آخر، وأن ذلك

من جملة الأمور الفنية التي يحكمها مجموعة من الأوليات والأبعاد الفنية المتعلقة بالسكان، والموارد، ودرجة الأهمية، ومدى التأثير والتأثر، وعملية التشابك القطاعية، والمزايا النسبية وما عداها؛ ولكن المقصود أن تحظى كافة أقاليم الدولة بحظها، أو بالقدر المناسب من جهود التنمية وبرامجها المختلفة، حتى نصل إلى وضع مقبول فيما يتعلق بالتباين، وحتى نتلافى الكثير من المشكلات المرتبطة بالاختلال من هجرة، وضغط على الموارد، والمرافق، وبطالة، وانحراف، وما شابهها.

وإذا كانت الاقتصاديات الوضعية تجاهد في سبيل الوصول إلى قدر ملائم ومقبول من التنمية الريفية، وتجعل ذلك ضمن الأهداف العامة في خططها الاقتصادية؛ فإن الإسلام يعد ذلك من الأمور المرتبطة بالأسس الحاكمة للنظام الاقتصادي، إذ يجعل التنمية الاقتصادية شاملة بخصائص أوسع من تلك المتوفرة في المفهوم الوضعي، المقتصرة على الجانب المادي من الحياة الإنسانية؛ فهي خلقية وروحية ومادية معا، فلا فصل بين المادي وغيره، وهناك تكامل في، وارتباط عضوي بين ما هو دنيوي وما هو أخروي، لأن النشاط الإنساني ينطوي على أعمال روحية وأخروية، ما اتفق مع الشرع القويم.

يقرر ما سبق أن الإسلام اهتم بالعمل، ورعى حوافزه، مادية ومعنوية، وضمن للعامل حق الأجر فور انتهاء العمل لقوله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، منهم رجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره))^(١١)، ودعا إلى النشاط والحركة، ونبذ الكسل، وعالج كافة البواعث النفسية للبطالة بكافة صورها، فرفضها بدعوى التوكل لأن التوكل يتساوق والأخذ بالأسباب لقوله صلى الله عليه وسلم: ((اعقلها وتوكل))^(١٢)، أو التبتل والرهبانية فلا رهبانية في الإسلام، أو احتقارا للعمل وتقليلًا من شأنه، فالرسول صلى الله عليه وسلم رعى الغنم، أو

للأخذ من الزكاة لقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى))^(١٣)، أو لعدم توفره في الوطن لقوله تعالى: ((ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة... النساء ١٠٠)) بما يعني مساهمة العمل الفعالة في النشاط الاقتصادي وحصوله على عائد في صورة أجر^(١٤)، وهل التنمية الريفية سوى عمل متقن منظم يتصف بالاستمرارية، والتضامن مع بقية العناصر الإنتاجية، وتشكل محصلة الجهود التي يبذلها المواطنون لمساعدة الدولة، ومشاركتها في تنفيذ وإنجاح خطط التنمية الاقتصادية في المجتمع بأسره، مع أهمية إدراك الفرد وتفهمه لمشكلات مجتمعه، والاشتراك في البحث عن حلول لها ومساهمته الفاعلة في إعداد الخطط التنموية، وتنفيذها وتقييم آثارها ونتائجها^(١٥)، من خلال مشاركته لأن الإنسان هدف التنمية أساساً، وصانعها، وإليه تتوجه جهودها، وبرامجها، ومشروعاتها.

إن المشاركة مبدأً أساسياً من مبادئ التنمية الاقتصادية الشاملة، لأنها تساهم في تحقيق أهداف الخطط الإقليمية، وتفيد من الجهود والإمكانات البشرية والمالية والتمويلية بما يخفف من أعباء الحكومة المالية، ويقضي على السلبية، والتواكلية، والانعزالية، من خلال توثيق الصلة بين الأهالي المشروعات العامة وتنمية الشعور بالمسئولية^(١٦)، وتشجع اعتماد السكان على أنفسهم بصفة رئيسة في إحداث التنمية، يتلزم مع ذلك أهمية تحقيق المناخ الاقتصادي الملائم وتوفير عوامل الجذب في أرياف الدول الإسلامية قاطبة تعينهم في تحقيق ذلك حيث الإسلام المتواصل على الإعمار والتنمية، متمثلة في الخدمات الأساسية من طرق وتعليم وصحة وسكن ومراكز ترفيه ظروف عمل مواتية^(١٧).

إن شمول التنمية الريفية لا يقف عند ما قدمنا بل أنه يتضمن كافة الاحتياجات البشرية المشروعة اقتصادية واجتماعية من مأكلاً وملبساً ومسكناً وتعليم

ونقل وتطبيب وترفيه، ولا يتوقف عند إشباع الضروريات فقط، بل يشمل الحاجيات، والتحسينات، حتى يصل المجتمع إلى الرفاهية التي ينشدها الإسلام، ليس فقط بل يتجاوز ذلك إلى تنمية كافة القطاعات الاقتصادية أولية وصناعية وخدمية فضلا عن قطاعات الاقتصاد الكلي المختلفة عائلية وأعمال وحكومية متوطية في نهاية الأمر تحقيق الشمول بأبعاده العدالةية في ردم الفجوة بين طبقات المجتمع الإسلامي، وتدمج الإسلام في تحقيق ذلك من خلال آليات تنفيذه عديدة على رأسها الزكاة والصدقات والنذور والكفارات والوقف ومال من لا وارث لها وغيرها من الوجائب والوظائف المالية.

ويرتبط بذلك أيضا توازن التنمية الاقتصادية في سائر أرياف الدول الإسلامية فذلك من المطالب الشرعية المستحبة حيناً والواجبة حيناً آخر عندما لا يتوافر الاهتمام الكافي والعناية اللازمة بتلك الأرياف كرافد من روافد التنمية الاقتصادية بوجه عام، إذ الأرياف رديفة المدن بل قد تكون متاخمة لها حيناً وبعيدة عنها حيناً آخر وفي كلا الحالتين يجب عدم إغفالها وإعطائها حقها من الاهتمام ومن استثمارات الخطط اهتماما يتوازى مع ما تحققه من قيمة مضافة بمقاييس الدخل القومي الكمية ووصولاً إلى حل الكثير من مشاكل الأرياف وعلى رأسها البطالة، والهجرة وتريف المدن.

يعضد ما سبق ويدعمه إيجاد السند الشرعي لقضايا الشمول والتوازن إذ هو من الأمور البديهية، فقد اهتم الإسلام بداية يسائر القطاعات زراعية كانت أم صناعية وخدمية، فقد رغب الرسول صلى الله عليه وسلم في الزراعة بقوله: ((ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة))^(١٨)، وفي فضل الصناعة نجد التوجيه إلى كافة الصناعات المختلفة بنص القرآن الذي يزرع بكثير من الآيات التي تشير إلى أهمية الصناعات المختلفة، منها قوله تعالى

تعالى في مجال الصناعات المعدنية والتوجيه لها: ((وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس...الحديد ٢٥)) وقوله تعالى: ((ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود...فاطر ٢٧)) وفي صناعة الأسلحة يقول تعالى: ((وجعل لكم سراييل تقيكم الحر وسراييل تقيكم بأسكم...النحل ٨١)) وقوله تعالى: ((وعلمناه صناعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم...الانبيا ٨٠)) وفي مجال صناعة السفن يقول تعالى: ((واصنع الفلك بأعيننا ووحينا...هود ٣٧)) وفي مجال الصناعات الجلدية يقول سبحانه: ((وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ضعنكم ويوم إقامتكم...النحل ٨٠)) وفي مجال الصناعات الزراعية يقول تعالى: ((ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا...النحل ٦٧)) إلى غير ذلك من النصوص.

حاصل الأمر أن النصوص السابقة بالغة الدلالة على أهمية الشمول في قطاع الصناعة، وفي كل فرع من فروعها شأن بقية القطاعات الأخرى، وفي سائر أرياف الدولة ومناطقها، بل أن بعض الفقهاء - رحمهم الله - عُدّ تعلم الصناعة فرضا على الكفاية، إذ لم يَقم به البعض وقع الإثم على المجموع^(١٩).

وللتجارة في نظر الإسلام أهمية توازي بقية القطاعات الاقتصادية لقوله تعالى: ((وأحل الله البيع وحرم الربا...البقرى ٢٧٥)) وقوله تعالى: ((وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله...المزمل ٢٠)) ومن الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق))^(٢٠).

وفيما يتعلق بتوازن التنمية فإن الإسلام يشجع على ذلك دونما وجود نص يقطع بتفضيل قطاع على آخر نظرا لقوى الجذب والعلاقات والتشابكات المختلفة

بينها، فكما يرى الإمام القسطلاني في شرحه للبخاري^(٢١)، [أن المسألة تختلف باختلاف الأحوال، ووجود الحاجة فإن احتيج إلى الحاصلات الزراعية والغذائية فضلت الزراعة، وإن احتيج إلى المتجر لانقطاع الطريق تكون التجارة أفضل، وحيث احتيج إلى الصنائع فضلت] فلا بد من الاهتمام بكافة القطاعات مع تفضيل القطاع الذي تقل معروضاته، عن ذلك الذي تتوفر منتجاته (معروضاته)^(٢٢).

ولا تتوقف الاهتمام على ما قدمنا، فرغبة في تحقيق التوازن والاهتمام بالأرياف وتحقيق التناسق بينها وبعدها عن الاختلاف الكبير بين معدلات نموها، وظهور المشاكل والفواق والاختناقات الاقتصادية والاجتماعية، يستدعي الأمر تنمية كافة الأرياف، واستخدام الموارد الإنتاجية، والكفاءات على المستوى المحلي لتحقيق معدل أعلى تخف معه حدة التباين وتذوب معه كثرة الفوارق^(٢٣).

إن التنمية الريفية فرع أساسي من فروع التنمية الاقتصادية الشاملة، حث عليها الشرع والعقل، يتضح ذلك من تلك النصوص التي استعرضناها من الكتاب العزيز، والسنة المطهرة، وآثار الصحابة، ونابع من توخي العدل والمساواة، وهما من أهم المبادئ الأساسية للنظام السياسي الإسلامي، وتجاهد خطط التنمية وسياساتها المختلفة في سبيل الوصول إلى قدر معقول من التوازن، والإبقاء على معالم التباين بين الأرياف في حدودها الدنيا.

وحقيقة فالاهتمام بالتنمية الريفية، وعدالة توزيع أعباء وجهود، ومكاسب التنمية تتضح من التزام الدولة نيابة عن المجتمع، ومسئوليتها الكاملة عن كل مواطن في الدولة، أيا كان مركزه، أو ديانتته، أو عمله، يشهد على ذلك الاهتمام بأمور المسلمين عموماً في الأرياف والمدن كثير من النصوص:-

إذ يقول تعالى في العدل: ((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل... النساء ٥٨)) وبالرغم من اتساع مفهوم العدل وشموله، إلا أنه هنا يعني حسب اتجاهات بعض المفسرين - رحمهم الله - ما نصه: (إن الله يأمركم يا معشر ولاة أمور المسلمين، أن تؤدوا ما ائتمنكم عليه رعيتكم من فيئهم، وحقوقهم، وأمواهم وصدقاتهم إليهم، على ما أمركم الله بأداء كل شيء من ذلك إلى من هو له، بعد أن تصير في أيديكم؛ لا تظلموا أهلها ولا تستأثروا بشيء منها، ولا تضعوا شيئاً منها في غير موضعه، ولا تأخذوها إلا من أذن الله لكم بأخذها منه قبل أن تصير في أيديكم، ويأمركم إذ حكمتم بين رعيتكم أن تحكموا بينهم بالعدل والإنصاف، وذلك حكم الله أنزله في كتابه، وبينه على لسان رسوله، لا تعدوا ذلك فتجورا عليهم)^(٢٤).

ويقول تعالى في المساواة: ((فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت إيمانهم فهم فيه سواء... النحل ٧١)) والمقصود أن الرزق هو الله تعالى لجميع الخلق^(٢٥)، وعليه ينبغي تسوية خلقه في أعباء وجهود التنمية وثمارها ومكتسباتها ريفيين ومدنين سواء كانوا في الأطراف أو في المراكز وحولها.

ويقول سبحانه في التعاون: ((وتعاونوا على البر والتقوى... المائدة ٢)) وفي الأخوة قوله تعالى: ((إنما المؤمنون إخوة... الحجرات ١٠)) وقوله تعالى: ((إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون... التوبة ٧١)) وقوله تعالى: ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض... المؤمنون)) ويقول صلى الله عليه وسلم: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يظلمه))^(٢٦)، مما يجتم أن يكون المسلمين متعاونين كاليد الواحدة، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((لهم ما لنا وعليهم ما علينا))^(٢٧)،

أي فيما يتعلق بالحقوق الدنيوية وأمر التنمية مندوب إليه في الشرع، وعلى مستوى الدولة، ومع الأرياف والمناطق داخلها.

أن التنمية الريفية والاهتمام بها من الأهمية بمكان عند التعرض لقضية المسؤولية ودعم الإسلام لها وتطبيقها وفي ذلك يقول عليه أفضل الصلاة والسلام: ((كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته))^(٢٨)، وينطلق عمر رضي الله عنه من ذلك فيحدد مجموعة من القضايا التي تصلح أن يسترشد بها المخططون، ورأسي السياسات الاقتصادية للمجتمعات الإسلامية في كل عصر ومصر فيقول: (إن الله قد استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر لهم حرفتهم، فإذا أعطيناهم هذه النعم تقاضيناهم شكرها)، فهذه منطلقات كبرى في سبيل تحقيق عمارة المجتمع الفاضل تبالغ في الاهتمام به لتحقيق أولوياته وتفعيل نشاطاتها وجني ثمراته.

إن الاهتمام بالتنمية الريفية يساهم في تحقيق هدف أساسي من الأهداف الكبرى للاقتصاد الإسلامي وهو تحقيق العزة والكرامة والقوة والمنعة للمسلمين، ولذا تم الاهتمام بمعطيات تحقيق ذلك في صدر الدولة الإسلامية، وما تلي ذلك من عصور في صورة احتفار للأنهار، وإقامة للحواجز والسدود، فقد حفر عمر رضي الله عنه نهر معقل جنوب العراق، وأنهارا بناحية البصرة، ولتحقيق التوازن أيضا حفر الخلجان، وبنى القناطر، وأقام الجسور في معظم الأمصار^(٢٩)، وكذلك فعل عثمان رضي الله عنه، فقد حفر نهر الأبله، وخليج نائلة في ضواحي المدينة^(٣٠).

وتتابع الاهتمام بالتنمية عموما ففي عهد بني أمية تم إنشاء السدود وحفر الترعة والقنوات والأنهار، وقد شيد معاوية عددا من السدود منها سد معاوية، وسدودا في

العقيق بضاحية المدينة، وسدا في الطائف يعرف باسم سد العياد^(٣١)، وعني الوليد بشق الطرق الزراعية وتسهيل سبل المواصلات بين المدن والأسواق لتسهيل حركة الأفراد والدواب، والمنتجات الزراعية، وأقام القناطر، وأصلح الجسور على مستوى الأرياف^(٣٢).

وقام خلفاء بني العباس بشق الترع والقنوات، وحفروا الأنهار، وأقاموا السدود، و جلبوا البذور والتقاوي والغروس والأشجار والخضروات لسائر البلدان لمراعاة توازن التنمية وشمولها لكافة الأرياف^(٣٣).

إن هذه الأهمية التي تحظى بها التنمية الاقتصادية الشاملة، وتنمية كافة أرياف ومناطق الدولة خاصة في الإسلام نابعة من تفوق المفهوم الإسلامي للتنمية والإعمار على منهج التنمية في الاقتصاد الوضعي، لأن التنمية الاقتصادية في الإسلام فريضة وضرورة إسلامية لا تتوجه إلى علاج المشكلة الاقتصادية، كما هو حال النظم الوضعية، بل أساسها وحدانية الله وحاكميته، تعتمد على القوة الإيمانية، والترغيب الشرعي، وفي ذلك يقول سبحانه: ((هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها... هوود (٦١)) وقوله تعالى: ((هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور... الملك ١٥)) وقوله صلى الله عليه وسلم: ((طلب الحلال فريضة على كل مسلم))^(٣٤)، وغير ذلك من النصوص، وتقوم على تكامل الأدوار بين الدولة والأفراد، وتطبق مفهوم ومحتوى التوازن والشمول أفضل تطبيق، وتحرص على البيئة ومقوماتها ومعطياتها أشد حرص لقوله تعالى: ((ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها... الاعراف ٨٥)) وهي في نهاية المطاف تقوم على توخي العدل والإتقان والإحسان والتعاون وهي مبادئ إسلامية مشهورة تدعمها الكثير من الأدلة والشواهد.

الفرع الرابع

(أهداف التنمية الريفية)

هناك مجموعة من الأهداف المتكاملة فنيا مع بعضها البعض تتوجه نحو تحقيق التنمية الريفية والعناية بسكان الريف، بعضها عامة كلية تنبع من الخطة الأصلية للتنمية الاقتصادية الاجتماعية، وبعضها خاصة ترمي إلى تحقيق تلك الأهداف العامة في متطلباتها الأساسية، ويتفرع عنها بعض الأهداف المتعلقة بالأرياف المختلفة ذات الطبيعة الاقتصادية، والعادات والتقاليد والأعراف النابعة من الريف والمتجهة له، إذ وكما هو معروف عن سكان الريف أن لديهم عادات وتقاليد تجعل من أمر مشاركتهم ودعمهم وتوجيههم إلى تنمية أريافهم رافدا من الروافد الأساسية للتنمية الريفية أيا كانت، ومنها العمل والجد والإخلاص وروح المبادرة والحماس وصدق الولاء والانتماء لأريافهم وما شابهها، مع إضفاء الأسس العلمية المختلفة المتوجهة إلى تحقيق التنمية الاقتصادية عموما والريفية كجزء منها أمرا ممكن الحدوث؛ كالشمول والتوازن والتكاملية والتعاون وحماية البيئة الريفية وغيرها، وعليه يمكن وضع الإطار العام لأهداف التنمية الريفية وفق التصور التالي^(٣٥):

أولاً: الأهداف الكلية العامة:

نقصد بالأهداف الكلية العامة للتنمية الريفية، تلك الأهداف التي لا تتمكن برامج وخطط التنمية الاقتصادية تحقيقها في خطة قصيرة أو متوسطة، ولذلك تظل على قائمة الأهداف الكلية، ويتم تحقيقها جزئيا من خلال تلك الخطط المتوسطة، وبعضها تمكث على قائمة الأهداف لتعلقها بالجانب العقائدي القيمي وذلك الإطار

من العادات والتقاليد المعينة على تحقيق التنمية الاقتصادية في الأرياف لا المثبطة لها^(٣٦).

وتأسيسا على ما سبق فإن للتنمية الريفية مجموعة من الأهداف تسعى إلى تحقيقها بالرغم من كونها تستهدف بصفة أساسية سكان الأرياف، بغرض إحداث التوازن بين الريف والحضر، وأهمية وصول التنمية لها، وتقديم الخدمات اللازمة، إلا أن تكاملية عملية التنمية الاقتصادية برمتها يجعل هناك تنوع في تلك الأهداف^(٣٧):

ثانيا: مجموعة الأهداف الاقتصادية:

المراعية لعمليات الشمول والتوازن والتكامل الفنية، إذ لا تخلو خطة اقتصادية من تلك الأهداف وهي:

- (١) المحافظة على تطبيق الشريعة الإسلامية ومراعاة العادات والتقاليد المتوافقة معها.
- (٢) تحسين مستويات المعيشة، إذ من المعروف أن مستويات المعيشة في الأرياف، بالرغم من عدم وجود إحصائيات خاصة بها فمعظم الإحصائيات المتعلقة بمتوسط دخل الفرد تتجه إلى الدول عموما دونما تفصيل، أو وقوف على طبيعة مستويات المعيشة في الأرياف بما يجعل من ذلك أمرا حتميا، يتم من خلاله توجيه المزيد من الاهتمام إلى مثل هذا الهدف المركزي المقاس.
- (٣) توفير فرص العمل لسكان الريف والحد من هجرتهم.
- (٤) التوسع الكمي والنوعي في الخدمات الاجتماعية التعليمية والصحية.
- (٥) المساهمة في تحقيق معدل النمو الاقتصادي المخطط.
- (٦) تنمية القوى البشرية ورفع كفاءتها الإنتاجية، وتدريبها وتعليمها وزيادة مشاركتها في التنمية الريفية.

- (٧) توفير المزيد من الاهتمام لتحقيق توازن التنمية المكانية.
- (٨) تنويع القاعدة الإنتاجية مع التركيز على فروع القطاعات الواعدة في عملية التنمية، كالصناعات التحويلية، والتركيز على السياحة، والتعدين، والاهتمام بالزراعة وما شابهها، أو بعض فروع قطاع الخدمات، كالأسهم والاستثمارات.
- (٩) إعطاء المزيد من الاهتمام للقطاع الخاص للقيام بدوره المأمول في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والريفية.
- (١٠) تحسين الإنتاجية وزيادة القدرة التنافسية في جميع المجالات.
- (١١) الاستغلال الكفء للموارد الاقتصادية وحسن استخدامها.
- وإذا كانت التنمية في الاقتصاد الإسلامي لها ذات الأهداف مع اختلاف في طبيعة التحقيق وخصوصية التنمية الاقتصادية، وسمو متطلباتها إلا أنها تركز أيضا بالإضافة إلى ما سبق على بعض الأهداف أهمها:
- (١) تحقيق العزة والكرامة والمستوى المعاشي اللائق لكافة المواطنين ومن فيهم سكان الأرياف.
- (٢) إرساء التعاليم الإسلامية في المجالات الاقتصادية عامة والتنمية بصفة خاصة، والتركيز على الأبعاد المختلفة للتنمية العقائدية والخلقية والاجتماعية... الخ.
- (٣) مراعاة الشمول بكافة أبعاده الفكرية والقطاعية والأقليمية (المكانية) والعدالية المتعلقة بعدالة توزيع الدخل والثروة، وإيجاد الآليات الكفيلة بتحقيق ذلك، من خلال الزكاة وغيرها من الوجائب المالية الأخرى، من صدقات وأوقاف ونذور وكفارات ومال من لا وارث له.
- (٤) تحقيق الاكتفاء الذاتي من السلع والخدمات الأساسية.

(٥) توفير فرص العمل والحد من البطالة بكافة صورها وأشكالها، سواء ما تعلق منها بعدم توفر العمل في الوطن، أو ترك العمل احتقارا له، أو بسبب الأخذ من الزكاة، أو لقلة الخبرة والتجربة.

(٦) الاستخدام الأمثل للموارد الاقتصادية الريفية.

(٧) تحقيق الاستقرار الاقتصادي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التنمية الريفية لها أهداف لصيقة تخصها، وتحاول جاهدة في سبيل الوصول إليها يمكن تصورها كما يلي:

(١) الحد من سيطرة العادات والتقاليد المعرقة لعملية التنمية الاقتصادية، خاصة ما تعلق منها بالعائلة الممتدة المعينة على السلبية والتواكل والقدرية والاستهلاك التفاخري، وغيرها من الأنماط والعادات ورد ذلك إلى ميزان الشريعة الإسلامية السمحة.

(٢) تنوع الأنشطة الاقتصادية والزراعية لصغار المنتجين الريفيين، ومساعدتهم على الوصول إلى تحقيق أهداف التنمية الريفية.

(٣) وضع الأرياف داخل محيط الدولة الواحدة في صورة توازنية مع برامج وخطط وأهداف التنمية الاقتصادية.

(٤) موائمة الأرياف ذات الطبيعة الزراعية بما يساهم في تحقيق الاستخدام الأمثل للموارد الزراعية الريفية، والاستفادة من عنصر العمل المتاح، ورفع إنتاجيته من خلال التعليم والتدريب.

(٥) تذليل الصعوبات التي تواجه صغار المزارعين وصائدي الأسماك في المناطق الريفية، والتي من أهمها انخفاض دخلهم، وارتفاع تكلفة الإنتاج وتدني الكفاءة

الإنتاجية الزراعية، ومنافسة كبار المستثمرين، وشح المعلومات السوقية، والبنى الأساسية للتسويق الزراعي، وغيرها من الأمور التي تهم الجانب الزراعي الريفي وصغار المزارعين.

(٦) موائمة الأرياف ذات الطبيعة الصناعية إن وجدت بتوطين بعض الصناعات في الريف للحد من مشاكله.

(٧) التركيز على البعد الاجتماعي للتنمية الزراعية، وتقديم الدعم الفني والمادي لصغار المزارعين في الريف بما يسهم في رفع الكفاءة الإنتاجية وتنويع الأنشطة الزراعية ورفع دخول سكان الريف.

(٨) تحسين الخدمات الأساسية (صحة، تعليم، غذاء).

(٩) إدخال الفنون الإنتاجية الملائمة والحديثة.

(١٠) رفع مستوى الوعي البيئي والاجتماعي، والمشاركة في اتخاذ القرارات الخاصة بهم والمؤثرة على حياتهم.

(١١) إذكاء روح المشاركة لإيجاد الوسائل المعينة على مساهمة سكان الريف في تنمية أريافهم، من خلال وضع الخطط الملائمة، وتوفير البيانات والمعلومات والإحصائيات المعينة على تحقيق ذلك.

(١٢) الحد من هجرة الريف إلى المدينة^(٣٨).

على أن ذلك التحليل السابق الإشارة إليه فيما يتعلق بالأهداف الخاصة بالتنمية الريفية لا يمنع التعرض لتقسيمات الآجال عند النظر إلى طبيعة بعض الأهداف، ويمكن توصيفها وفق التصور التالي:

أولاً: أهداف طويلة الأجل يمكن وضعها كالتالي:

- (١) إدخال تعديلات جذرية على المؤسسات الاقتصادية والتعاونيات الحرفية، وعلى وسائل الإنتاج والخدمات الإنتاجية والاجتماعية في الأرياف.
- (٢) تنوع الأنشطة الإنتاجية غير الزراعية لرفع مستوى معيشة الريفيين وتوفير فرص العمل لهم.
- (٣) توفير التعليم والتدريب الملائمين للاهتمام بالقوة البشرية ورفع إنتاجيتها.
- (٤) إعطاء الأبعاد التوازنية والشمولية لربوع وأجزاء المناطق الريفية ما تستحق من اهتمام وعناية.

ثانياً: أهداف متوسطة المدى تتلخص في الآتي:

- (١) تحقيق المستوى المعاشي للسكان الريفيين، وزيادة إنتاج المواد الغذائية، وإمكانية تسويق الفائض من الإنتاج.
- (٢) زيادة الإنتاج الزراعي من خلال تطوير أساليب، وآليات النشاط الزراعي وغيره من مضامين الإنتاج الأخرى طالما كان الريف مستعداً لها.

الفرع الخامس

(متطلبات التنمية الريفية ووسائل تحقيقها)

أولاً: متطلبات التنمية الريفية^(٣٩):

تعزيزاً لمفاهيم وأهداف التنمية الريفية التي سقنا طرفاً منها يستلزم الأمر لتحقيق تلك الأهداف وجود ما يلي:

- (١) التركيز على برامج تنمية محددة الأهداف تستهدف سكان الريف وتحافظ على البيئة، وتساهم في تحسين المستويات الاقتصادية والاجتماعية.
- (٢) إيجاد الإطار الإداري الذي ينفج اللامركزية، ويعطي الأفراد الريفيين زمام المبادرة في المشاركة وسن التشريعات المعنية على تحقيق هذا التوجه.
- (٣) إيجاد الإطار الفني والأكاديمي الملائم والمعزز لتحقيق التنمية الريفية.
- (٤) الاهتمام الملائم بقوة العمل الريفية وإيجاد التسهيلات الملائمة والتنظيم الإداري غير الرسمي الذي يساهم في توزيع وترتيب الأعمال، وتطوير أدوات العمل واختصار مراحلها مع إحكام الرقابة على منهجية الأعمال في تحقيق الكفاءة الإنتاجية الملائمة في الأداء، والاقتصاد في الوقت والتكاليف.
- (٥) الاهتمام بالقيادة كوظيفة من وظائف الإدارة، وجعلها محلية تساهم في ترسيخ مفاهيم التنمية الريفية وبرامجها بحكم ما لديها من خبرة وتجربة.
- (٦) وضع المشاركة الفاعلة والشاملة والدائمة للسكان والفعاليات الأخرى حكومية وغير حكومية موضع التنفيذ، وإعطاء الأفراد حرية الحركة والأمان كونها روافد حقيقية في تحقيق العزة والكرامة كهدف مركزي للاقتصاد الإسلامي.
- (٧) إيجاد التكامل الفني المناسب بين الأهداف التي تتجه إلى تحقيقها التنمية الاقتصادية عموماً والريفية خصوصاً، وتنفيذ العديد من البرامج التنموية على كافة المحاور الإنتاجية.

ثانياً: وسائل تحقيق التنمية الريفية^(٤٠):

هناك مجموعة من الوسائل المعنية على انجاز عملية التنمية الريفية المستدامة لا تخرج في الإطار التحليلي عما يلي:

- (١) توفير المرونة المناسبة للبنى التقنية والخطط المختلفة لخلق مزايا تتعلق بالطابع الإنساني، وتجسيد ذلك في العلاقات بين الإدارات والمؤسسات العاملة في مجال التنمية الريفية.
- (٢) بحث المشاكل المختلفة للسكان الريفيين، ووضع الإطار العام للأوليات والنهوض بدور مؤسسات المجتمع المدني والجمعيات المهنية لتحقيق أهداف التنمية الريفية.
- (٣) دعم المؤسسات الزراعية الريفية، ورفع كفاءتها لإنتاجيتها وتنويع النشاطات الزراعية لصغار المزارعين وتوفير الدعم الإدارية لهم.
- (٤) تقديم الدعم الفني والنقدي وكافة أنواع الحوافز لصغار المزارعين في المناطق الريفية لرفع كفاءتهم الإنتاجية، وتنويع أنشطتهم الزراعية، وتحسين مستوياتهم المعيشية من خلال رفع دخولهم.
- (٥) إعداد وتنفيذ خطط متكاملة لتأسيس الجمعيات الزراعية التعاونية، وتوفير التمويل اللازم لها مع أهمية الإعداد الجيد للقوة البشرية.
- (٦) تحقيق التعاون اللازم بين الجمعيات التعاونية الزراعية والجهات الحكومية لحل مشكلات صغار المزارعين، وصائدي الأسماك، وأصحاب الحرف المهنية البسيطة.
- (٧) دعم جهود التنمية الريفية، والمحافظة على الموارد الطبيعية خصوصا والاقتصادية عموما مع تنفيذ برامج وخطط التنمية الريفية وبناء الطاقات والقدرات الريفية لإرساء مفهوم التنمية الريفية المستدامة.
- (٨) العمل على بناء وتطوير القدرات في وحدات التنمية الريفية.

الفرع السادس

(دور المواطن في تحقيق التنمية الريفية)^(٤١)

إن نجاح أو فشل عمليات وبرامج التنمية في الريف العربي والإسلامي، يعتمد بدرجة أساسية على مدى استخدام أسلوب ملائم في إدارة عملية التنمية، من خلال مدخل مشاركة الأهالي للإدارة الحكومية مشاركة فعالة حقيقية، وإعطاء المزيد من الاهتمام للبحوث الأكاديمية للوصول إلى نظريات علمية تفيد واضعي السياسات التنموية والخطط العلمية، مع ضرورة توافر بقية الظروف الموضوعية والإمكانات الأساسية اللازمة للتنمية.

و يقصد بالمشاركة الشعبية في برامج وخطط التنمية الريفية، كافة الجهود التي تبذل من قبل المواطنين للتأثير في الإدارة ومعاونتها في اتخاذ القرارات والسياسات التي تحقق الأهداف السابق الإشارة إليها.

وبالرغم من حداثة مفهوم المشاركة الشعبية في إدارة عمليات التنمية الاقتصادية؛ إذ تعود إلى النظرية التقليدية (الكلاسيكية) وإلى ستينات القرن المنصرم، إلا أن هذا المفهوم من المفاهيم الإسلامية التي درجت عليها عمليات الأعمار والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، يبدو ذلك من خلال اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه الراشدين رضي الله عنهم بالمجالات الاقتصادية وشؤون مجتمعاتهم المختلفة، من خلال الجهود العسكري الحربي للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم القائم على التشاور في كافة الأمور، فضلا عن إعطاء موضوع التنمية عموما ما يستحق من اهتمام.

ومما تجدر الإشارة إليه أن حجم المشاركة الحالي وفي كافة الأرياف الإسلامية أقل من المستوى المأمول لعدة أمور^(٤٢):

(١) حداثة الأخذ بمفهوم التنمية الريفية، ومن ثم المشاركة الشعبية من الناحية التطبيقية.

(٢) غموض الأطر القانونية الخاصة بقضايا المشاركة، وعدم إصدار المذكرات التوضيحية، والقرارات التنفيذية المتعلقة بها وبما يتوافق مع المستويات الثقافية للريفيين.

(٣) ضعف إيمان الإدارة العليا والوسطى بأهمية المشاركة الشعبية على أساس أن المواطنين أقل كفاية وتخصصاً، مع جهلهم بالمسائل العلمية والفنية والقانونية بما يعني أن مشاركتهم تلحق الضرر بالمصلحة العامة.

(٤) تفشي بعض النظم البيروقراطية وغيرها من العوامل التي نُجمت عن فترات الاستعمار والتبعية وغيرها في كثير من الدول الإسلامية.

(٥) انهماك السكان الريفيين بأمور حياتهم الخاصة نظراً لانخفاض مستوى المعيشة ونقص الخدمات الأساسية وغيرها.

غير أنني أرى أن تقسيم عمليات التنمية إلى جزأين جزء يشرك فيه بعض المواطنين وجزء آخر لا يشارك أمر غير مجدي، فالمشاركة حق لكل المواطنين وعلى حد سواء، وليست مجرد شعار يرفعه الساسة لكسب الرضا الشعبي بل هو أسلوب إداري يفرض نفسه ويجب إعماله وتفعيله.

إن المشاركة في إدارة عمليات التنمية في الريف ترمي إلى تحقيق عدة أمور منها:

- (١) ترشيد سياسات وقرارات إدارات التنمية.
- (٢) تكامل الموارد المالية والبشرية اللازمة لتنفيذ خطط التنمية عن طريق الاعتماد الذاتي.
- (٣) إحداث التغيرات السلوكية وغيرها الضرورية لنجاح التنمية.
- (٤) الوصول إلى حل مشكلات الريف من خلال زيادة المشاركة.
- (٥) إدراك المواطنين بالإمكانيات المتاحة للتنمية.
- (٦) تؤدي المشاركة إلى حفظ المال العام وتدعيم الرقابة الشعبية على المشروعات العامة مثل: (وضع الخطط - إصدار القرارات - المتابعة - التقييم - تحديد الميزانيات - مراجعة الحسابات - الاشتراك في البيع والتوزيع - الاشتراك في التمويل).

وللموائمة أكثر ولأهمية إرساء المشاركة الريفية في عمليات برامج التنمية

الاقتصادية يمكن تحقيق ذلك من جانب الإدارة على النحو التالي:

- (١) أسلوب تنظيم وإدارة التنمية الريفية؛ ويعني ذلك أن يكون التنظيم كوظيفة من الوظائف الأساسية للإدارة تنظيماً غير رسمياً ديمقراطياً بعيداً عن البيروقراطيات، من خلال إخضاع الإدارة العامة للمواطنين، وتمثيلهم في السلطة التي تملك حق إقرار خطط التنمية الريفية لكون هذا التنظيم يشجع الأهالي على الاستفادة من صور المشاركة المتاحة لهم من تعاون مع الإدارة وتفاعل وخلافه.

(٢) سلوك الإدارة تجاه المواطن؛ لأن الإدارة ليست اطر رسمية وغير رسمية أو هياكل تنظيمية مختلفة، ولكنها مجموعة من العلاقات بين العاملين والمواطنين وتتأثر أنماط الإدارة تجاه المواطنين بمدى وضوح القوانين واللوائح المنظمة للمشاركة، ويتم تعزيز ذلك الدور ودعم التنمية الريفية بوسائل منها تأمين الاتصالات المباشرة وغير المباشرة من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وإنشاء صناديق الشكاوى والمقترحات واستطلاع (استشراف) آراء الهيئات والجمعيات الأهلية العاملة في مجال التنمية.

(٣) إعمال أساليب وأساسيات الإدارة الحديثة في تحقيق المزيد من الاهتمام لبرامج التنمية وخططها، وتعزيز المشاركة واستخدام الأساليب الإدارية التخطيطية والتنظيمية الملائمة للأرياف.

وهناك عوامل أخرى تعزز دور المشاركة والعلاقة التكاملية بين الإدارة والأفراد في الأرياف نسوقها فيما يلي:

(١) العوامل الاقتصادية والاجتماعية: إذ يتأثر حجم المشاركة في إدارة عمليات التنمية الريفية بعدة عوامل مشتركة اقتصادية واجتماعية، كالجنس والعمر والواقع الاجتماعي والمستوى التعليمي والثقافي والاقتصادي، ولذلك فقد أظهرت نتائج بعض الدراسات انخفاض معدل المشاركة بين الإناث في دول إسلامية عدة، وأن أعلى معدلات المشاركة تقع بين الفئة العمرية (٤٠ - ٦٠ سنة) وأن المتزوجين أكثر مشاركة من غير المتزوجين، وارتفاع معدل المشاركة مع ارتفاع المستوى التعليمي والثقافي، وفي هذا تعطيل لعمليات التنمية الريفية يجب تجاوزه.

(٢) العوامل السلوكية الخاصة بتحقيق الذات بين السكان الريفيين، وهي قيمة كبيرة بالنسبة لعملية المشاركة مع اختلاف مفهوم الأفراد في ذلك؛ فالبعض يرى أنها تتمثل في محاربة التفوق أو الظهور، ويراه آخرون في تحقيق المنافع المادية أو رفع شأن المجتمع وتطويره وتلك عملية نسبية بين شخص وآخر.

(٣) العوامل الذاتية النابعة من داخل المجتمعات الريفية وأفرادها والحريصة على التعلم والثقف والتدريب واستخدام ذلك في سبيل توجيه مجتمعاتهم إلى أساليب التنمية المختلفة، ونبذ ذلك الإطار من العادات والتقاليد والعوامل المعرقة لعملية التنمية الاقتصادية، والمساهمة بروح المسؤولية في تحقيق كل ما ينعكس على أريافهم بالخير والمصلحة وتحقيق مزيد من المعطيات التنموية.

(٤) توحيد جهود سكان الريف الرامية إلى تحقيق التنمية والمشاركة من خلال تشكيل لجان التنمية الريفية على مستوى الأرياف ومراعاة الحيز المكاني، ووضع الأطر الاقتصادية والإدارية، وتوجيه النظر إلى المتخصصين والمتعلمين من سكان الريف للمساعدة في إيجاد الطرق والوسائل والحلول الملائمة للمشكلات المختلفة.

(٥) إيجاد التنسيق الملائم بين الإطار الرسمي، وجهود الريفيين في تحقيق تنمية أريافهم والمشاركة في إعداد ومناقشة الأهداف بعد إصدارها، ومن ثم المشاركة الحقيقية الفعلية في تنفيذها، وعندئذ أن هذا من أهم الأطر والمسؤوليات الواقعة على الريفيين بعامة^(٤٣).

الفرع السابع

(نماذج من التنمية الريفية في بعض الدول العربية)

سيتم التعرض في هذه الجزئية إلى عنصرين أساسيين يتعلق أحدهما بمحاولة دراسة التطور التاريخي للتنمية الريفية في المنطقة العربية، ويستهدف الثاني إعطاء تحليل مختصر حول جهود التنمية الريفية في بعض الدول العربية وتقويمها ما أمكن.

أولاً: التطور التاريخي للتنمية الريفية:

تطور مفهوم التنمية الريفية في الدول العربية تاريخياً عبر مراحل عدة تأثرت إلى حد كبير بتطور مفهوم التنمية الاقتصادية عموماً، فقد بدأ بمفهوم تنمية المجتمع، ثم مفهوم التنمية الريفية المتكاملة، وحديثاً تأثرت خطط وبرامج التنمية الريفية في تلك الدول بمفهوم التنمية المستدامة، الذي شكل محور اهتمام المؤتمرات والقمم التنموية التي أشرفت على قيامها منظمة الأمم المتحدة، وعليه فإن برامج التنمية الريفية في المنطقة العربية مثلاً، والذي عقد في التسعينات تأثرت بجدول أعمال القرن (٢١) وخطط التنمية المستدامة التي توافق عليها زعماء العالم في مؤتمر "قمة الأرض" الذي انعقد بـ (ريو دي جانيرو) بالبرازيل في عام (١٩٩٢م)، ولقد تم تمثيل أغلب الدول العربية في ذلك المؤتمر.

وجدير بالذكر أن جدول أعمال القرن (٢١) كان بمثابة نقطة تحول في مفهوم التنمية الاقتصادية عموماً، حيث أضاف لها البعد البيئي، وضرورة الاهتمام بحماية الموارد الطبيعية واستدامة استخدامها والتوسع في التجارة، ومحاربة الفقر، وتغيير أنماط الاستهلاك، وحماية صحة الإنسان، والمحافظة على البيئة والموارد الطبيعية، وحماية الغابات من القطع الجائر ومكافحة التصحر، وتحقيق التنمية الزراعية والريفية

المستدامة، ونشر التعليم ورفع الوعي الريفي وتعزيز مجال المشاركة باعتبارها أهم مقومات التحول نحو عالم آمن ومتطور.

ولقد تم تركيز جدول أعمال القرن (٢١) في ثمانية أهداف تنموية بواسطة مؤتمر "قمة الألفية" الذي انعقد بمقر الأمم المتحدة بمدينة نيويورك في سبتمبر (٢٠٠٠م) من أجل تحقيق التنمية المستدامة، عن طريق تقليل حدة الفقر، وتحسين نوعية الحياة، واستدامة عطاء البيئة، وقيام شراكات تجعل من العولمة قوة دفع إيجابية للتنمية، ولقد اتفق زعماء العالم على العمل على تحقيق تقدم ملموس نحو بلوغ الأهداف التنموية بنهاية عام (٢٠١٥م).

وأكد مؤتمر قمة التنمية المستدامة الذي تم عقده (بجوهانسبرغ) بجنوب إفريقيا في عام (٢٠٠٢م) على أهمية التزام الدول بتحقيق التنمية المستدامة، وتم فيه تطوير خطة عمل تتضمن توصيات المؤتمر التي في جوهرها تدعو لتحقيق الأهداف التنموية للألفية، وتمحورت تلك الأهداف في ثمانية أهداف نتبينها فيما يلي:

- (١) القضاء على الفقر المدقع والجوع.
- (٢) تعميم تحقيق التعليم الابتدائي.
- (٣) تعزيز المساواة بين الجنسين وتعزيز مشاركة المرأة في التنمية.
- (٤) تخفيض معدل وفيات الأطفال.
- (٥) تحسين الصحة الإنجابية.
- (٦) مكافحة فيروس نقص المناعة البشرية (الإيدز)، والملاريا وغيرها من الأمراض.
- (٧) كفاءة الاستدامة البيئية.
- (٨) إقامة شراكة عالمية من أجل التنمية.

ولقد أضيف لأهداف الألفية الثمانية بعضاً من العناصر المكملة والأولويات التي ينبغي مراعاتها، والعوامل التي تمثل البيئة المساندة المطلوبة، ومؤشرات للتقدم المحرز بحلول عام (٢٠١٥م)، السنة التي يفترض أن يكتمل فيها تحقق الأهداف الثمانية المعلنة في حدود المؤشرات المرحلية المتفق عليها.

وإذا كانت تلك الأهداف التي تم استعراضها هي الجهود الدولية في سبيل تحقيق تنمية ريفية يكتب لها النجاح، فإن الإسلام له قصب السبق في هذا الموضوع كما هو في غيره، فقد كان الاهتمام بالتنمية الريفية وأبعادها المختلفة كما أسلفنا منذ بزوغ فجر الإسلام وتأسيس الرسول صلى الله عليه وسلم لدولة الإسلام في المدينة المنورة، وقد كانت الجهود واضحة في هذا الموضوع، بلغت أوجها في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي بلغ من اهتمامه بالأقاليم والأرياف المختلفة، ما جسده في مقولته الشهيرة: "لو أن عناقا (جدي) عثر على شاطئ (طف) العراق لسئل عنها عمر^(٤٤)"، وتوالت الاهتمامات بعد ذلك في عهد عثمان رضي الله عنه الذي حفر الآبار و شق الترعة في ضواحي ونواحي المدينة وجلب لها الأشجار واليد العاملة^(٤٥) إلى غير ذلك في دولة بني أمية وبني العباس وغيرهم، إذ يعتبر هذا البعد محورا مركزيا هاما من محاور التنمية الاقتصادية في الإسلام والتي جسدت الاهتمام بالبعد البيئي^(٤٦) سابقا وكذا ما تعلق بمفهوم التنمية الريفية واقعا تطبيقيا لا نظريات وأفكار لا تجد لها مجالا في التطبيق على أرض الواقع، فضلا عن تعزيز روح مشاركة الأفراد في عمليات التنمية المختلفة، من خلال مبدأ المشاورة أساس عملية المشاركة في الإسلام فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام " الخلفاء الراشدين " أكثر مشاورة لأصحابهم ومستشاريهم^(٤٧)

ثانياً: الوضع الراهن للتنمية الريفية في المنطقة العربية:

لم تتوفر دراسات قطرية تغطي دول المنطقة العربية كافة، وعليه فقد تمت دراسة الوضع الراهن للتنمية الريفية في المنطقة العربية في ضوء الدراسات المتوفرة عن نشاطات التنمية الريفية في ثلاث عشر دولة بالمنطقة، وهي المملكة العربية السعودية، والسودان، والعراق، والمملكة الأردنية الهاشمية، والجمهورية العربية السورية، والبحرين، وسلطنة عمان، ودولة فلسطين، ودولة قطر، ودولة الكويت، وجمهورية مصر العربية، والجمهورية التونسية، والجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

ففي المملكة العربية السعودية تركز البرامج والسياسات على معالجة ظاهرة الفقر معالجة جذرية ودائمة، وذلك بدعم برامج يتحول من خلالها الفقراء المحتاجين من متلقين للمساعدات الإنسانية إلى أعضاء منتجين يعتمدون على أنفسهم حيث تقدم الدولة لسكان الريف خدمات الصحة، والتعليم، والخدمات البلدية، وتعالج مشاكل الإسكان بالعمل على توفير السكن الملائم للفئات المحتاجة من المواطنين وتهدف برامج التنمية الريفية في المملكة العربية السعودية بوجه خاص تحسين إنتاجية المحاصيل الزراعية عن طريق تبني أحدث التقنيات الزراعية، وتهتم الدولة ببرامج تمكين المرأة الريفية وتطوير قدراتها وإزالة المعوقات أمام مشاركتها في الأنشطة التنموية، وقد قطعت الدولة من خلال خطط التنمية شوطاً بعيداً في الاهتمام بتنمية الأرياف لا يخفى على النظر الرشيد.

وفي السودان على سبيل المثال تقوم على إعطاء الأولوية لتنمية القطاع الزراعي النباتي والحيواني وبخاصة القطاع التقليدي وتحقيق الأمن الغذائي، وتسعى لتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية في الريف، وتقليل الهجرة من الريف إلى المدن عن

طريق التوسع في برامج التنمية الريفية المتكاملة المدعومة بواسطة المنظمات الدولية، ولضمان حسن استغلال الموارد الطبيعية وتنميتها، وتحسين آليات المشاركة بين القطاعين العام والخاص، ومنظمات المجتمع المدني، والمنظمات التطوعية في العمل التنموي في الريف، ودعم النشاط النسوي وتمكين المرأة من تنمية نشاطها الاقتصادي والاجتماعي.

وفي العراق يتم التركيز في المناطق الريفية على إمداد المزارعين بالمستلزمات الزراعية المدعومة الأسعار، وتقديم لصغار المزارعين بالريف قروض ميسرة لتطوير الإنتاج الزراعي وزيادة الدخل، وتسهيل الدولة عمليات التسويق وتعمل على ضمان حصول المزارعين على أسعار ملائمة لمنتجاتهم موازية للأسعار العالمية، وتقديم القروض لصغار المزارعين عن طريق المصرف الزراعي لاستثمارها في تطوير العمل الزراعي وزيادة الإنتاج والدخل.

وفي المملكة الأردنية الهاشمية تدعم الدولة برامج تمويل المشاريع الصغيرة، وتحسين الأمن الاقتصادي للأسر العاملة متدنية الدخل، وتعمل على زيادة فرص التشغيل في المناطق الريفية والبلديات الثانوية من خلال تنمية التجمعات القروية ومجالس القرى المشتركة، وتطوير البنية التحتية، وتنفيذ المشاريع المولدة للدخل والأنشطة البيئية، وبناء قدرات الموارد البشرية.

وفي الجمهورية العربية السورية تهدف سياسات التنمية الريفية إلى تطوير الإنتاج الزراعي وتحسين دخول المنتجين، والحد من الفقر، وتحقيق الأمن الغذائي، وضمان توفير حاجة الاستهلاك الوطني من السلع الغذائية، وتهدف السياسة التنموية إلى ضمان الاستثمار الاقتصادي المرشد للموارد الطبيعية، والاستفادة منها بما يحقق

استدامتها والمحافظة عليها من التدهور والاستنزاف والتلوث، مع الاهتمام الخاص بالتصنيع الزراعي، وتدريب الكوادر البشرية لمواكبة عملية تطوير الإنتاج، ويساهم النظام المصرفي في تطوير الإنتاج الزراعي وتحديثه، وتبني الدولة سياسات سعرية وتسويقية لتشجيع زيادة الإنتاج الزراعي وتحسين نوعيته، وتعطي الدولة اهتماما خاصا لبرامج تمكين المرأة وتعزيز مشاركتها، في العمل التنموي عن طريق تقديم خدمات التدريب وتوفير القروض.

وفي البحرين تهتم برامج التنمية بتحسين مستوى الخدمات الاجتماعية المتاحة بالريف عامة، وتطوير الإنتاج الزراعي بإدخال الأصناف والسلالات الجيدة ذات الإنتاجية العالية، وتوفير مدخلات الإنتاج بأسعار مدعومة، وتوفير القروض الميسرة بدون فوائد لتشجيع الإنتاج، وتهتم الدولة بتوسيع دائرة المشاركة الشعبية في برامج التنمية الريفية.

وفي سلطنة عمان يعطي اهتمام خاص لتطوير الثروة الزراعية والحيوانية والسمكية على أسس سليمة باستخدام أحدث التقنيات المتاحة، ونشر طرق التربية الحديثة لعسل النحل في المناطق الريفية، ورفع كفاءة الصيد الحرفي وتقديم القروض الميسرة للشباب في مجال الإنتاج السمكي، ويتم تعزيز وتنشيط دور المرأة الريفية في مختلف المجالات الزراعية.

وفي دولة فلسطين تستهدف برامج التنمية الريفية رفع الكفاءة التسويقية للحاصلات الزراعية لتعظيم الربحية للمزارعين، ولتطوير مهارات وقدرات العاطلين عن العمل والفقراء لتمكينهم من العمل لتحسين ظروفهم المعيشية، وتهتم الدولة

بتعزيز فرص مشاركة الفقراء في العملية الاقتصادية من خلال توفير الأرض ورأس المال وغيرها من عناصر الإنتاج السلعي.

وفي دولة قطر توجه برامج التنمية الريفية لدعم القطاع الزراعي بالخدمات البحثية والإرشادية وتوفير مستلزمات الإنتاج، ويعطي اهتمام خاص بتشجيع المبادرات الوطنية والمشاركة الأهلية في الأعمال التنموية، وبدعم الأنشطة الإنتاجية للمرأة.

وفي دولة الكويت تعطي الدولة اهتماما خاصا بتنمية الموارد الطبيعية وتحسين الإنتاجية الزراعية، وتوسيع دائرة المشاركة الشعبية في برامج التنمية الريفية، وخلق وظائف لجميع القادرين على العمل في الدولة، وتقديم تسهيلات متنوعة مجانية للمواطنين بما في ذلك خدمات العلاج والتعليم، والقروض الميسرة للراغبين في الزواج والبناء من المواطنين.

وفي جمهورية مصر العربية تهتم برامج التنمية الريفية بنشر تقنيات الإنتاج الزراعي الحديثة لرفع مستوى الإنتاجية والربحية للمنتجين الزراعيين، وتنشيط وتفعيل دور المنظمات الأهلية غير الحكومية والتنسيق بينها وبين السلطات الحكومية في محاربة الفقر وتقديم المساعدة المباشرة للفقراء عن طريق المعونات الاجتماعية وتقديم القروض المدعومة للشباب العاطلين عن العمل لتمويل نشاطاتهم الصغيرة الهادفة لتوليد الدخل، وتوجه الدولة اهتماما خاصا لبرامج التمكين الاقتصادي للمرأة الريفية وتوفير الخدمات الاجتماعية بما في ذلك خدمات التعليم والخدمات الصحية المجانية.

وفي الجمهورية التونسية يتم التركيز في برامج التنمية الريفية على تأهيل المزارعين والعاملين في الزراعة فنيا واجتماعيا لتطوير قدراتهم المعرفية والمهارية للمساهمة الفاعلة في التنمية الزراعية، وعلى تشجيع البرامج الاجتماعية والتضامنية في مجالات الصحة والتعليم والسكن والغذاء لرفع مستوى معيشة الفقراء.

وفي الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية تعطي برامج التنمية الريفية اهتماما خاصا لهدف ضمان الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية والحفاظ على التوازن البيئي، وتفعيل مشاركة المجتمعات في عملية التنمية الاقتصادية المستدامة، وتمكين الفقراء من الحصول على القروض ودعم قدراتهم الإنتاجية.

وبالنظر إلى المنجز نحو تحقيق أهداف التنمية الريفية نجد تفاوت دول المنطقة العربية فيما بينها، وداخلها من حيث الإمكانيات المتاحة لإحداث التنمية الريفية المستدامة وتوفير مقوماتها، وبالتالي التمكن من إحراز التقدم المنشود ويعزى التراجع في معدلات محاربة الفقر في بعض دول المنطقة العربية للسياسات الكلية المتبعة وبرامج الإصلاح الهيكلي، والحصار الاقتصادي المضروب عليها، كما هو الحال في السودان على سبيل المثال.

وعليه فليس من المتوقع أن تتمكن الدول النامية بالمنطقة من إحراز تقدم كبير في تنفيذ الأهداف التنموية للألفية في غياب المساعدات، والدعم المطلوب بواسطة الدول الغنية بالمنطقة والجهات المانحة الأخرى والمنظمات التنموية الدولية، ولكن كما ورد في تقرير اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لدول غرب آسيا - الأسكوا (٢٠٠٥م) فإن توفير المساعدات المادية لوحده لا يشكل الضمان لإحداث تقدم نحو تحقيق

الأهداف التنموية للألفية بهذه الدول ما لم تتوفر بها السياسات الاقتصادية والتنموية الراشدة.

ولا تزال المنطقة العربية في حاجة لبذل المزيد من الجهود لإقامة شراكات إستراتيجية على المستويين الإقليمي والعالمي، وتبني السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي من شأنها أن توفر المناخ الداعم للجهود المطلوبة لإحداث التنمية المستدامة^(٤٨).

الفرع الثامن

(دور البنك الدولي ومساهماته في التنمية الريفية)

كانت مساعدات البنك الدولي ممثلاً في المؤسسة الدولية للتنمية لقطاع الزراعة، وما يتصل بها من تنمية ريفية قد بلغت (٤، ١) مليار دولار عام (٢٠١٠م) وهو ما يعادل (٧%) من المساعدات التي قدمها، وهو معدل منخفض عما قدم في سنة (٢٠٠٩م) والذي بلغ (٣، ٥) مليار دولار إلا أنه يظل أعلى من متوسط ما قدمه خلال السنوات المالية من (٢٠٠٦م) وحتى (٢٠٠٨م) حيث أنه لم يتجاوز (٣) مليارات دولار كنتيجة للتصدي لأزمة الغذاء التي أدت إلى تركيز صرف الموارد لمشروعات الغذاء عام (٢٠٠٩م)^(٤٩).

وعلاوة على استثمارات البنك الدولي ممثلاً في المؤسسة الدولية للتنمية والبالغة (١، ٤) مليار دولار، استثمرت مؤسسة التمويل الدولية ملياري دولار في الصناعات الزراعية والريفية ليصبح جملة قروض مجموعة البنك الدولي (١، ٦) مليار عام (٢٠١٠م)، وتتضمن خطة العمل زيادة مساهمة البنك الدولي لقطاع الزراعة

والتنمية الريفية من (١, ٤) مليار دولار سنويا فيما بين (٢٠٠٦) إلى (٢٠٠٨م) إلى ما بين (٢, ٦) مليار دولار و(٣, ٨) مليار خلال السنوات (٢٠١٠) إلى (٢٠١٢م) ^(٥٠).

هذا وقد تركزت الأولويات الإستراتيجية للزراعة والتنمية الريفية، وبرنامج عمل البنك الدولي على ما يلي ^(٥١):

(١) الزراعة وتغير المناخ.

(٢) السياسة الزراعية والريفية.

(٣) الإنتاج الزراعي.

(٤) زيادة فعالية الأسواق الريفية.

(٥) تحسين الإدارة العامة للموارد الطبيعية.

استراتيجيات التنمية الريفية ^(٥٢):

تدعو الإستراتيجية الجديدة للتنمية الريفية لدى البنك الدولي للإنشاء والتعمير، والاتحاد الدولي للتنمية إلى زيادة وضوح جهود التنمية الريفية، وتوسيع نطاق مساعي البنك الدولي كي تصل إلى الفقراء في الريف، وتتميز الإستراتيجية الجديدة بأربعة سمات هي:

(١) التركيز على الفقراء، إذ يتجه البنك في الوقت الحالي، الى التنمية الريفية الشاملة الموجهة نحو الفقراء وإلى زيادة عائدات اليد العاملة والأراضي.

(٢) تعزيز النمو على قاعدة واسعة، يعترف البنك بعد أن أعاد التأكيد على التزامه حيال الزراعة باعتبارها المحرك الرئيسي للنمو الاقتصادي الريفي، بأهمية الأنشطة الاقتصادية غير الزراعية والقطاع الخاص.

(٣) معالجة المجال الريفي بأكمله، يتجه البنك في الوقت الحالي نحو أساليب عمل مشتركة بين القطاعات طويلة الأجل - وبعيدا عن أساليب العمل قصيرة الأجل الخاصة بكل قطاع على حدة - لكن مع المعالجة المباشرة لأوجه القصور التي عانت منها أساليب العمل من الأعلى إلى الأسفل وغير الشمولية.

(٤) إقامة تحالفات بين جميع أصحاب الشأن: يسعى البنك إلى توسيع مشاركة أصحاب الشأن على نطاق واسع في إعداد المشروعات والبرامج وتنفيذها.

وبموجب هذه الإستراتيجية، سيتم التنفيذ على هدى التنوع القطري والإقليمي، إذ تحدد لكل بلد الأولويات ومجموعة أدوات السياسات، وفقا للتقدم المحرز في إصلاح السياسات، وحجم وحالة الاقتصاد الريفي، والوصول إلى الأسواق والتمويل الخارجي.

وتعكس خطط العمل في كل إقليم من الأقاليم الظروف الخاصة والميزة النسبية للبنك في تقديم الدعم للمناطق الريفية، وكي تدعم البرامج تأمين سلع عامة على المستوى العالمي، يجب أن تعزز الأولويات الإستراتيجية لصالح البلدان النامية في عملية منظمة التجارة العالمية، وأن تضمن الحصول الفوري على التكنولوجيا الجديدة والملائمة، لاسيما بالنسبة إلى صغار المزارعين والمؤسسات الريفية الصغيرة.

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

نستطيع ومن خلال التحليل والدراسة وتسليط الضوء على كثير من القضايا المتصلة بالتنمية الريفية، أن نبرز بعض النتائج والتوصيات على النحو التالي:

أولاً: النتائج:

- (١) التنمية الريفية فرع هام من فروع التنمية الاقتصادية له صلاته المختلفة بكافة أجزاء الاقتصاد القومي.
- (٢) للاقتصاد الإسلامي قصب السبق في هذا الموضوع كما في غيره فقد اهتم به ومنذ صدر الدولة الإسلامية.
- (٣) تقوم التنمية الريفية في الإسلام على قضايا التوازن والشمول فكرياً وتطبيقاً.
- (٤) هناك دور هام للمواطن في تحقيق التنمية الريفية من خلال المشاركة الفعالة، وعلى اعتبار أن الإنسان هو هدف التنمية وصانعها.
- (٥) ضرورة توجيه المزيد من الاهتمام إلى التنمية الريفية كنتيجة لفداحة المؤشرات السابقة.
- (٦) تتنوع أهداف التنمية الريفية إلى اقتصادية واجتماعية.
- (٧) تعمل التنمية الريفية على محاربة الفقر و الحد من الهجرة وتوفير كافة الخدمات الأساسية بالأرياف.
- (٨) ضرورة تكامل الأطر الإدارية والفنية المعينة على تحقيق التنمية الريفية.

(٩) اهتمت كثير من دول العالم الإسلامي بالتنمية الريفية على اعتبارها رافداً من روافد التنمية الاقتصادية ولا زال الموضوع يتطلب المزيد.

ثانياً: التوصيات:

- (١) توجيه مزيد من الاهتمام إلى الدراسات المتصلة بالتنمية الريفية.
- (٢) إيجاد التبادل الكامل للمعلومات بين الدول الإسلامية في مجال التنمية الريفية.
- (٣) إقامة المراكز البحثية المتخصصة في شؤون التنمية الريفية، ومحاولة تعميم ذلك على كافة الدول الإسلامية.
- (٤) توجيه المزيد من الاهتمام إلى التنمية الريفية من خلال الجهود العربية والإسلامية.
- (٥) ضرورة وضع إدارات مختصة ضمن الهيكل الحكومي في كافة الدول تتوجه إلى الاهتمام بقضايا التنمية الريفية.
- (٦) إعطاء الأولوية في برامج التنمية الريفية لصيانة الموارد الطبيعية وحماية البيئة، ومكافحة التصحر.
- (٧) الاستفادة من فرص الانضمام إلى الاتفاقيات الدولية والإقليمية المهمة بالتنمية الريفية، وتعزيز دور المشاركة فيها.
- (٨) زيادة مشاركة القطاع الخاص في التنمية الريفية تخطيطاً وتنفيذاً.
- (٩) توجيه مزيد من الاهتمام بالبنية التحتية والخدمات التنموية في المناطق الريفية.
- (١٠) الاهتمام بتدريب المرأة الريفية وتعزيز مشاركتها في برامج التنمية الريفية.

الحواشي والهوامش

- (١) هذا يوضح سبق الإسلام في هذا المجال كما في غيره، إذ أن التنمية لم تستقر فكرا وتطبيقا لدى علماء الاقتصاد الوضعي إلا في خمسينات القرن العشرين، كما قدم مفهوم التنمية الريفية لأول مرة في تقرير عام (١٩٨٧م) للجنة (برونت لاند) للبيئة والتنمية، وتم التأكيد عليه في قمة الأرض عام (١٩٩٢م) فليلاحظ.
- (٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١١، ص ١٤٩.
- (٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ٣٩٢.
- (٤) إدارة التنمية الريفية [www7bbb7.com/vb.p.4].
- (٥) محمد سعيد الغامدي، التخطيط للتنمية الاقتصادية وموقف الإسلام منه، ج ١، ص ٦٩.
- (٦) تم استجلاء مفهوم التنمية الريفية وفق أبعاده المختلفة لا تلك المادية التي تنحصر فيها المفاهيم الوضعية.
- (٧) انظر:
- [www-dw-world.de]
- صفحات متفرقة [www-worldbank.org/ard,2010]
- (٨) يقع على عاتق بعض الدول الإسلامية توجيه الاهتمام اللائق بموضوع رفع المستوى العلمي وتخفيض نسب الأمية فيها حتى يتوافق ذلك مع دعوة الإسلام إلى العلم والتعلم.
- (٩) بالرغم من عدم التوافق على مفهوم للفقر أو معيار لقياسه إلا أن الدور هائل على معظم الدول الإسلامية في محاربه من خلال الاهتمام بتنمية الأرياف لرفع المستوى المعاشي للسكان الريفيين.
- (١٠) كوزنتس، سيمون، النمو الاقتصادي الحديث، ص ٧.
- (١١) البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ٣٤.
- (١٢) الترمذي، الجامع الصحيح، ج ٤، ص ٧٧.
- (١٣) الترمذي، الجامع الصحيح، ج ٢، ص ٨٢.
- (١٤) انظر للتفصيل: محمد عفر، محمد الغامدي، أصول الاقتصاد الإسلامي، ص ٦٤-٧٧.
- (١٥) (١٦) إسماعيل كتب خانة، المشاركة الأهلية في المجتمعات الريفية وبعض تطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، ص ١٧٥.

المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون البلدية والقروية، دراسات في التنمية الريفية المتكاملة، ص ١٣،
١٥، ١٨.

(١٧) سعد نصار، بعض القضايا الأساسية في تخطيط التنمية الريفية، ص ٣٠

(١٨) البخاري بحاشية السندي، ج ٢، ص ٤٥.

(١٩) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ١٦.

(٢٠) قال الحافظ العراقي في تخرجه لأحاديث الإحياء ج ٢، ص ٦٤: أخرجه إبراهيم الحربي في غريب الحديث، ورجاله ثقات.

(٢١) القسطلاني، إرشاد الساري إلى صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٧١.

(٢٢) ربيع الروبي، دراسات ومجوت في الفكر الاقتصادي الإسلامي، ص ١١٦.

(٢٣) محمد عفر، التنمية والتخطيط وتقويم المشروعات، ص ٨٥.

(٢٤) أبو جعفر الطبري، تفسير الطبري، ج ٨، ص ٤٩٤. وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ٢٥٦.

(٢٥) علاء الدين البغدادي، تفسير الخازن، ج ٣، ص ٨٨.

(٢٦) مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٨٦.

(٢٧) ابن حجر، فتح الباري، ج ٢، ص ١١٥.

(٢٨) البخاري، صحيح البخاري، ج ٩، ص ٧٧.

(٢٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٥٣.

(٣٠) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٠٣.

(٣١) عبد الله محمد السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ج ٢، ص ٢٠٣.

(٣٢) صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٣٨٩.

(٣٣) اليعقوبي، المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٧٣.

(٣٤) الديلمى، مسند الفردوس، ج ٢، ص ٤٤٠.

- (٣٥) معلوم في الدراسات التخطيطية أن الأهداف تخضع للأجال التخطيطية المتعارف عليها، وتتسوع إلى إستراتيجية وكلية وأهداف يمكن تحقيقها في المدى القصير، ويطبق ذلك على أهداف التنمية الريفية.
- (٣٦) من تلك العادات ظاهرة العائلة الممتدة والأتكالية والسلبية والاستهلاك من خلال التقليد والمحاكاة.
- (٣٧) فيما يتعلق بصياغة الأهداف يمكن النظر إلى:
- * د. محمد الجوهري وآخرون، تنمية العالم الثالث (الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية)، ص ٥٠٦.
- * د. عبد الله محمد عبد الرحمن، التوطن والتنمية في المجتمعات الصحراوية، ص ٦.
- * [www.tanmia.ma/article.p.3]
- (٣٨) يعمل الحد من هجرة الريف إلى المدينة على حل مشاكل عدة على رأسها الضغط على المرافق، وفرص العمل، والتعليم، والخروج من إشكالية تريف المدن.
- (٣٩)(٤٠) قد تتساقق المتطلبات والوسائل مع استكمال تحقيق الأهداف في تصوراتها المختلفة ليتم من خلال ذلك إحداث التكاملية الفنية المطلوبة بين الأهداف والوسائل والمتطلبات.
- (٤١) هناك مقولة فلسفية إلى حد ما في التنمية الاقتصادية، هي أن الإنسان هدف التنمية وغايتها الأساسية، وهو ما يعني إن مشاركته في كافة عمليات التنمية الاقتصادية والريفية أمر حتمي.
- (٤٢) ثم الاعتماد في الحصول على معلومات المشاركة الشعبية على المراجع التالية:
- * د. محمد الجوهري، مقدمة في علم اجتماع التنمية، ص ١٨٢ وما بعدها.
- * بحث عن إدارة التنمية الريفية، مرجع سبق ذكره ص ٦.
- * صفحات مختلفة: [www.napcsyr.org]
- (٤٣) قد تكون عملية اقتناع واقتناع سكان الريف بأهمية مشاركتهم، وعلى كافة الأصعدة من أهم الأمور الدافعة إلى ضمان مشاركتهم، ومن ثم تحقيق أهداف تنمية أريافهم.
- (٤٤) ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، ص ١٦١.
- (٤٥) تجسد ذلك واضحا في خلافة سيدنا عثمان فقد استقدم العمالة وكذا الأشجار من بعض الولايات.
- (٤٦) د. محمد سعيد الغامدي، حماية البيئة في الإسلام، مجلة آفاق حديثة، ص ٦٢.

(٤٧) هذا واضح من أمور عدة وقد ظهر ذلك جليا من خلال امثال الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله سبحانه {وشاورهم في الأمر} ومن خلال تطبيقات ظهرت في العسكرية الحربية للرسول صلى الله عليه وسلم في الخندق وأحد وبدر وغيرها.

(٤٨) للاستزادة انظر خطط التنمية في السعودية خاصة من الخطة الرابعة إلى الخطة الحالية.

(٤٩)(٥٠)(٥١)(٥٢) البنك الدولي تقرير عن التنمية في العالم، (٢٠١٠م) صفحات متفرقة.

قائمة المراجع

أولاً: العربية:

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) كتب السنة.
- (٣) ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، تحقيق: أسامة الرفاعي، بدون ناشر أو رقم طبعة، ١٣٩٤هـ.
- (٤) ابن منظور، لسان العرب، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث: بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- (٥) الوجيز، الطبري، تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، دار التراث، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
- (٦) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، المكتبة التجارية الكبرى: القاهرة، بدون رقم طبعة أو تاريخ.
- (٧) د. إسماعيل كتب خانة، المشاركة الأهلية في المخيمات الريفية وبعض تطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية: الكويت، العدد ٦٠، السنة الخامسة عشر، ربيع الأول ١٤١٠هـ.
- (٨) البنك الدولي، تقرير عن التنمية في العالم، (٢٠١٠م).
- (٩) البلاذري، فتوح البلدان، دار النهضة المصرية: القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٩٥٦م.
- (١٠) خطط التنمية الاقتصادية في السعودية من الخطة الرابعة إلى الخطة الحالية، وزارة الاقتصاد والتخطيط: الرياض.
- (١١) د. ربيع الروبي، دراسات وبحوث في الفكر الاقتصادي الإسلامي، دار الحقوق: القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٤٠١هـ.
- (١٢) د. سعد نصار، بعض القضايا الأساسية في تخطيط التنمية الريفية، المعهد العربي للتخطيط: الكويت، ندوة التنمية الريفية في بعض الأقطار العربية (٢٣-٢٧ أبريل) ١٩٧٨م.
- (١٣) د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية، دار العلم للملايين: القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ.
- (١٤) د. عبد الله السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، بدون ناشر أو رقم طبعة، ١٣٧٩هـ.
- (١٥) د. عبد الله محمد عبد الرحمن، التوطين والتنمية في المجتمعات الصحراوية، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية، بدون رقم طبعة، ٢٠٠١م.

- (١٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بتحقيق: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- (١٧) القسطلاني، إرشاد الساري إلى صحيح البخاري، دار الفكر: بيروت، الطبعة السابعة، ١٣٢٣هـ.
- (١٨) كوزنتس، سيمون، النمو الاقتصادي الحديث، ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين، دار الآفاق الجديدة: بيروت، بدون رقم طبعة أو تاريخ.
- (١٩) د. محمد الجوهري وآخرون، تنمية العالم الثالث (الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية) دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، بدون رقم طبعة ١٩٨٤م.
- (٢٠) د. محمد الجوهري، مقدمة في علم اجتماع التنمية، دار الكتاب للتوزيع: القاهرة، ط٢، ١٩٧٩م.
- (٢١) محمد سعيد الغامدي، التخطيط للتنمية الاقتصادية وموقف الإسلام منه، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية في جامعة أم القرى: مكة المكرمة، ١٤١٢هـ.
- (٢٢) د. محمد سعيد الغامدي، حماية البيئة في الإسلام، مجلة آفاق حديثة، جامعة المنوفية، عدد (٦) ٢٠٠٣م.
- (٢٣) د. محمد عفر، التنمية والتخطيط وتقويم المشروعات، دار الوفا: المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- (٢٤) د. محمد عفر، ود. محمد الغامدي، أصول الاقتصاد الإسلامي، دار الفتح العربي للإعلام: القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- (٢٥) يعقوبي، تاريخ يعقوبي، دار صادر: بيروت، بدون رقم طبعة، ١٣٧٩هـ.

ثانيا: الأجنبية:

- 1) www-worldbank.org/ard,2010
- 2) www.tanmia.ma/article.p.3
- 3) www.napcsyr.org

سادساً: التاريخ والحضارة الإسلامية

وظائف المسجد النبوى فى العصر المملوكى

إعداد

د. عائض بن محمد الزهراني

أستاذ التاريخ المشارك

وكيل كلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر

بجامعة الطائف

وظائف المسجد النبوي في العصر المملوكي

إعداد

عائض بن محمد الزهراني

ملخص البحث:

إن المدينة المنورة بصفتها العاصمة الإسلامية الأولى في التاريخ الإسلامي، وبوجود المسجد النبوي فيه أصبح لها مكانة خاصة لدى الحكام على مر التاريخ الإسلامي، مما استدعى وجود إهتمام خاص بها وخصوصاً من الناحية الدينية، الأمر الذي أدى إلى تعيين مجموعة من الأشخاص لهم سمات وصفات وقيم دينية تكون مهامهم خدمة المسجد الحرام والمدينة المنورة مما أوجد عدة وظائف تخص بالناحية الدينية بالمدينة المنورة.

وقد كان للسلطين المماليك إهتمام خاص بالحرم النبوي الشريف، ولذلك فقد حافظوا على الوظائف التي كانت موجودة بهدف خدمة الحرم النبوي كما زادوا عليها أو قاموا بتحسينها لزيادة الخدمة فيه.

لذلك تستعرض الدراسة الوظائف الدينية بالمدينة المنورة والمسجد النبوي رئيسة أو ثانوية التي كانت موجودة في عصر الدولة المملوكية سواء تلك الموجودة قبلهم أو التي استحدثوها وما يتعلق بها من وظائف إدارية أو غيرها.

Abstract

Being the first Islamic capital in the Islamic history and with the existence of the Prophet's Mosque in it, Al Madinah Al Monowarah has always occupied a unique status in the hearts and minds of state rulers throughout the Islamic history, therefore it religiously possesses a special position.

Due to the above mentioned status of Al Madinah Al Monowarah, those who are asked to carry out different religious duties and positions were of distinguished religious as personal attributes.

The Mamluk governors used to bestow a special concern to the honorable Prophet's Mosque, therefore they preserved the religious positions which had been there in order to look after and maintain serving the Prophet's Mosque.

This study highlights the different kinds of religious positions and posts which were there in Al Madinah Al Monowarah before and during the era of the Mamluk state as well as other religious and administrative positions created by The Mamluk.

المقدمة

المدينة المنورة هي قلب الإسلام والمسلمين ومنها شع النور المحمدي وانتشرت دعوة الله في جميع أنحاء المعمورة فكان لها فخر نصرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ونشر دينه، وقد جعل الله المدينة داراً لهجرته ونصرته ومسجدها ثاني المساجد التي تشد الرحال إليها وفيه الروضة المطهرة التي هي من رياض الجنة، إن المدينة وحرمتها وحرمتها وللمكان الذي ضم الجسد الشريف الطاهر المنزل السامية الرفيعة، لذلك تسابق العلماء ورويت أحاديث كثيرة تتحدث عن فضائل المدينة المنورة، والتي لا تعد ولا تحصى.

ولعل المكانة الدينية المميزة للمدينة المنورة النبوية بشكل عام وموقع مسجدها النبوي في نفوس المسلمين بشكل خاص كان دافعاً أمام العلماء وطلبة العلم من مختلف بلدان العالم الإسلامي إلي الإقامة والمجاورة بها، وأصبح المسجد النبوي مركز إشعاع علمي وثقافي ومنارة دينية مهمة ينهل منها طلبة العلم، لفت أنظار حكام وسلطين المسلمين في مختلف البلدان فأهتموا بشئون المسجد النبوي الشريف.

كما أهتم سلاطين المسلمين برصد الأموال والأوقاف وقد شهد العصر المملوكي العديد من الأوقاف والأموال لخدمة طلبة وموظفي المسجد النبوي بشكل خاص، وكان العلماء والطلاب يجدون من الأموال والمؤن وصدقات أهل الخير والأوقاف الدائمة المحبوسة عليهم ما يلبي احتياجاتهم، وقد كفل لهم ريع الوقف الاستمرار في طلب العلم ووجدوا بذلك ما يكفيهم مؤنة البحث عن المسكن والمأكل والملبس وشتى أمور معاشهم،

ويعتبر الناصر محمد بن قلاوون من أبرز سلاطين المماليك اهتماماً بشئون الحرمين الشريفين حيث كانت له أعمال خيرية كبرى بالحرمين الشريفين بمكة والمدينة على كافة أوجه الحياة بمكة والمدينة ليصرف من ريعها على شئون التعليم وحفظ القرآن والتفقه فى أمور الدين إذ تعتبر مؤسسة الوقف أهم مورد مالى رصد للمساجد لتستمر وبكل ما يتعلق بالشئون الإسلامية مثل دور تحفيظ القرآن الكريم وأن يؤدي الوعظ والخطباء دورهم فى تنمية معانى الخير والحق وبيان روعة الإسلام ومعالجته لمشكلات الحياة وقضايا الناس

وتنتيجة للإقبال الكبير من جانب العلماء وطلبة العلم على التواجد بالمدينة المنورة وطلب العلم على يد علماء المسجد النبوى ظهرت العديد من المسميات الوظيفية داخل المسجد النبوي لتنظيم إدارة أمور المسجد النبوي وتوفير الأمن والأمان وسبل المعيشة لهم فشهدت ساحة الحرم النبوي الشريف العديد من الوظائف المتنوعة والمتعددة.

المبحث الأول الوظائف الدينية

الإمامة والخطابة والقضاء:

شهد المسجد النبوي خلال العصر المملوكي تولي عدد من الفقهاء من داخل المدينة وخارجها لمنصب الخطابة والإمامة ومن بينهم أفراد من الأسر العلمية كأسرة المطري، حيث تولى جمال الدين محمد بن أحمد المطري الإمامة والخطابة سنة ٧٤٢هـ، نيابة عن الشريف الأميوطي حين غيبته بالقاهرة، ومن أسرة ابن صالح تولى الإمامة والخطابة عبد الرحمن بن محمد بن صالح كما ناب عنه أخوه محمد، ومنهم أيضاً أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن صالح الذي أنجب أربعة أبناء كلهم عرف بمحمد تولوا الخطابة والإمامة في المسجد النبوي.^(١)

فهي أهم المناصب الوظيفية داخل الحرم النبوي الشريف لما له من تأثير كبير على كافة أهل المدينة والمجاورين والقائمين بأمر المسجد النبوي، وكان لابد لمن يلى أمور ذلك المنصب الهام أن تتوفر به عدة شروط سواء حددت هذه الشروط بنصوص وثائق الأوقاف أو هي شروط عامة متعارف عليها، حيث لابد من توافر العلم الغزيز في كافة فروع الدين من علوم الفقه والحديث والسنة وعلوم القرآن والقراءات واللغة العربية وغيرها من كافة فروع العلوم الدينية، الى جانب الشخصية القوية المؤثرة الجذابة التي تستطيع أن تتألف حولها القلوب وتجتمع عليها الكلمة خاصة في ذلك الوقت الهام من التاريخ والذي كان يلى فيه أمر المدينة في ذلك الوقت سواء الإمارة السياسية أو الامامة الدينية اناس من الإمامية الشيعة فكان لابد من توافر

الشخصية العالمة التي لا تخشى الا الله ولا تخاف من بطش ذى سلطان حتى تستطيع أن يلتف حولها أهل الايمان من أنصار السنة وبالفعل وفد على المدينة فى ذلك الوقت عدد كبير من العلماء المسلمين من مختلف البلدان الذين تولوا ذلك المنصب واستطاعوا من محاربة البدع وكانوا أهلاً لذلك المنصب الهام بدء من عام ٦٨٢هـ وهو ذلك العام الذى باشر فيه الشيخ سراج الدين عمر بن أحمد الخضرى الأنصارى فى عهد المنصور قلاوون كأول خطيب لأهل السنة بالمدينة والذى تولى الخطابة بالمسجد النبوي قليلاً ثم لم يستطيع الاستمرار والاقامة لكثرة ما ناله من الأذى من الشيعة فترك الخطابة وسافر الى القاهرة حتى أن الشيعة كانوا يحصبونه بالحصى اذا حضر المسجد وصعد المنبر ثم سار السلطان بعد ذلك يرسل فى كل سنة صحبة الحاج شخص يقيم لأهل السنة والخطابة والامامة الى نصف السنة ثم يأتى غيره مع الرجبية الى ينبع ثم الى المدينة المشرفة^(٢)

ثم عاد القاضى سراج الدين خطيباً واماماً بالمدينة المنورة كأول خطباء أهل السنة فقد أراد يترك المدينة والعودة الى مصر وعندما هم بذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم ثلاث مرات فى كل مرة ينهائى عن الخروج منها يخبره باقتراب أجله فلم ينته عن ذلك^(٣) ثم سافر الى مصر ليتداوى فأدركه الأجل بالسويس قبل الوصول الى مصر^(٤) واستمر أربعين عاماً وكان يبلغ من العمر حين وفاته تسعين عاماً^(٥)

وكان قد خلفه شمس الدين الجلبى ثم جاء بعده شرف الدين السخاوى، ثم تولى الأمامة والخطابة بهاء الدين بن سلامة المصرى وكان له خط حسن قليل المثل وكان يكتب المصاحف ويهديها للأمراء أصحابه فينعمون عليه بالألف درهم وما

قاربها على كل مصحف وكان يكتب كذلك للسلطان الا أنه امتنع عن الكتابة له فابقى السلطان على معلومه بل زاده عليه وقد أقام بالمدينة في الأمامة والخطابة مدة ثم عزل نفسه لأنه لم ير في نفسه أهلاً لما شرطه الواصف من معرفة القراءات ومعرفة الفرائض فخاف على دينه فأرسل يستقيل وكان قد شدد على الخدام حتى منعهم من الشمع والدرهم وجميع ما يجمعونه في صندوق النذور أمام الموسم وقال هذا يجري في صالح الحرم لا في الحرام ولا يجوز لكم قسمة بينكم في مذهب أحد الأئمة من الاعلام فغير ذلك عليهم ولم يبال بذلك وغلبهم وانتزعه من أيديهم ولم يصرف عليهم منه نقداً، وكان دائماً يقول والله ما فرحت بهذا المنصب وأنى لأرجو أن يقبلني الله منه^(٦)

ثم تولى بعده الامام عبدالرحمن بن عبدالمؤمن الهوريني، وكان من قضاة العدل انتهت الية الرئاسة مع العلم الغزير والعقل الراجح وعندما أصيب تقى الدين في بصره وتوجه الى الديار المصرية للعلاج سعى عليه وعزل^(٧)

وتولى بدلاً منه الحسن بن أحمد بن الصدر وبرع في الفقه وهو ممن كتب شرحاً للعمدة وحدث وصاهر شرف الدين الاسيوطي وناب عنه في القضاء بالمدينة الشريفة وولى استقلالاً بعد ذلك في ذي الحجة عام ٧٤٨هـ بعد عزل الهوريني وتشدد على الشيعة فتوعده الأمير طفيل أمير المدينة النبوية فذهب الى الحج عام ٧٥٠هـ ثم توجه الى القاهرة ولم يلبث أن مات بها^(٨)

وبعد وفاة الشيخ الهوريني امام وخطيب المسجد النبوي الشريف تولى بعده أحد العلماء وهو الشيخ تاج الدين محمد بن عثمان التركي وكان عالماً في مذهب الشافعي وفي أصول الفقه وأخذ في التقرب والتودد من المجاورين والخدام وفي

استمالة طلبه العلم اليه الا أنه لزم مجموعة من شباب طلبه العلم الذين سعوا بينه وبين الخدام وأفسدوا ما بينهم وبينه من الألفة والوفاق حتى حاصره الخدام فى أحد الايام فى داره، وكان قد فوض الى الشيخ افتخار الدين شيخ الخدام احكام الحرم والوظائف والكلام عن الربط والأوقاف ثم بدأت تظهر بوادر الفتنة واختلاف الناس وتحزب الناس احزاباً واستحكمت الفساد ونفر عنه أكثر المجاورين والخدام واجتمعت كلمتهم على غيره وعندما حاول استرجاع سلطانه مرة أخرى لم يتيسر له ذلك فلما حضر الموسم توجه مع الركب المصرى الى الديار المصرية وأعرض عن المنصب حتى وفاته^(٩)

ثم تولاه بدلاً منه الشيخ الامام شمس الدين محمد بن سليمان الشهير بالحكرى وصل الى المدينة عام ٧٦٦هـ وهو من العلماء الأفاضل أصحاب التأليف المفيدة والتي منها (شرح الحاوى) و(شرح الألفية) وغير ذلك وقام بأمور الخطابة والأمامة كأحسن ما يكون من القيام يقول ابن فرحون: لم يلى هذا المنصب أحد ألىن منه عريكة ولا أكثر تواضعاً ولا أصح منه سريرة ولا أصفى قلباً للمجاورين غير أنه وجد عند الخدام بقايا ذلك العناد الذى تأسس فى ايام تاج الدين فحاول اصلاح ذلك بالقوة والشدة وجرى بينه وبينهم مقامات^(١٠)

ثم أعيد إلى امامة المدينة مرة أخرى القاضى ابراهيم بن أحمد بن عيسى المعروف بابن الخشاب وكان ذلك عام ٧٨٢هـ واستمر به إلى أن وقع له مرض فتوجه الى القاهرة فى البحر لأجل مصالح دينية ودينية فأدركه الأجل فى الطريق فمات عن نحو ثمانين سنة، وكان أماماً عالماً خطيباً بليغاً فقيهاً فاضلاً متورعاً عفيفاً عادلاً صارماً بالأحكام ذا نظم كثير وجمع أشياء منها مناسك كبرى وصغرى ووسطى وشرح قطعة من المنهاج للنووى وجمع ديوان خطب^(١١)

وكان ممن ولى خطابة المدينة النبوية المشرفة بعد ذلك أحمد بن سليمان الصقلي ولى الخطابة والامامة بالمدينة الشريفة وكان قليل الاجتماع بالناس سافر من المدينة الى القاهرة عام ٧٧٨هـ فمات من نفس العام^(١٢) ثم تولى أحمد بن محمد القاضي النويري والذي حفظ القرآن في صباه ودرس الفقه والأصول والقراءات وناب عن والده في الخطابة والحكم وهو دون العشرين من عمره وعندما أتم العشرين جاءه المبشرون من مصر بالتقليد بالقضاء والخطابة والامامة بالمدينة الشريفة ثم استقل الى مكة خطيباً واماماً عام ٧٨٩هـ واستمر بها حتى وفاته عام ٨٩٩هـ^(١٣)

ثم تولى امامة المدينة وقضايتها وخطابتها الزين العراقي عبدالرحمن بن حفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان سنوات واهتم بدراسة الحديث بإشارة من العز بن جماعة وتصدى للتخرج والتدريس والتصنيف والأفادة فكان من تأليفه فهرس مرويات البيهقي، ومات بالقاهرة عام ٨٠٦هـ^(١٤)

ثم تولى زين الدين عبدالرحمن بن صالح المدني تولى قضاء المدينة والخطابة بالمسجد النبوي الشريف واستمر في منصبه اكثر من ثلاثين سنة حتى وفاته عام ٨٢٦هـ^(١٥) وكان من تولى خطابة المدينة وامامتها فترة من الزمن قاضي المدينة النبوية زين الدين ابو بكر بن حسين بن عمر المراغي وكان من الفقهاء الفضلاء وقد شرح منهج النووي وكتب تاريخ المدينة النبوية واستمر بالمدينة حتى مات بها^(١٦) وكان ممن تولى الامامة والخطابة بالمدينة جمال الدين محمد بن عبدالله الكازروني انتهت اليه رئاسة العلم بالمدينة النبوية وولى قضايتها وخطابتها ثم صرف عنها ودخل القاهرة مراراً وتوفى عام ٨٤٣هـ^(١٧) ثم تولى الخطابة بالمسجد النبوي الشريف والامامة به ابراهيم بن محمد القاضي فتح الدين ولد بالمدينة عام ٨٢٩هـ ونشأ بها فحفظ القرآن الكريم والاربعين والمنهاج للنووي وجمع الجوامع ونصف المنهاج الأصلا وجميع ألفية

ابن مالك والمقدمات لأبي القاسم النويرى ودخل القاهرة مراراً وأخذ عن الأمين الاقصرائى والتقى القلقشندى واستقر فى مشيخة الباسطية بالمدينة ثم تولى الإمامة والخطابة بها^(١٨) ويتضح من ذلك مدى أهمية وخطورة منصب الامامة والخطابة والقضاء بالمسجد النبوي الشريف والمدينة المنورة ومدى السلطات التى كانت تسند الى من يلى أمر هذا المنصب وتأثيره الواضح فى أهل المدينة على كافة انتماءاتهم الدينية المذهبية. فكان لابد لصاحب هذا المنصب من توفر العلم والدين اللازمين لمواجهة ما يعترض طريقه من مشكلات والقضاء على ما يواجهه من مصاعب، وكانت هذه هى المناصب الرئيسية التى وجدت داخل الحرم النبوي الشريف، وقد اشتق من هذه المسميات الوظيفية مسميات وظيفية أخرى مساعدة ومعونة لها على أداء مهامها أو ربما تسند الى أشخاص فى حالة غياب صاحب المنصب الرئيس بسفر أو مرض أو لأذى عارض يعترضه فكان لابد من وجود صاحب المنصب البديل الذى يقوم بمهام صاحب المنصب الرئيس حتى تستقيم الأمور ولا يحدث الخلل الذى يضرب بالحياة العامة ويؤثر فى مصالح الناس وأمور حياتهم.

نائب الإمامة والخطابة والقضاء:

وهى أحد الوظائف المهمة داخل الحرم النبوي حيث يقوم صاحبها بنفس دور الامام حال غيابه أو مرضه أو سفره أو حتى حال تواجده نظراً لكبر حجم المسؤولية وعظمتها الأمر الذى لا يستطيع شخص بمفرده من القيام بتلك الأعباء فكان لابد من وجود المساعدين له حتى يستطيع أن يقضى فى الأحكام بين الناس خاصة وأن العادة قد جرت غالباً على أن يلى الإمامة والخطابة الى جانب القضاء شخصاً واحداً وكان ذلك من الأعباء العظيمة فقام المساعد أو النائب بدور كبير فى حل مشاكل الناس ومساعدة الامام فى الأحكام وشهدت المدينة فى ذلك الوقت ظهور عدداً من

الأسماء الذين قاموا بأداء دور النائب أمثال أحمد بن محمد أبو العباس الششتري ولد بالمدينة ونشأ بها فحفظ المنهاج والشاطبية وقرأ القراءات على الشمس الكيلاني والسيد ابراهيم الطباطبي وناب في خطابة المدينة وامامتها عن خاله فتح الدين بن صالح فمن بعده وكان خيراً رضيعاً مشاركاً في الفقه والعربية توفي عام ٨٧٧هـ^(١٩)

وكان من أشهر من تولى الانابة في القضاء بالمدينة النبوية الشيخ ابى عبدالله بن فرحون وتولى ذلك نيابة عن القاضى والامام تقى الدين الهوريني يقول ابن فرحون في ذلك موضحا الدور الذى يقوم به النائب وحجم المسؤولية الملقاه على عاتقه يقول ((فأحبني أهل البلد ومالوا عن قضاة الامامية واعتزلوهم وتركوا المحاكمة عندهم وعندما سافر الامام الهوريني الى مصر للعلاج. تولى ابن فرحون نائباً عن الامام الهوريني في الخطابة والقضاء والامامة وكافة اعماله وشدد على الامامية فى نكاح المتعة ويقول ونكلت بفاعلها وحملت الناس على مذهب الامام مالك))^(٢٠)

ومن ناب في الامامة والخطابة بالمدينة ابراهيم بن مسعود الاربلى ثم أقام بالمدينة وانتفع به فى أقرأء القراءات وكان شيخاً مهيباً حسن السميت مليح الشبية ناب في الخطابة والامامة وكف بصره فى آخر عمره ومات عام ٧٤٥هـ^(٢١)

وكان عبدالرحمن بن القاضى ناصر الدين بن اسماعيل الكنانى ممن أناب فى الخطابة والامامة وهو ممن سمع على ابى الفتح المراغى وأخذ عن عمه ابى الفتح ابن صالح والاشبيطى وغيرها ومات بعد عام ٨٨٧هـ^(٢٢) وكان الشيخ برهان الدين القاهرى المعروف بابن الجابى شخصاً ذا هيبه وسكينة ووقار كثير الصمت وكان يقرئ القرآن بالسبع كان قد استنابه فى الامامة والخطابة القاضى شرف الدين الاسيوطى وكان قد استنابه من قبل بها ايضاً الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد المطرى

فقام بها أحسن قيام وقد فقد بصره في آخر أيامه وتوفي عام ٧٤٥هـ^(٢٣) وكان أحمد بن محمد الشهاب اليماني قاضي المدينة ممن أخذ عنه ابو عبدالله محمد مرزوق يقول عنه السخاوي: وقال شيخنا في درره: أنه رحل الى المدينة فقطنها وناب في القضاء والخطابة والامامة بالمدينة الشريفة وكان ممن درس وحدث ومات عام ٧٢٦هـ^(٢٤) وعندما سافر الشيخ سراج الدين عمر الانصاري الخزرجي أناب عنه في الامامة والخطابة الشيخ عز الدين الواسطي فقام بها أحسن قيام^(٢٥) كما تولى يحيى التونسي الامامة والخطابة نيابة عن الشيخ شرف الدين الاسيوطي وكانت له أموالاً كثيرة فتركها زاهداً وصحب كثيراً من مشايخ عصره وتوفي عام ٧٤٣هـ

وأخيراً كانت هذه هي أهم الوظائف أو الوظائف الرئيسية بالحرم النبوي الشريف خلال ذلك العهد والى جانبها وجدت مجموعة أخرى من الوظائف الهامة والتي رغم أهميتها لم تظهر مثل سابقتها من الوظائف وضرورة ورودها حتى تكتمل بذلك منظومة العمل الوظيفي داخل المسجد النبوي وحتى لا توجد أى ثغرات وظيفية تخل بذلك الشكل الوظيفي داخل المسجد النبوي الشريف.

المؤذنون:

وهي إحدى الوظائف الرئيسية بالمسجد النبوي الشريف وهي ليست من الوظائف المستحدثة بالمسجد النبوي الشريف بل هي أقدم هذه الوظائف جميعاً قدم بناء المسجد النبوي على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان بلال هو أول مؤذن في الاسلام كان يؤذن على اسطوانة في قبلة المسجد يرقى اليهما بأقتاب^(٢٦)

وكان يؤذن بعد بلال وقيل معه عبدالله بن أم مكتوم الكفيف وأذن بعدهم سعيد بن عائد مولى عمار بن ياسر وتوارث عنه بنوه الأذان^(٢٧) واستمر الوضع على

ذلك حتى العهد المملوكي والذي شهد ظهور عدد كبير من المؤذنين، وتعد وظيفة المؤذن من الوظائف المهمة التي أوجدت لنفسها قبولاً كبيراً لدى عدد كبير من العلماء والفقهاء وطلبة العلم فتنافسوا عليها وظهر العديد من الأسماء في ذلك الوقت تميزوا بجلاوة الصوت وحسن الاداء والتعمق في الدين ودمائة الخلق أمثال عبدالله الجمال النفطي وهو الذي قرأ على النجم بين السكاكيني بجثا المنهاج وسمع على الجمال الكازروني في البخاري وكان عبدالرحمن بن الحسن بن الزين المدني الشافعي أحد مؤذني المسجد النبوي فحفظ القرآن والعمدة وألفية ابن مالك وأكثر من قراءة الحديث في الصحيحين وتوجه للتدريس والاقراء ومات عام ٨٢٨ هـ بالمدينة ودفن بالبقيع، كما ظهر من بين مؤذني المسجد النبوي عبدالرحمن بن عبدالله ويعرف بابن القطان ولد عام ٨٤١ هـ بالمدينة ونشأ بها فحفظ القرآن وجود بعضه على الشريف الطباطبى وأربعين النووى والمنهاجين وألفية النحو وارتحل فى طلب العلم فدخل القاهرة والشام وزار القدس والخليل ولازم الشهاب الابشيطة فى الفقه والعربية والفرائض^(٢٨)

يتضح من ذلك حرص العديد من العلماء والفقهاء على الأذان بالمسجد النبوي لشرف هذه المهنة وما يناله مؤديها والقائم بها من ثواب عظيم وكان من ضمنهم عبدالرحمن مشكور القرشى الأصل المدني وعبدالرحمن بن ياقوت المدني الفقيه وكان كبير القدر فى القراءة مع حسن الصوت وسلامة الصدر وحسن الخلق والكرم الزائد وكان كثير الصوم والعبادة والتلاوة، اشتهر منهم أبو عبدالله محمد الغرناطى اشتغل بالعلم وجوده القراءات السبع واحكم الفرائض والحساب وكان قد جب نفسه لعارض عرض له خاف على نفسه من السلطان، ثم تولى حفظ حواصل

الحرم وخل في جملة المؤذنين، وكان يجيد صناعة الدهان والتزويق فعمل في الحرم الشريف مع الدهانين وتوفي عام ٧٨١ هـ^(٢٩)

رئيس المؤذنين:

كان لابد من تنظيم عمل القائمين على الأذان حتى لا يحدث اختلال بنظام الأذان أو تضارب في مواعيد الأذان ومن هنا ظهر منصب رئاسة الأذان، ذلك المنصب الذي كان صاحبه يتمتع بمكانة كبرى بين موظفي المسجد ولا بد لصاحب هذا المنصب أن يكون عالماً بالمليقات، وظهرت مجموعة كبيرة من كبار المؤذنين أصحاب الصوت القوي الذين تولوا رئاسة الأذان أمثال ابراهيم بن أحمد بن محمد المصري ويعرف بابن الخطيب لكونه رئيس المؤذنين يطلق عليه الرئيس ولد بالمدينة المنورة عام ٨٤٩ هـ ونشأ بها فحفظ القرآن والمنهاج الفرعى والأصلى وألفية النحو وعرض على أبوى الفرج الرفاعى والكازرونى والاشببى وسمع على المحب المطرى بعض مسند الشافعى وعلى غيره وسمع السخاوى وباشر الرياسة بالمدينة المنورة وقدم القاهرة مراراً، كما كان أحمد بن محمد بن الشهاب المصرى الأصل المدنى رئيس المؤذنين بالحرم ويعرف كأبيه بابن الرئيس سمع ببلده على الجمال الكازرونى على ابى السعادات ابن ظهيرة وقرأ على المحب المطرى ودخل القاهرة والشام وحلب وغيرها وله نظم كثير ومات عام ٨٥٤ هـ ودفن بالبقيع^(٣٠)

الوراثة فى الأذان:

كان الأذان بالمسجد النبوي فى غالب الأحيان يتم عن طريق الوراثة ينتقل من الأب الى الابن الى الحفيد وهكذا وشهدت تلك الفترة ظهور عدداً من البيوتات التى تناوبت الأذان فيما بينها عن طريق الوراثة فقد كان الفقيه محمد بن ابراهيم المؤذن

والذي كان من أشد الناس تديناً والينهم عريكة وأحسنهم مخالطة وكان اذا جلس مجلس عمره بالذكر وكان يحب الفقراء وعندما توفي عام ٧٢٩هـ عقبه ولده أبا محمد عبدالله وهو الذي كانت له وجاهة عند امراء المدينة وخلف أباه في الأذان وكما اتصف بحسن السير و صفاء السريرة وكان رئيساً للمؤذنين وبعد وفاته تولى بعده ولده، كما كان فخر الدين بن السنجاري والذي عمل مؤذناً بالمسجد النبوي الشريف وكان جهورى الصوت وكان معظماً عند الناس يقضى حوائجهم ويلبي دعوتهم وكان يطلق عليه سمسار الخير لكثرة سعية في مصالح الناس وقد تأسست وظائف كثيرة بسعية وبركته واشارته وقد درس المالكية والشافعية والحنفية وعندما توفي عام ٧٣٩هـ خلفه ابنه شمس الدين محمد والذي كان مؤذناً حسن الصوت^(٣١)

وكان من أشهر العائلات المدنية التي توارثت الأذان في ذلك الوقت آل القطان فقد توارثوا مهنة الأذان عن أجدادهم وبرز منهم في ذلك الوقت مجموعة كبيرة عملت بالأذان داخل الحرم النبوي أمثال محمد بن أحمد القطان المؤذن وكان مؤذناً جهورى الصوت مات بالشام زمن الطاعون بها، وكان الشيخ على بن معبد المصرى المؤذن الشهير لوظيفة الأذان والإقامة وكانت نوبته في المئذنة لا تحتل ابداً سواء في أيام المواسم أو بعدها وكان حسن الخلق وقد رزق أولاداً عملوا بالأذان وكذا قام بتعيين ابن اخته ويسمى محمد بن يوسف والذي كان يؤذن أولاً احتساباً وعندما شغرت وظيفة ابن الحسينى المؤذن تولى هو مكانه، وكذلك كان سراج الدين عمر بن الأعمى أحد المؤذنين حسن الصوت وحسن القراءة في القرآن وكان كثير الخبرات والمساعدة للإخوان عند الشرفاء والامراء وكان محبباً اليهم مكرماً لديهم وكان يتجرأ على الأمراء بالكلام لا يخشى منهم أحد ويقضى ويستخلص منهم متطلباته ومتطلبات من استغاث به وبعد وفاته تولى أولاده الأذان والاقراء بدلاً منه^(٣٢)

وكان محمد بن ابى الفتح بن روزية الكازرونى المدنى نزيل المدينة المؤذن هو وأبوه وكان قد اشتغل بالقاهرة على شيوخ مذهبه ثم قدم مع ابيه المدينة وتولى تدريس الحنفية وكان من أفضل الناس ديناً وعقلاً حسن الأخلاق مبادراً لمساعدة الآخرين كان كما وصف كهفياً للفقراء والمساكين مؤدباً حسن الصوت، كما كان محمد الشمس ابو عبدالله المطرى المولود عام ٧٦٢هـ أحد المؤذنين بالحرم النبوي الشريف بمئذنة الرياسة كأبيه وجده وله اشتغال بالعلم ورحل الى مصر والشام ومات عام ٨٠٦ هـ بمكة، كما كان محمد بن عبدالرحمن المؤذن هو وأبوه وجده وكان فقيهاً متفنناً اشتغل بالعلم وألف وصنف وكان أماماً فى النحو واللغة وبارعاً فى الأدب والشعر وكان حسن الدين وحسن الصوت^(٣٣)

وكان مؤذنى المسجد النبوي على قدر كبير من الثقافة والعلم والتفقه فى الدين ولذلك جلهم الامراء وعظموهم بشكل كبير الى عظم المكان الذين يعملون به فى نفوس الامراء والسلاطين فعندما تولى الامر سعد بن ثابت بن جحاز الحسينى اماراً المدينة المنورة عين ابراهيم بن عبدالله المؤذن فى هذه الوظيفة فكان يدخل أمامه ويواصل أنغامه ويبلغ خير العالمين صلاته وسلامه ثم يأتى الشريف ومن معه الى الشيخين المقدمين والسيدى المعظمين مزدلفين اليها مسلمين عليهما وتقدم ابراهيم المؤذن ومن خلفه أمير المدينة فى وقار وخضوع^(٣٤)

ونظراً لهذه المكانة العظيمة للمؤذنين لدى السلاطين فقد شملتهم وثيقة وقف الأشرف شعبان بصرف مبلغ أربعمائة درهم سنوياً لكل مؤذن من المؤذنين بمآذن المسجد النبوى سنوياً^(٣٥).

هكذا نستطيع القول ان وظيفة المؤذن كانت من الوظائف الهامة الرئيسية بالمسجد النبوي الشريف وقد تنافس عليها المتنافسون وقد اسهم اصحابها بالعلم والفضيلة والمعرفة والتفقه في الدين وحسن الأخلاق والتواضع ومساعدة الفقراء المحتاجين كما تميز أصحابها أيضاً بوضع خاص لدى الأمراء والسلاطين وكانوا مقربين من ذوى الجاه والسلطان كما رأينا ظهور بعض الأسر والعائلات التي تناوبت وتوارث مهنة الأذان فيما بينها عن طريق الوراثة المباشرة، دون تدخل من أحد من القائمين على أمور المسجد النبوي أو أصحاب السلطان المباشرة كسلاطين المماليك أو أمراء المدينة.

المبحث الثاني الوظائف الإدارية

ناظر الحرم النبوي (ناظر الحواصل والأوقاف):

ناظر الحرم النبوي أو ناظر ديوان الخدام أو ناظر الحواصل والأوقاف كلها مسميات لأحدى الوظائف الهامة الأساسية بالحرم النبوي الشريف والتي يتولى صاحبها والقائم بها الإشراف على ريع أوقاف الحرم الواصل الى المسجد النبوي والصرف منها في مصارفها الشرعية سواء حسب شروط الوقفية أو حسب رغبة الامراء والسلاطين اذا كانت مرتبات أو أموال تبرعات وتصرف هذه الأموال في شؤون الحرم النبوي والموظفين وهي بدون أدنى شك أموالاً كثيرة أياً كان مصدر هذه الأوقاف، فقد كان يلقي على عاتق ناظر الحرم في كل صغيرة وكبيرة من أمور أموال الأوقاف ووجد كل ما يدخل الى الحرم من أموال وحواصل وغلل وكل مقتنيات الحرم، وهي بلا شك مهمة شاقة كبيرة نظراً لكثرة مقتنيات الحرم، ونظراً لكثرة تلك المقتنيات الخاصة بالحرم النبوي وعدم وجود أماكن حفظ لتلك المقتنيات فقد أمر الناصر لدين الله أبو العباس المستضيء بأمر الله أحد خلفاء بني العباس عام ٥٧٦هـ زمن خلافته بإقامة قبة بالمسجد النبوي الشريف لحفظ ذخائر الحرم^(٣٦)

الشروط الواجب توفرها في ناظر الحرم:

وكان لابد من توافر الصدق والأمانة والاخلاص والصبر والقدرة على تحمل المسؤولية والتفاني في العمل الى جانب الدين والعلم والتفقه في أمور الشرع الى غيرها من الصفات الحميدة فيمن يلي أمر نظارة الحرم لابد أن تتوفر لديه الأمانة في توزيع ريع الأوقاف على المستحقين حسب شرط الواقف دون ميول أو أهواء أو

تغيير أو تبديل فهي أذن أحد الوظائف الهامة داخل الحرم النبوي الشريف ولذلك تولى ذلك المنصب رجال علماء على قدر كبير من الوعي الديني أمثال محمد بن عبدالعزيز الجبرتي وكان من رؤساء المدينة المذكورين بالثراء والكرم والسخاء وكان كريم الأخلاق خلف عدداً من الأبناء، كان منهم من قام مقام والده حين وفاته عام ٧٦٥هـ^(٣٧) وهو الذي تولى النظر على ما يأتي الحرم النبوي الشريف من الحواصل والنظر على الميضاة التي على باب السلام التي أنشأها السلطان المنصور قلاوون عام ٦٨٦هـ واليه المرجع في جميع الأمور الصادرة من شيوخ الحرم الشريف وملك الأملاك من النخيل والدور^(٣٨)

كما كان سليمان بن أحمد الهلالي والمولود بعد عام ٧٢٠هـ بقليل كان يباشر الصدقات وتولى النظر على الربط والأوقاف من النخيل وغيرها ولم ير أحسن منه قياماً بها وحمدت سيرته واتصف بالعفة والفصح وعمر ربطاً كثيرة كانت قد أشرفت على الخراب مات في أواخر ٨٠٢هـ^(٣٩)

وكان ممن تولى نظر الحواصل أيضاً عبدالعزيز بن ابراهيم الجبرتي الذي كان أبوه شاهد الحرم النبوي وياشر وظائف والده وقام مقامه وكان يتصف بحسن الحافظة والنباهة والكياسة والمرؤة وسياسة الناس ولين الجانب، وقد سمع على العفيف المطري بالروضة سند الشافعي عام ٧٥٣هـ، وكان ممن تولى ذلك المنصب ايضاً على بن عبدالرحمن القرشي، وكان من فضلاء الشافعية، وكان مقبلاً على العبادة والورع مات عام ٧٤٤هـ وكذلك كان عمر بن أحمد النفطي ممن ولي هذا الأمر الهام وكان ممن سمع على الجمال الكازروني ولد عام ٨٠٢هـ ومات عام ٨٨٥هـ بعد أن كف بصره وكان ممن سمع ايضاً على الزين المراغي بعض البخاري وعلى المحب المطري مسند الشافعي وكان وجيهاً يرجع اليه في العوائد ونحوها^(٤٠)

وممن تولى نظر الحرم النبوي الشريف محمد بن أحمد الجبرتي وكان مشكور السيرة حتى وفاته وممن تولى نظر المسجد النبوي أيضاً محمد بن ابي بكر بن ايوب المحروقي وقد ولى نظر المسجد النبوي وقد قرره في هذا المنصب السلطان الظاهر برقوق بعد موت الشهاب أحمد السندوبي^(٤١) وكان السندوبي ناظر الحرم قد توفي عام ٧٩٧هـ^(٤٢)

هكذا نستطيع أن نستخلص من أسماء من تولوا ذلك المنصب مدى قدرتهم على تحمل أعباء ذلك المنصب الهام من خلال تعلمهم وتفقههم في أمور الدين على أيدي علماء المسجد النبوي ومدى توفر صفات الصدق والأمانة والتقوى والورع والخوف من الله وتوزيع الصدقات بالمعروف دون ميول أو أهواء أو إيثار أو تفضيل أو بخل أو تقتير وأعطاء كل ذي حق حقه وايصال الحقوق الى أصحابها كل ذلك يرجع في المقام الأول الى المدى العلمى الذى كان عليه أصحاب هذا المنصب داخل الحرم النبوي.

مساعد وناظر الحواصل والأوقاف:

نظراً لأهمية منصب ناظر الحرم أو ناظر حواصل الحرم كان لابد من وجود بعض المساعدين له حتى يستكمل مهام عمله دون تقصير حتى تصل الأموال والجريات الى أصحابها وحتى يستطيع المحافظة وصيانة أموال الأوقاف وأعبائها فاتخذ ناظر الحرم لنفسه بعض المساعدين له مثل:

أمين الحواصل:

ويجب أن تتوفر فيمن يلي هذا المنصب ممن تتوفر فيه الأمانة والصدق والالتزام بأحكام الشرع وعدم اتباع الهوى فيمن يلي أمر ذلك المنصب وقد ظهر بعض الأمناء

من تولى ذلك المنصب في تلك الفترة الزمنية مثل أحمد النفطي وكان أميناً على حواصل الحرم واستمر يلى ذلك المنصب إلى أن خرج إلى الحج فتوفى ودفن بالمعلاة وقد بلغ الستين^(٤٣)

وكان أمين الدين ممن تولوا ذلك المنصب وهو من خدام المسجد النبوي الشريف وكان يحفظ القرآن الكريم وربيع التنبية وصحب أهل الخير واشتهر بالدين والأمانة وسلم إليه ما يعد من الحواصل للصرف على الفقراء والأوقاف وهو الأمين على ما يوجد بالقبعة التي وسط الحرم وبيده مفاتيح حاصلاً وتوفى عام ٧١٩هـ^(٤٤)

وكيل الأوقاف:

وهي أحد المناصب أو الوظائف المساعدة لناظر الحرم أو ناظر ديوان الخدام ورغم أن المصادر التاريخية المعاصرة لم تشر إلى هذا المنصب ربما لعدم شيوعه أو انتشاره إلا أنه كان من المناصب الهامة وكان صاحبه مسؤولاً عن تحصيل أموال الأوقاف الخاصة بالمسجد النبوي الشريف والمدينة المنورة سواء الموجود منها في بلاد الروم أو بلاد الشام أو مصر أو غيرها من البلدان الإسلامية، فكان هذا الوكيل يسافر إلى تلك البلاد لجمع الأموال من جهات الأوقاف ثم العودة بها مرة أخرى إلى المدينة المنورة لصرفها في أبوابها التي حددها الواقفون، وكان ممن عمل ذلك المنصب عبدالقادر بن محمد بن يعقوب والذي دخل مصر والشام بسبب توكله عن أوقاف المدينة كما اشتهر محمد بن أحمد بن الشرف المدنى والذي ولد بالمدينة عام ٨٦٢هـ ونشأ بها فحفظ القرآن واشتغل بالفقه ورحل إلى بلاد الرم وكيلاً عن أوقاف المسجد النبوي واستخلص أموال ربيع الأوقاف الخاصة بالمسجد النبوي بها^(٤٥) ومنهم محمد بن أحمد بن طاهر ويعرف بابن الجلال المولود عام ٨٥١هـ بالمدينة المنورة ونشأ بها وسافر إلى بلاد الروم لأخذ أموال الحرمين وتحصيل ربيع الوقف بها ثم رجع موسم عام ٨٩٨هـ^(٤٦)

المبحث الثالث الوظائف التعليمية

مدرسوا المسجد النبوي:

وهى لم تكن وظيفة بالمعنى الحرفى للوظيفة حيث لم يكن يخضع علماء المسجد النبوي ومن تصدّر للدراسة به أى التزامات تجاه العمل داخل المسجد النبوي سواء من جانب القائمين على إدارة وظائف المسجد النبوي أو من جانب أمراء المدينة أو سلاطين الدولة المملوكية فى ذلك الوقت سوى فى القليل النادر من خلال بعض نصوص وثائق الأوقاف الخاصة بالمسجد النبوي والتي تحث على توفير علماء للتدريس فى مذاهب دينية معينة داخل الحرم النبوي الشريف فيما عدا ذلك فقد كان التدريس بالمسجد النبوي متاحاً أمام العلماء أصحاب القدرة على تحمل أعباء ذلك العمل الهام وقد اتخذ مجموعة من علماء المسلمين من شتى بقاع العالم الاسلامى من المسجد النبوي مكاناً للدعوة ومحاربة البدع والفساد ومحاربة الخروج عن الدين والمنهج القويم وشهدت تلك الفترة عدداً من العلماء أصحاب الاسماء الكبيرة فى العالم الاسلامى أمثال عبدالله بن محمد... بن عبدالله بن مسعود الصحابى وصف بالامام العالم الأوحد البارع نظام الدين أبو بكر نزيل المدينة النبوية وأمام مسجدها والمقيم بها الى أن مات عام ٦٥٨هـ وبرع فى الفضائل وكتب عن الأئمة من الرحالين كالحافظين أبى المكارم بن سدى الدمياطى فى معجمهما^(٤٧)

وكان على بن عز الدين بن يوسف بن الحسن الانصارى المولود عام ٧١٠هـ والذى رحل الى بغداد ودمشق والقاهرة ودخل خوارزم وغيرها ولى قضاء المدينة

والتدريس بها وكان سيفاً لأهل السنة قامعاً للبدعة وهو أول قضاة الحنفية بالمدينة وله مقامة بديعة في المفاخرة بين مكة والمدينة مات في ذي الحجة عام ٧٧٢هـ^(٤٨)

وكان من علماء المدينة أيضاً محمد عبدالرحمن الشهير بابن عياش ولد بدمشق في شهر ربيع الاول عام ٧٧٢ هـ ورحل الى القاهرة ومكة وتردد الى المدينة ثم جاور بها وتصدى بها للأقراء والتدريس^(٤٩) ومن أشهر علماء المدينة الذي برعوا في ذلك الوقت وتصدوا للتدريس والعلم بالمسجد النبوي الشريف أحمد بن محمد الجلال الخجندی، وكان ممن حدث بالروضة النبوية واستمع اليه العلماء وله عدة مصنفات منها شرح البردة في مجلد ضخيم وله أرجوزة في اسماء الله وصفاته سماها "راح الروح وسلسلة الفتوح" ومات بالمدينة^(٥٠)

كما كان عبدالرحمن بن أبي بكر العراقي المولود عام ٧٢٥هـ من علماء الحديث بالمدينة والمولود بالقاهرة لأسرة كردية مهاجرة من العراق وجاء الى المدينة وتولى قضاء المدينة ودرس الحديث وعلومه في المسجد النبوي وهو صاحب الألفية في علوم الحديث وله شرح لها ومن مؤلفاته أيضاً ألفية في علوم القرآن وتقرير الاسانيد والتقريب والايضاح في مقدمة ابن صلاح والشفاء من جهات المتن والاسناد^(٥١)

كما كان أحمد بن محمد الصاحب زين الدين أحد علماء المدينة وأحد فقهاءها وكان وافر الحرمة وهو الذي أمر بقلع الجذعة التي كانت تسمى جزيرة فاطمة لما كان يحدث بسببها من الفتن والتشويش لمن يكون بالروضة مات في صفر عام ٧٠٤هـ^(٥٢)

كما كان من علماء المدينة الموصوفين بالعلم والدين محمد بن أبي بكر بن الحسن القرشي عام ٧٧٥هـ بالمدينة ثم رحل الى القاهرة للتعليم على يد البلقيني وابن

الملقن ومن شيوخه الزين العراقي والهيتمي والنورى وتكرر دخوله القاهرة ودخل اليمن مراراً والتقى بالمجد الشيرازى وأحمد بن أبى بكر الرداد والنفيس العلوى وله تصانيف منها شرح المنهاج الفرعى وسماه (المشعر الروى فى شرح منهاج النووى) واختصر فتح البارى لابن حجر فى اربع مجلدات وسماه "تلخيص ابى الفتح لمقاصد الفتح" ومات بمكة عام ٨٥٩هـ^(٥٣) وكان ابراهيم بن رجب بن حماد البرهان الكلابي من أعظم علماء ومدرسي المسجد النبوى فى ذلك الوقت وكانت له مؤلفات عظيمة فى الفقه والأصول والحديث واللغة وغيرها وقف بعضها بالمدرسة الشهابية ولم يزل فى أواخر الحرم ملازماً للتدريس والافادة ولا يدخل بيته الا للوضوء والطهارة مما نتج عن ذلك ان تخرج عليه جماعة من طلبة العلم بالمدينة وانتفعوا بملازمته^(٥٤)

كما كان العلامة بهاء الدين عمر بن محمد الهندى الحنفى منقطعاً فى الحرم النبوي الشريف غالب يومه للتدريس والافادة محباً فى الطلبة حريصاً عليهم حتى أنه يبعث للطلاب الى بيته اذا تأخر عن الاتيان وكان من علماء الفقه وامام زمانه^(٥٥) كما قام الشيخ ابراهيم السليمانى بالمدينة مدة من الزمن يشغل بتدريس العلم بالمسجد النبوى وبه تخرج الكازرونى وأخوه الفقيه عبدالسلام وكانت له كتب نفيسة وقتها بالمسجد النبوي ومات عام ٧٥٥هـ^(٥٦)

قارى المصحف الشريف:

وهى من الوظائف الثانوية التى شهدها الحرم النبوى والتى ارتبط ظهورها بالأوقاف حيث أن هذه الوظيفة يشترطها الواقف نفسه رغبة فى الثواب الجارى ازاء قراءة القرآن بشكل دائم فى المسجد النبوى على أرواح الواقف وأبنائه وأبائه وذريته بعد وفاته وفى حياته، وعلى هذا الشكل عقدت عدة أوقاف حددت قارئاً أو قراءاً

للمصحف الشريف بالمسجد النبوي أمثال حجة وقف المصونة زوجة الزيني شعبان والتي حددت جزء من ريع وقفها يصرف على أوجه الخير منها ما يصرف في كل سنة لقارئ المصحف الشريف الذي قررته الواقفة المذكورة بالحرم النبوي الشريف ما جملته من الذهب ديناران ذهب أو ما يقوم مقامها من النقود على أن يقرأ في صبيحة كل يوم بالمصحف الشريف عند الضريح الشريف النبوي حزباً شريفاً من تجزئته ستين حزباً ويهدى ثواب ذلك لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وللواقفة المذكورة ولوالديها ولأقاربها ولذريتها ولجميع المسلمين^(٥٧)

كما نصت وثيقة وقف السلطان الأشرف شعبان تعيين ستة من القراء الحافظين لكتاب الله تعالى اشترط أن يكونوا من أهل السنة على أن يجتمعوا في الروضة الشريفة في كل يوم مرتين الأول بعد صلاة الصبح والثانية بعد صلاة العصر ويقرأوا حزباً من تجزئة ستين حزباً من كتاب الله الكريم ويهدون ثواب ذلك للسلطان الملك الأشرف ولوالديه وذريته ومن سلف منهم ولجميع المسلمين وخصصت لهم مبلغ ألف وثمانمائة درهم سنوياً بواقع ٣٠٠ درهم لكل منهم سنوياً أي ٢٥ درهماً شهرياً^(٥٨)

وقد التزم العلماء بما جاء بنصوص تلك الأوقاف لقراءة القرآن بأماكنها وعلى الهيئة التي حددتها شروط الواقفين وليس أدل على ذلك أن الشيخ عبدالواحد الجزولي أحد كبار الشيوخ المجاورين رأى أحد الشيوخ الكبار يقوم بقراءة القرآن ويرفع صوته قبل صلاة الجمعة بناءً على شرط الواقف فقال له الشيخ الجزولي لا تجلس في هذا الوقت ولا ترفع صوتك بالقراءة فيتأذى الناس يرفع صوتك فقال هذه مشروطة بهذه الصفة فلا بد من مراعاة الشرط لكيلا آكل حراماً، فقال له قد نهيتك

فان لم تفعل وجلست بعد هذا أخذت بلحيتك هذه وانزلتك عن كرسيك فإن شئت فأفعل وإن شئت دع فترك ذلك^(٥٩)

وكذلك نصت وثيقة وقف السلطان الاشرف شعبان على وجود قارى للمصحف الشريف قبل صلاة الجمعة ثم يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة، وقد نصت الوثيقة على أن يقرأ القارئ المصحف نصف حزباً إما من صدره أو من المصحف قبل صلاة الجمعة ويقرأ بعد الصلاة القصيدة المسماة بالبردة والتي تتضمن مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه الحجرة الشريفة ويدعو عقب ذلك للسلطان الاشرف ولجميع المسلمين وحددت الوثيقة راتباً قدره سبعمائة وعشرون درهماً سنوياً لهذا القارئ^(٦٠) وكما خصص وثيقة وقف السلطان الغورى عالماً حافظاً لكتاب الله تعالى على أن يقرأ يومياً ما تيسرت له قراءته بالروضة كما خصص السلطان الغورى أيضاً جزءاً من ريع وقفه لعالم حافظ متقن لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يقرأ فى كل سنة من أوائل شهر رجب وشعبان ورمضان صحيح البخارى بالروضة الشريفة تجاه الحجرة الشريفة ويختم هذه القراءة بذكر الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فى كل مجلس وقرر الواقف فى ذلك العالم الجليل الشيخ زين الدين بن القطان كما تنص كثير من الوثائق على أنه إذا تعذر اشتغال العلماء الذين حددهم الواقف فى العالم وما يقوم بتدريسه ومكان وزمن دراسته ونحو ذلك مما اشترطه الواقف نظير مرتبات سنوية أو شهرته لهؤلاء العلماء^(٦١)

وكذلك نصت وثيقة وقف السلطان الاشرف شعبان على وجود أربعة من المدرسين من ذوى المذاهب الدينية الاربعة شافعى وحنفى ومالكى وحنبلى ورتبت مع كل مدرس عشرة من الطلبة عدا مدرس الحنابلة الذى رتبت معه خمسة من طلبة مذهبه واشترطت عليهم أن يجلس كل مدرس من المدرسين الاربعة بالحرم النبوي

الشريف في الايام التي جرى فيها العادة حضور الدروس بها، وحددت الوثيقة مرتب مدرس الشافعية والحنفية والمالكية بألف ومائتي درهم لكل منهم أما مدرس الحنابلة فيصرف له سبعمائة وعشرون درهماً، كما قررت الوثيقة صرف مبلغ مائتين وثمانية درهماً لكل طالب من طلبة المذاهب الثلاثة أما طلبة الحنابلة الخمسة فيتقاضى كل منهم مائة وعشرون درهماً^(٦٢)

مادح المسجد النبوي:

وهي من الوظائف الثانوية المستحدثة بالمسجد النبوي الشريف سواء أقرها بعض الواقفين في أوقافهم رجاء الثواب أو قام بها بعض العلماء تطوعاً واشتغل بمدح الرسول والزم نفسه ذلك طيلة حياته حباً في الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وظهرت في تلك الفترة بعض الاسماء التي اهتمت واشتغلت في حياتها بمدح الرسول وأوقفت حياتها على ذلك أمثال أيمن بن محمد بن محمد المولود بتونس قدم المدينة النبوية فجاور بها والتزم أن يمدح النبي صلى الله عليه وسلم خاصة الى أن يموت فوفى بذلك وعندما أراد الرحلة عن المدينة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له يا أبا البركات كيف ترضى بفراقنا فترك الرحيل وأقام بالمدينة الى أن مات بها وسمى نفسه عاشق النبي ذكر أن صاحب تونس بعث اليه يطلب منه العودة الى بلده ويرغب فيه فأجاب أني لو أعطيت ملك المغرب والمشرق لم أرغب عن جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قصيده له في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

فررت من الدنيا الى ساكن الحمى فرار محب عائذ بحبيبه
لجأت الى هذا الخباب وأتما لجأت الى سامي العماد رحبيبه

ومات في عام ٧٣٤ هـ^(٦٣)

وكان محمد بن عبدالله ابراهيم الشمس المسوفى المادح بالحرم النبوى والمولود عام ٨٢٧ هـ والذي قدم مع أبيه الى المدينة وهو ابن الستين وحفظ القرآن واشتغل بمدح النبي صلى الله عليه وسلم^(٦٤) كما أن وثيقة وقف السلطان الاشرف شعبان قد نصت على تعيين مادحاً يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم جمعة بعد الصلاة وقد اشترط على المادح أن يستفتح بقراءة ما تيسر له قراءته من كتاب الله العظيم ثم يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم بالقصائد المشهورة ثم يختم بسورة الاخلاص والمعوذتين وخواتيم سورة البقرة ثم يدعو للسلطان الواقف ولوالديه وذريته ومن سلف منهم ولجميع المسلمين وخصصت الوثيقة لهذا المادح مرتباً بسيطاً وهو مائة وعشرون درهماً سنوياً^(٦٥)

المبحث الرابع

الوظائف الخدمية:

للمسجد النبوي الشريف حرمة ومكانته في نفوس المسلمين جميعا فإليه تهفو أفئدتهم من كل مكان وهم يرغبون في خدمته تقربا إلى الله سبحانه وتعالى لذلك خصص بعض السلاطين المسلمين طواشيه لخدمته وحمايته ولخدمة الحجرة الشريفة وهناك اختلافات حول أول من بدأ ذلك من السلاطين فهناك من يرى أن ذلك يعود لأيام السلطان نور الدين الشهيد ويرجع أصحاب ذلك الرأي السبب وراء ذلك إلى رؤية رآها السلطان في منامه^(٦٦). فقد جاءه الرسول عليه السلام يطلب منه إنقاذ قبره، وملخص الرؤيا أن النصارى كانوا يعملون على سرقة جسد الشريف بالحيلة فذهب لهنالك واكتشف الأمر وقتل من كان يحاول فعل ذلك وهناك من يرى أن السلطان صلاح الدين الأيوبي هو أول من رتب الأغوات^(٦٧) للخدمة في الحرم النبوي الشريف وجعل عليهم شيئا يقال له: "نور الدين الأسدي" ووقف عليهم قريتي نقادة وقبالة ووقف ثلث قرية سندبیس ووقف ثلثها الباقيين الملك عماد الدين، وذلك في سنة بضع وأربعين وسبعمائة^(٦٨).

وسواء تم ذلك في عهد نور الدين أو صلاح الدين الأيوبي فقد كانت هناك عدة أسباب تدفع لاتخاذ هذه الخطوة، منها: محاولة "إرناط" صاحب حصن الكرك غزو المدينة المنورة في عهد صلاح الدين الأيوبي وما تردد عن قيام بعض النصارى بحفر نفق في الأرض بقصد الوصول إلى جسد النبي عليه السلام.

كذلك الخوف من عبث بعض الغلاة المفسدين بالقبور الشريفة - مثل مكائد بعض الشيعة - فضلا عما شاع في ذلك الوقت من البدع المنكرة في تعظيم القبور بالبناء وإسراجها بقناديل الذهب والفضة وخدمتها بالكنس ورش العطور^(٦٩)

ولم يتوقف الأمر على ذلك فقد صار سلاطين المسلمين يرسلون اغوات من قبلهم للخدمة في المسجد النبوي كما أتاحت الفرصة لكل مقتدر من أغنياء المسلمين أن يرسل أيضا عدد من الطواشية^(٧٠) حتى زاد عددهم على المائتين في بعض الأحيان وقابل علماء المدينة ذلك بالإنكار وألفوا كتبا كثيرة طالبوا فيها بإزالة الخصيان من خدمة الحرم لكن السلطان نور الدين لم يعر ذلك اهتماما ومن الذين صرحوا بجرمة ذلك العالم جلال الدين السيوطي في كتابه "حرمة خدمة الخصيان لضريح سيد ولد عدنان"، لكن الحرمة كما ذكر التونسي تقع على الفاعل لا على الخصى نفسه وأغلب الظن أن هؤلاء العلماء الذين لا يقرون بخدمة الأغوات في ذلك المكان ينتمون أما للمذهب الحنبلي أو المذهب الشافعي لأن جميع الأغوات حنفية أو مالكية أي: تابعين لمذهب من أوقفوهم وليس فيهم شافعي أو حنبلي^(٧١).

أ- خدام المسجد النبوي وهى إحدى الوظائف الرئيسية بالمسجد النبوي الشريف، فقد كانت خدمة المسجد النبوي والحجرة النبوية الشريفة من أجل الخدمات التى يطمح إليها الكثير من المسلمين تقرباً إلى الله تعالى وأصبح لهذه الخدمة تنظيم خاص إبتداءً من العصر الأيوبي وفى النصف الثاني من القرن السابع الهجري (بداية العهد المملوكي) أصبح لخدام المسجد النبوي مشيخة^(٧٢)

ولم يكن لعمل الخدام بالمسجد النبوي نظام معين للعمل داخل المسجد النبوي سوى أنها قرابة إلى الله تعالى وحباً في مجاورة رسول صلى الله عليه وسلم وزائريه أملاً في الثواب الكبير واستمر الأمر كذلك حتى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي وهو الذي ثبت قاعدة الخدام بالمسجد النبوي وأوقف عليهم الأوقاف. فقد حدد في وثيقة وقفة عشرون خادماً يعملون داخل الحرم النبوي الشريف ثم تتابع أهتمام السلاطين بأمر الخدام فأوقف عليهم الملك الصالح إسماعيل وقفاً آخر^(٧٣) ورغبة في توفير الرعاية الكاملة بشئون المسجد النبوي فقد نصت وثيقة وقف السلطان الأشرف شعبان على تعيين عشرين خادماً من الخدام البطالين من الخدمة المنقطعين للعمل والمقيمين بالحرم النبوي الشريف واشترط على كل منهم أن يقوم بخدمة حجرته الشريفة ومسجده وحددت الوثيقة مجموع أجورهم بخمسة آلاف درهم سنوياً توزع بينهم بالسوية بواقع مائتين وخمسين درهماً سنوياً لكل منهم^(٧٤) كما جاء في حجة وقف الزيني عبداللطيف بن منصور صرف مبلغ ثمانمائة وخمسة وسبعون درهماً لتعيين خدام بالحجرة النبوية الشريفة كما قررت الوثيقة صرف سبعين ديناراً من الذهب لخدام المدينة الشريفة^(٧٥)

جنسية الخدم ودورهم في العمل الاجتماعي:

تنوعت جنسية الخدام داخل الحرم النبوي والذي يقول عنهم ابن بطوطة في رحلته واصفاً أيهم ((وخدام هذا المسجد الشريف وسدنته فتیان من الأحباش وغيرهم وهم على هيئات حسان وصور نظاف وملابس ظراف وكبيرهم يعرف شيخ الخدام وهو في هيئة الأمراء الكبار ولهم المرتبات بديار مصر والشام ويؤتى إليهم بها في كل سنة))^(٧٦) وتسابق المسلمون من كافة البقاع والبلدان للعمل والخدمة في

المسجد النبوي الشريف فشهدت الخدمة بالمسجد النبوي أمثال ريجان الهندي أحد خدمة المسجد النبوي وهو من الخدام الذين طالت أقامتهم في الخدمة الشريفة وله مآثر حسنة منها الرباطين الذين أوقفهما وتم النفع بهما ونخل جيد وسقاية للماء وكان كثير المعروف محباً للخير وأهله مؤثراً ثواب الله تعالى. قال عنه ابن صالح ((إنه صاحب السقاية وغيرها وخلف نخلاً موقوفة وكان عالي الهمة في العمارة توفي بعد العشرين وسبعمائة))^(٧٧)

ومن الهند أيضاً مفتاح الهندي وقد عاش مئة سنة على عبادة ومجاهدة وهو من أرباب الكمالات وقف نخلاً كثيراً على الخدام بالمسجد النبوي بمناطق مختلفة مثل بئر عز العرب وكان يقيم في كل عام مولداً للنبي ﷺ وينفق فيه نفقة جليلة^(٧٨)

وإلى جانب أهل الهند الذين التحقوا بالخدمة والعمل بالمسجد النبوي فقد كان هناك من أهل الموصل ريجان الموصلية وهو أحد الخدام بالمسجد النبوي الشريف وقد اتصف بكرم النفس والسخاء والعطف على الفقراء والمحتاجين أمتدحه ابن صالح فقال في قصيدة أولها:

أحب من الخدام ريجان وحده لسبع خصال فيه مجتمعات
أديب كريم محسن متواضع أمين مكين صاحب حسنات

وكان هناك من أهل الموصل أيضاً عنبر الموصلية أحد الخدام بالمسجد النبوي الشريف وكان قد صحب الشيخ محمد الأعمى وأكتسب من أخلاقه الحسنة مدة حياته وقد ابنتى داراً قبالة دار العشرة ووقفها قال عنه ابن صالح ((سمعت عليه القرآن عدة ختمات))^(٧٩)

كما عمل بعض أهل الروم بالخدمة الشريفة داخل المسجد النبوي أمثال فارس الرومي الأشرفي وهو أحد الخدام الطواشية وقد استقر في مشيخة الخدام بالمدينة النبوية في عام ٨٤٢هـ. ومن أهل كريت كان كافور التكريتي وهو أحد الخدام بالمسجد النبوي الشريف، ومن أهل مصر محسن جمال الدين الأخميمي وهو أحد الخدام بالحرم النبوي وكان أكثرهم حشمة وأبعدهم عن الشر وأهله لين الجانب كثير الأدب حسن الخلق وبنى داراً وأوقفها وهو ممن سمع على العفيف المطري مسند الشافعي في عام ٧٥٣هـ بالروضة النبوية الشريفة وقد بنى داراً وأنفق عليها النفقة الكبيرة إلا أنه مات قبل سكنائها^(٨٠) هذا الى جانب مجموعة من الطواشية وخدم السلاطين والأحباش وهم من أجناس وبلدان مختلفة أوقفوا حياتهم على العمل والخدمة بالمسجد النبوي الشريف. أمثال جندل الخشقدمي أحد الطواشية الذين أرسلهم مولاهم خوشقدم ليلتحقوا بالخدمة، ومثل شفيح الطواشي شمس الدين الكرموي أحد الخدام وكان من أحسنهم شكالة وأعد لهم بنية ومن أقدرهم على مخالطة الناس وكان عظيم الولاية وبنى داراً عظيمة القدر إلا أنه توفي قبل أن يسكنها، والطواشي شبل الدولة كافور بن عبدالله الخضري. وكان زاهداً في الدنيا وشيخاً في الرواية، سمع على جماعة وتكفل أيتاماً كثيرين وأعتق جماعة من العبيد، وكان له أبناء قراء ومتصوفة، كما كان أمين الدين مفيد أحد الخدام والذي كان يحفظ القرآن وربع التنبية وصحب أهل الخير واشتهر بالدين والأمانة وكل اليه ما يعد من الحواصل للصرف على الفقراء والأوقاف وغيرها وهو الأمين على ما في القبة التي بوسط الحرم ويده مفاتيح حواصلها^(٨١)

العمل الإجتماعى :-

أدى خدام المسجد النبوي الشريف دوراً إجتماعياً هاماً داخل مجتمع المدينة فقد استطاعوا بما تحت أيديهم من أموال كثيرة ومقدرات عظيمة التي توفرت لديهم من خلال الجوامل والمرتببات وعائد الأوقاف. أن يكون لهم دوراً ايجابياً داخل المجتمع المدني فى ذلك الوقت، وقد تنافس عدد من الخدام على العمل الخيرى وتقديم المساعدات للفقراء والمعوزين فقد كان شيخ الخدام بلال حسام الدين والمسمى أبو الخير شيخ الحرم النبوي، وهو كبير الخدام المقيمين فى الحرم النبوي، وله أموال طائلة وغللمان وحرمة فى الدولة، حدث بدمشق ومصر وكان فيه دين وبر وصدقات، وكان وافر الحرمة له أوقاف. توفى بمصر فى تاسع ربيع الآخر عام ٧٩٩هـ^(٨٢)

كما كان عز الدين دينار ذا حشمة ودين وعزة لزم نفسه بقراءة القرآن والصيام وأوقف أملاكاً ما بين نخيل ودور وأعتق خدماً وعبيداً وإماءً يزيد عددهم على الثلاثين وكفل ايتاماً وحرماً ونعمهم بالمأكل والملبس والمسكن حتى كان يعددهم من عياله، كما كان يقضى حوائج الناس^(٨٣) وذلك يدل على شدة الثراء الذى تمتع به خدام المسجد النبوي فى ذلك الوقت، هذه الأموال التى كانت دافعاً قوياً لهم للنزول إلى ميدان العمل الإجتماعى والاحتكاك بالناس وتقديم يد العون والمساعدة لهم.

كما كان صواب الشمس المغيتي على درجة عالية من الدين والورع وكان إذا جاءت نوبته فى الخدمة يضع الأطعمة الكثيرة والألوان الفاخرة ويدعو اليها من يعرفه ومن لا يعرفه واستمر على ذلك الى أن توفى عام ٧٣٤هـ وكان رشيد الدين الدورخاى شمس الدين. كانت به من مكارم الأخلاق ومحبة الإخوان والشفقة عليهم وعلى طلبة العلم بالمسجد النبوي، وكان من الخدام المذكورين بمحاسن الآداب محباً

للسالحين مكباً على خدمة العلماء كثير الإحسان الى المعارف والأجانب ترجمة بعض المشايخ فقال: كان بيته بيت الملوك لا يعرف الغش ولا النفاق وأحب ما اليه الانفاق والاحسان الى الناس والاشفاق فرأس بين الأقران رفاق واستمر على طريقته الى أن توفي عام ٧٤٣هـ^(٨٤)

وكان نزل عز الدين دينار البدرى الواقع بزقاق الخدام مؤثلاً للإخوان مرفقاً لكل مرتاد يعد فيها للمرضى أنواعاً من الأمواه والأشربة والأغذية، وكان لا يمرض فقير أو خادم أو مجاور إلا جاءه في الحين وحمل اليه من كل ما يحتاجه وكان عطاؤه عطاء السلاطين ومتى وصف لمريض فقير دواء سعى في تحصيله حتى يأتيه به، وكان خيره يعم جميع الناس ويأتيهم في الربط - والمدارس ويترفق بهم ويشفق عليهم، وكان يسعى في التمام الكلمة والصلاح بين الناس، وكذلك كان شهاب الدين مرشد القادى النبوي قريباً من الناس سريع الميل إلى من يؤانسه ويجالسهم، وكان يعمل الأشياء الفاخرة من الحلوى النادرة الوجود ويهديها لأصحابه، كما كان أمين الله خالصى البهادى أحد الخدام متواضعاً متأدباً. وقد طالت أيامه وكثر ماله، حتى أوقف الأوقاف وله رباط بباب البقيع وله عنقاء من عبيد وإماء وغرس فى الحرم خادمه مسرور لقراءة القرآن وهو الأمر الذى دفع ابن فرحون الى القول: وأعلم أنه كان قبل هؤلاء ومعهم وبعدهم جماعة كثيرون ينوفون على المائة كلهم متصفون بالخير الكثير والدين المتين والأوقاف من الدور والنخيل وعتق الارقاء من الخدام الذين كثر منهم اليوم فى الحرم الشريف والعبيد والاماء مع الاجتهاد فى قراءة القرآن والإكثار من سماع الحديث^(٨٥)

كما كان ريجان الهندي وهو من الخدام الذين طالت اقامتهم في المدينة الشريفة كانت له مفاخر مذكورة ومآثر مشهورة، وقف على الفقراء رباطين ودوراً ونخيلاً وبنى سقاية للماء وحبس بره على الصلحاء والعلماء^(٨٦)

وأدى التنافس بين خدام المسجد النبوي الشريف الى فعل الخيرات وتقديم القربات لله تعالى والوقوف الى جانب المحتاجين ومساعدة المعوزين والمنقطعين والتنافس في فعل الخير أنه عندما هم جماعة من أهل المدينة بعمارة بئرين بذى الحليفة خرج معهم مجموعة كبيرة من الخدام ومعهم عدداً من المجاورين وأهل المدينة وكانوا يزيدون على المائة وقام الخدام بالعمل فى إعادة بنائها واستمر العمل على ذلك شهراً، وقد انتفع الحاج بالبئرين نفعاً عظيماً، كما كان أكثر العرب يستقون منها، ويقول ابن فرحون موضحاً الصورة التى كان عليها حب الخدام فى عمل الخير: كان كبار الخدام يجلسون مع شيوخهم بعد صلاة العصر على الدكة التى بين باب جبريل وباب النساء فلا يمر صغير الا أغاثوه ورحموه ولا يمر بائع حطب أو حشيش قد كسدت بضاعته الا شروها بأرضى ثمن ليفرجوا عنه من غير حاجة منهم اليه، يشركون فقراءهم فى معلومهم، واذا غضب أمير المدينة على أحد من المجاورين طلع أكابره إلى القلعة ودخلوا على الأمير وخلصوه وربما طيبوا نفس الأمير بشئ من مالهم، وكذلك إن وقع أحد فى غرامة أو جباية أو دين ثقل أغاثوه وساعدوه ولم يزل المجاورين يعرفون لهم حقهم^(٨٧)

مشيخة الخدام:

ويتولى صاحب هذا المنصب تنظيم وإدارة الأمور الخاصة بالخدام داخل الحرم النبوي وكان يختار من بين الأفاضل الموصوفين بالعلم والمعرفة والدين وحسن الادارة

ولين الجانب وتولى هذا المنصب عدد كبير من كبار الخدام خلال العهد المملوكي أمثال **الاشرفي قايتباي** وهو الذي استقر في مشيخة الخدام بعد صرف شاهين منها وكان من ولي هذا المنصب الهام أيضاً **اينال شيخ الاسحاقى الظاهري** ولي مشيخة الخدام بالمدينة النبوية عقب مرجان القوى الظاهري وذلك عام ٨٨٠هـ، إلا أنه كان شديداً سريع البادرة بالضرب حج غير مرة ومات بالمدينة في المحرم من عام ٨٨٦هـ^(٨٨)

كما تولى **الظهير الأشرفي** المسمى مختار مشيخة الخدام ولاء الملك الناصر عام ٧١٩هـ وذلك عندما دخل المدينة المنورة زائر أثناء حجه ووجد سعداً الضرير وكان شيخاً للخدام فعزله وولى بدلاً منه الأشرفي وهو الذي كان سيفاً على الأشراف والأمراء واستعاد منهم ما تغلبوا عليه من الأوقاف ومن جملة ما استخلص منهم ((الجوشن)) والفرن والمارستان ودار المدرسة الشهابي وبشدة سطوته عز المجاورين والخدام والتزم ارباب الوظائف بملازمة الحضور ومن غاب عن وظيفة أخذ منه قسط ذلك اليوم في الحين وصرفه فيمن ارتضى من الفقراء والمساكين ويقول الفيروز ابادي موضعاً الصورة التي كان عليها شيخ الخدام ظهير الدين ((فالأوقاف تعمرت وتكملت والوظائف تحبرت وتجملت، وأدركت النفوس من مكارمه ما آملت، وكان من النوائب أنه لما حج أرغون الدوادار النائب قدم اليه أصحاب الأغراض ومن في قلبه مرض وشكوا اليه أخلاق الشيخ وما يذيقهم من الضغينة فخاطبة الدوادار بوجود هؤلاء الحاقدين وأزره به أمامهم فلم تحتل نفسه تحمل تلك الأهانة وامتعص من ذلك ولم يلبث إلا أياماً حتى توفي عام ٧٢٣هـ))^(٨٩) وكان **العزيزي** عزيز الدولة من مشايخ الخدام وهو الذي غرس في أيامه الكثير من النخل بالمسجد النبوي وكان كثير الخير والبر وحرر عدداً كبيراً من الارقاء وكان يوالى الأشراف ويحسن اليهم

إحساناً كبيراً حتى أنهم أنه على مذهبهم وذلك لكثرة إختلاطه بهم وقيامه بقضاء حوائجهم^(٩٠) ومن شيوخ الخدام الخزندارى ولى المشيخة عام ٧٤٢هـ وقد أخذها بعد الديرى شرف الدين، وكان الشرف الخزندارى ذا ذكاء خارق فى الأمور الدنيوية والمباشرات المالية كما كان صواب الحموى شمس الدين الناصرى من رؤساء الخدام وكبرائهم الاعلام، وكان ذا رأى ثاقب وفكر صائب وكانت له العديد من الأعمال العظيمة يفعل الكثير من الخيرات التى لم يعلن عنها واجتهد فى اخفائها وسريتها وذلك خوفاً من الرياء والسمعة وغرس فى الحرم غرساً صالحاً واعتق خادماً ديناً صالحاً اسمه مفيداً اشتغل يحفظ القرآن وقراءة الفقه وصحب الصالحين واشتهر بالخير والدين^(٩١) كما كان دينار الشهابى المرشدى الذى تولى المشيخة ثم عزل بشرف الدين الخزندارى ثم أعيد الى المشيخة مرة أخرى ثم عزل واستقر عوضه ياقوت الافتخارى عام ٧٥٨هـ الى أن توفى عام ٧٦١هـ^(٩٢)

كما تولى مختص الديرى المشيخة، ولقد كان مولعاً بالعمارة وبإصلاح ما خرب من الأوقاف يصرف فى ذلك كل وقته ليلاً ونهاراً ويباشر بنفسه الغرس والعمارة فتعمرت فى أيامه الأوقاف ثم سعى عليه لسوء تعامله مع الخدام فعزل بالخزندارى وبعد سنتين أعيد الى ولايته ثم عزل بعد أشهر بعز الدين دينار واستمر معزولاً وسافر الى مصر ومات بها^(٩٣) كما ولى فى مشيخة الخدام بشير سعد الدين التينمى الطواشى استقر بها بعد فيروز الركبي عام ٨٣٤هـ واستمر بها الى أن مات أواخر عام ٨٤٠هـ^(٩٤)

كما استثمروا علاقاتهم مع صناع القرار والحدث لذلك استغل كافور المظفرى المعروف بالحريرى أحد مشايخ خدام المسجد النبوي صلته بأمرء الدولة المملوكية وخاصة بيبرس الجاشنكير ثم خاطبه فى بناء المنارة التى فى باب السلام فوافق بيبرس

على ذلك نظراً للعلاقة القوية التي كانت تربطه به فقام كافور بجمع مواد البناء وأمر بالحفر لها ثم بدأ مباشرة أعمال البناء بنفسه وماله وخدامه وقد تمكن من بنائها دون انتظار لمساعدة مادية من السلطة المملوكية في مصر معتمداً على ما تحت يده من أموال^(٩٥) ومن آثاره الحسنة داخل المسجد النبوي كذلك تبطيل الطواف بالشعل من جريد النخيل وتبديلها بالفوانيس التي يطوفون بها اليوم كل ليلة، وذلك ان بعض الفراشين اشعلا ناراً من سعف النخل فيطوفون بها عوض الفوانيس ويجرون بها كأشد ما يكون من الجرى فإذا وصلوا الى باب النساء وخرجوا بها كانت تقع بين أيديهم ويسود منها المسجد النبوي الشريف وابوابه وجدرانه فأمر الحريري باستبدال ذلك بالفوانيس^(٩٦)

وكان من عادة خدام المسجد النبوي أن يجمعون الهبات من الحاج في صناديق ويقسمونها فيما بينهم فقام الشيخ بهاء الدين بن سلامة المصري خطيب وامام المسجد النبوي الشريف بمنع الخدام من الشمع والدراهم وغير ذلك مما يجمعونه في صندوق النذور في أيام الموسم تحت مسمى عبات الحجاج وقال لهم هذا يجري في مصالح الحرم لا يجوز لكم قسمة بينكم، فعز ذلك عليهم إلا أنه غلبهم عليه ولم يصرف لهم منه شيئاً حتى وفاته عام ٧٤٥هـ^(٩٧)

وقد حاول الخدام ورؤسائهم القضاء على البدع والقضاء على الآثار السلبيّة لبعض الأوضاع التي كانت تقع داخل المسجد النبوي فقد كان يحدث نتيجة لتدافع الناس عند الروضة الشريفة أثناء الزيارة من رمضان أو في ليال الجمعات التي كان يكثر بها اجتماع النساء فيما بين المغرب والعشاء تجاه الحجرة الشريفة وهن على هيئة منهي عنها من التزين والتطيب بأنواع الروائح والعطور، ثم يجتمع بعض الرجال ممن يريد الفساد ويقع بسبب ذلك مفسدة عظيمة، وقد حاول خدام الحرم النبوي منع

تلك المفاسد والقضاء عليها وتنظيم عملية الدخول والخروج وتخصيص مساحة من الوقت ما بين المغرب والعشاء فى تلك الليالى تكون خاصة بالنساء وتمنع الرجال من الاختلاط بالنساء وتكون زيارة الرجال بعد صلاة العشاء^(٩٨).

وكان من عادة الخدام اذا وردت كسوة للحجرة الشريفة بدلاً من الكسوة القديمة قسم شيخ الخدام الكسوة العتيقة على الخدام ومن يراه من غيرهم ويحمل الى السلطان منها جزءاً^(٩٩) كما قام كافور المظفرى شيخ الخدام بانشاء داراً ملاصقة للمسجد النبوي تسمى بدار الشباك حيث جعل لها شباكاً الى المسجد، الا أن السلطان الأشرف قايتباى بعد الحريق الثانى الذى وقع للمسجد النبوي الشريف عام ٨٨٦ هـ قام بهدم دار الشباك وما لها وأقام بدلاً منها مدرسة ورباطاً ما بين باب السلام وباب الرحمة^(١٠٠)

وظائف مشتقة من الوظائف الرئيسية

أ- نائب مشيخة الخدام. تحدثنا فى موضع سابق عن خدام المسجد النبوي وعن شيخ الخدام والدور الذى يقوم بأدائه داخل الحرم النبوي الشريف ونظراً لأهمية ومكانة شيخ الخدام بالحرم النبوي فقد وجد بجانبه منصب آخر هو منصب نائب مشيخة الخدام، وظهرت بعض الأسماء الذين قاموا بأداء هذا العمل بالمسجد النبوي أمثال سرور بن عبدالله الشبلى وقد ناب عن الشيخ افتخار الدين شيخ الخدام وذلك بمرسوم سلطاني باستمراره فى نيابة مشيخة الخدام بل ترقى بعد ذلك الى منصب مشيخة الخدام بعد وفاة ياقوت شيخ الخدام، ثم صدر له مرسوم سلطاني آخر باستقرار وظيفة شيخ الخدام لزين الدين مقبل واستمرار سرور الشبلى نائباً له^(١٠١)

وكان ممن تولوا ذلك المنصب خشكلدى نائب المشيخة بالمسجد النبوي وهو الذى أصيب بحريق المسجد النبوي الثاني عام ٨٨٦ هـ^(١٠٢) كما تولى شرف الدين الخزندارى نيابة المشيخة نيابة عن عز الدين دينار شيخ الخدام وصدر بذلك مرسوم سلطاني يقضى بتولى شرف الدين الخزندارى نيابة المشيخة لعز الدين دينار شيخ الخدام^(١٠٣) كما كان صندل الاشرقى قايتباى بن شاهين والذى أرسله الاشرف قايتباى هو وابن اخته هلال صحبه ابى البقاء عام ٨٨٩ هـ وهو شاد على مدرستين له ثم جعل لهما خبزاً كالخدم ثم استقر صندل الهندي بعد ذلك في مشيخة الخدام بعد وفاة النائب^(١٠٤)

سقاء المسجد النبوي

وهي من الوظائف الموجودة بالمسجد النبوي الشريف ووظيفة صاحبها وضع الدوارق داخل المسجد النبوي الشريف مملوءة بالماء، وكان في وسط المسجد النبوي الشريف سقاية يحمل اليها الماء من العين بناها شيخ الخدام وأوقف عليها أوقافاً جلييلة وكان قطرها خمسة عشر ذراعاً في مثلها وجعل في وسطها مصرفاً للماء مرخماً ونصب فيها مواجير للماء وازيار أو دوارق وأكواباً حجرها بالخشب والجريد وجعل لها أغلقاً من حديد وقد استمرت سنين عديدة ينتفع لها، يقول عنها ابن فرحون: فكثير الشر فيها والتزاحم عندها وصار يدخلها من يتوضأ فيها ثم تعدى الحال في شرها الى أن تضروب عليها بالسلاح وطلب الخدام شريفاً اساء على أهل الحرم فسل سيفه على الناس وغلقت الابواب واحتمى بالسكين حتى جاءت رسل الأمير فأخرجوه وذلك كله بسبب السقاية فلما غلبت مفسدتها على مصلحتها ازيلت بعد اجتماع القاضى شرف الدين الاسيوطى والشيخ ظهير الدين^(١٠٥) وكان العمل بسقاية

العلماء والمشتغلين بالعلم وخدام المسجد النبوي والزائرين قد استلقت أنظار الاشرف شعبان في وثيقة وقفة على المسجد النبوي الشريف فنصت الوثيقة على تعيين رجلاً يسقى الماء العذب في كل يوم بالمسجد النبوي الشريف وجعل له راتباً قدره ستمائة درهم بما فيها ثمن الماء العذب وثمان الدوارق وأجره تسبيل الماء بالحرم النبوي الشريف^(١٠٦)

كما قام بعض الأهالي من الخدام والمجاورين بالعمل في سقاية الماء بالحرم النبوي الشريف أمثال الحسن بن علي بن رستم السقا بالمسجد النبوي وهو ممن عمل بهذه المهنة^(١٠٧) ويقول ابن فرحون في سقائي المسجد النبوي: وكان ممن أدركته من السقائية بالحرم الشريف الشيخ محمد السقا المعروف بأبي حسين وهو جد أولاد الشيخ محمد الكازروني لأهمهم وكان حسن الوجه طويل السبلة تصل لحيته الى سرتة حسن الصوت وكانت له بالمدينة اقامة طويلة ومجاورة جميلة وكان يملاء المسجد بالدوارق يصفها من باب الرحمة الى باب النساء ويجعل في اعناق الدوارق مقطعاً يقيدها به حتى لا ترم ولا تغير مكانها وما علمته يأخذ على ذلك أجره^(١٠٨)

بوابو المسجد النبوي:

وهي أحد الوظائف للمسجد النبوي حيث يقوم أصحابها بمهمة غلق وفتح أبواب المسجد النبوي وتنظيم عملية الدخول والخروج منها منعاً للتزاحم والتكديس عند الابواب حتى لا يقع ما لا يحمد عقباه من شدة التزاحم وشهدت تلك الفترة عدداً ممن عمل في هذه المهنة أمثال أحمد بن علي بواب باب السلام، وأحمد بن محمد اليماني ثم المدني البواب وهو ممن سمع على الجمال الكازروني مات عام ٧٧٧هـ تحت الهدم هو وجماعة من آل بيته وكان سليمان البواب أحد بوابي المسجد النبوي

بباب السلام، قال عنه ابن صالح كان سليم القلب بعيداً عن الشر به خوف من الله وخشوع وشفقة على الفقراء ومنهم شند الأسود أحد خدام الطواشسة بالمدينة وهو من جملة بوابي الحجرة الشريفة وقد أصيب في الحريق الواقع للمسجد النبوي عام ٨٨٦هـ^(١٠٩)

ومن بوابي المسجد النبوي الشريف كذلك عبدالله الزيلى بواب باب الرحمة أحد ابواب المسجد النبوي قال عنه شمس الدين السخاوي: شخص صالح متعبد سليم القلب^(١١٠) وقد اهتم سلاطين المماليك بأمور بوابي المسجد النبوي الشريف كأحد الوظائف القائمة بالمسجد النبوي ولذلك فقد شملتهم أرزاق وريع الأوقاف مرتبات السلاطين فقد نصت وثيقة الاشرف شعبان على تحديد مبلغ الف ومائتى درهم تصرف لبوابي المسجد ((كانت أبواب المسجد النبوي فى ذلك الوقت اربعة))^(١١١)

هذا إلى جانب مجموعة أخرى من الوظائف الصغيرة والتي لا وجود لها الا من خلال نصوص الوثائق الموجودة والقائمة على المسجد النبوي الشريف مثل

حارس النعال:

وهى من الوظائف المستحدثة التي ظهرت بالمسجد النبوي ولم يكن لها نظير بالحرم المكي ويقوم صاحبها على حراسة نعال المصلين وغيرهم من الزائرين خوفاً من السرقة والضياع وكان حراس النعال يقوم على ابواب المسجد جميعاً لأجل حراسة نعال المصلين ولعل وجود تلك الوظيفة يعود الى قيام بعض ضعاف النفوس من الناس بسرقة نعال المصلين وربما استلقت وقوع ذلك انظار السلاطين على ضرورة تعيين حراس على ابواب المسجد النبوي تكون وظيفتهم حماية نعال المصلين والمحافظة

عليها من السرقة فقد نصت وثيقة وقف الاشرف شعبان الى ضرورة تعيين اربعة حراس على ابواب المسجد النبوى الاربعة واشترط عليهم أن يحترزوا فى ذلط الاحتراز الكلى التام وحددت الوثيقة مرتباتهم بثمانمائة درهم سنوياً بواقع مائتى درهم لكل منهم سنوياً^(١١٢)

المبخر:

وهى من الوظائف التى وجدت بالحرم النبوى الشريف حيث يقوم صاحبها بتطيب المسجد النبوى الشريف بالعطور والبخور والروائح الجميلة التى تحمل الى المسجد النبوى من مصر حيث يبعث بها السلطان المملوكى الى المسجد النبوى كما فعل السلطان الظاهر بيبرس عام ٦٦٢ هـ حين بعث ركن الدين بيبرس مع الطواشى جمال الدين محسن الصالحى الشمع والبخور والزيت والطيب لتبخير الحجرة النبوية الشريفة^(١١٣)

كما نصت وثيقة وقف الاشرف شعبان على تخصيص مبلغ خمسمائة درهم منها مئتا درهم ثمن طيب وبخور لتطيب الحجرة الشريفة وثلاثمائة درهم سنوياً أجرة المبخر الذى يبخر من يحضر الى الحرم النبوى الشريف^(١١٤) وربما وجدت الى جانب هذه الوظائف بوظائف أخرى داخل حرم المسجد النبوى فى ذلك الوقت الا أن غالب الظن كان خدام المسجد النبوى كانوا يتناوبون على أدائها لعل منها وظيفة الوقاد وجملة الزيوت والشموع والقائمين على اشعال القناديل وارشاد الزائرين وغير ذلك من الوظائف الصغيرة التى لم تتناولها كتب التاريخ المعاصرة لتلك الفترة.

الفراشون:

وهي من الوظائف التي تمتع أصحابها بالأدب والأخلاق الرفيعة وهي من الوظائف الأساسية بالحرم النبوي الشريف وكان صاحبها يتميز بمكانة رفيعة عند العلماء والمجاورين وليس أدل على تلك المنزلة الرفيعة من قيام قاضي المدينة شمس الدين السخاوي أحد أكبر العلماء بالمدينة على الإطلاق من تزويجه ابنه خير الدين لإبنة أحد الفراشين وهو أحمد بن عبدالوهاب بن كرابجة وكانت ابنته تسمى زينب وكان شيخ الفراشين بالمدينة النبوية.

وقد شهدت ساحة المسجد النبوي ظهور عدد كبير من الأسماء ممن تولوا العمل كفراشين بالمسجد النبوي أمثال أحمد بن عبدالله بن الحبش شيخ الفراشين والمداحين بها ولد تقريباً عام ٨٣٠هـ بالمدينة ونشأ بها فحفظ القرآن وسمع الحديث عن ابي الفرح المراغي فمن بعده، كما سمع على شمس الدين السخاوي ولم يخرج من المدينة الا للحج، وكان يصحب ابا الفرح المراغي مات عام ٩٠٠هـ. وكذلك كان أحمد بن علي بن محمد بن صبيح الفراش وهو ممن سمع على شمس الدين السخاوي. كما قام أحمد بن محمد الشهاب النفطي الفراش بالحرم النبوي بشراء دار بن الشريف زيان بن منصور بن ججاز وكان أحمد الأميني الفراش من عقلاء الفراشين ورؤسائهم وجامع فخلهم وكان صالحاً خيراً هيناً ليناً مات وترك جملة من النخل والدور، كما كان أقبال مولى الحريري من قدماء الفراشين وكان على طريقة حسنة من السكون والاشتغال بنفسه توفي عام ٧٦٥هـ ودفن بالبقيع عن مائة سنة فأكثر وسمى بالشيخ الصالح^(١١٥)

وكان الفراشين بالمسجد النبوي على وعى كبير بأمر الدين والعلم والثقافة وحضروا مجالس العلماء للأخذ عليهم ومصاحبتهم وأكثروا من فعل الخيرات والتقرب من الناس وقضاء حوائجهم أمثال حمزة بن عبدالله العمري المدني الفراش بالحرم النبوي ولد عام ٧٦٥هـ بالمدينة واجاز له ابن أميلة وأبن الهبل والصلاح بن ابي عمر والكمال بن حبيب وأخوه البدر وغيرهم وتوفى بالمدينة عام ٨٣٨هـ كما كان رشيد ابن عبدالله الفهد البهائي أحد الفراشين بالمسجد النبوي وهو ممن سمع على العز بن جماعة ووصفه بالشيخ الصالح الخير وكذلك كان مشرف بن عبدالعزيز بن قاسم شرف الدين المدني المالكي أحد الفراشين بالحرم النبوي الشريف وهو ممن تلقى العلم يقول عنه السخاوي: هو ممن سمع عنى بالمدينة^(١١٦)

والواضح أن العلم والصلاح والتقوى وفعل الخيرات كانت القاسم المشترك في المسجد النبوي وظائف وهى الصفات الاساسية الواجب توافرها فى كل من يعمل داخل الحرم النبوي، فقد كان الشيخ على النواشى ممن سمع الناس عليه كثيراً وله خدمة للمشايع الكبار وعمل فى عمارة المسجد النبوي وكان يحمل الأحجار ويعمل بالنجارة، كما كان عمير السوارتى من قدماء الفراشين بالمسجد النبوي وله أوقاف عديدة وعتقاء ومن الفراشين أيضاً الحاج بردة عتق الحريرى شيخ الحرم أو رئيس الخدم به، وكان رجلاً صالحاً، وكذلك كان عنبر الصرخدى الفراش أحد أتباع الشيخ عز الدين شيخ الحرم ويقول ابن فرحون: وكان من الذين أدركتهم من أعيانهم أننا عشر فراشاً كان منهم الشيخ عمر الفراش، كان يقرأ القرآن وكان من ألطف الناس بينة وحديثاً وخلقاً، وكان ممن دخل منهم فى الخدمة رغبة فى التماس بركة الخدمة الشيخ يوسف الصعيدى الشهير بصبى الخطيب وكان من قدماء المجاورين وكان ملازماً للسراج قاضى المدينة، وخدم كثيراً من الشيوخ^(١١٧)

هذا الى جانب مجموعة أخرى من أشهر الاسماء الذين عملوا فى وظيفة الفراشين بالمسجد النبوى الشريف ومن الواضح أن هذه المهنة قد وجدت قبولاً لها لدى العلماء والأهالى من مختلف البلدان فلم تكن هذه المهنة وأصحابها قاصرة على بلد بعينها دون الأخرى فشهدت مجموعة ممن عمل بها من مختلف البلدان الاسلامية جاءوا جميعاً للعمل ونيل شرف الأقامة فى جوار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والموت بالمدينة النبوية وقد اجتهد الفراشون فى تحصيل العلوم الدينية من خلال مجالس العلم المتوافرة أمامهم بالمسجد النبوى والتي أمها عدد كبير من العلماء ومن مختلف بلدان العالم الاسلامى فى شتى فنون العلوم الدينية فى الفقه والحديث وعلوم القرآن وعلوم اللغة وغير ذلك.

الجمع بين الوظائف داخل المسجد النبوى:

وهى من الأمور اللافتة للنظر خلال تلك الفترة حيث جمع عدد كبير من ارباب الوظائف داخل الحرم النبوى بين أكثر من وظيفة سواء كان ذلك عن طريق التعويض أو الانابة أو سواء عن طريق الضم الكلى للوظيفة الى جانب الوظيفة الاصلية فقد وجد من الموظفين من مارس أكثر من عمل داخل المسجد النبوى فى ذلك الوقت أمثال سعد بن الجمال عبدالله ويعرف بابن النفطى وهو الذى جمع بين الأذان والفراشة والمديح وكان ممن حفظ المنهاج والقرآن الكريم والحاوى والفرعين وكان ابيه شيخ المؤذنين بالمدينة الى جانب عمله فى الأذان فقد كان من رؤساء الفراشين وكان ممن مدح النبي صلى الله عليه وسلم وكان من أصحاب الصوت الجميل وهناك من يصفه بالفضل والورع وقال انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له أنت مؤذنى^(١١٨) ومن جمع بين الأذان والفراشة ايضاً طلحة بن سعد ابو

الوفاء المدني أحد مؤذنى و فراشى المسجد النبوى، حفظ القرآن وقدم القاهرة وقرأ على الديمى البخارى وغيره وأخذ عن البكرى وزكريا وغيرهم وتكرر قدومه الى القاهرة ودخل الشام وسمع على التاجى^(١١٩)

كما جمع عبدالرحمن بن محمد المطرى المدني بين رياسة الآذان والامامة والخطابة والقضاء بالمدينة الشريفة ولد بالمدينة عام ٧٤٨ هـ وكان جده الجمال حسن الصوت وعلى علم بالمليقات وبعث به السلطان الى المدينة مع اثنين آخرين لخلوها اذ ذلك من عالم بالمليقات فتولى رئاسة الآذان ثم خلفه ابنائه من بعده حتى تولى رئاسة الآذان الى جانب امامة المدينة وقضائها وخطابتها وذلك عام ٨١١ هـ^(١٢٠)

كما جمع على بن معبد المصرى المدني المؤذن بين وظيفتى الآذان والامامة مدة طويلة وكان من قدماء المجاورين بالمدينة وصحب جماعة من الصالحين الأخيار وخدمهم وكان يحكى من أخبارهم وأوالهم ليتأس بهم وينتفع بهم مات عام ٧٦٢ هـ وقد قارب الثمانين^(١٢١)

وكان محمد الغرناطى ابو عبدالله الفرضى المقرئى ممن جمع بين عدة وظائف فقد دخل فى امرة الخدام ثم دخل ضمن مؤذنى المسجد النبوى كما اسند اليه حفظ حواصل الحرم والنظر فى الاوقاف والغلال وكان من المنقطعين فى العبادة واحبه الخدام وأدخلوه فى امرتهم وجعلوه من جملتهم وولوه الخدمة الشريفة وقدموه على أنفسهم وفوضوا اليه ما يتعلق بهم من الأعمال والمباشرات^(١٢٢) وكان ذا مال يصل به أقرابه لأنه كان فى بداية أمره قد جب نفسه ثم ندم على ذلك لانقطاع نسله ووقف كتباً واعتق أرقاء ومات عام ٧٥٤ هـ وله إحدى وثمانون سنة^(١٢٣)

كما كان محمد بن أحمد بن أبو السعادات المصرى الاصل المولود بالمدينة عام ٨٣٧هـ ونشأ فى محيط العلم فحفظ القرآن والمنهاج والألفية وغيرها ورحل للقاهرة عدة مرات وكان يتصف بالذكاء والفتنة وله نظم وانتهى اليه رئاسة المؤذنين النبوية مات عام ٨٨٦هـ فى الحريق الثانى للمسجد النبوى الشريف^(١٢٤)

هكذا شهد المسجد النبوى الشريف خلال تلك الفترة وجود عدداً من الموظفين ممن مارس أكثر من عمل وظيفى ومن الملاحظ أن قام بأداء أكثر من عمل فى وقت واحد كانوا من أهل الخير والفضل والعلم أى أنهم كانوا من العلماء والفقهاء الذين تفقهوا فى الدين وكانو مؤهلين للقيام بأداء أعمالهم الموكولة اليهم دون تقصير أو نقصان.

المبحث الخامس

مكانة موظفي المسجد النبوي عند السلاطين

المكانة العلمية :

كان لموظفي المسجد النبوي على اختلاف مسمياتهم أو درجاتهم الوظيفية مكانة مميزة عن السلاطين والأمراء المماليك وكان احترام السلاطين لكافة الموظفين داخل الحرم النبوي يعود في الاصل الى احترامهم لقدسية ومكانة المسجد النبوي الشريف وتعظيمهم له، ومن هنا كان احترامهم وتقديرهم لكل من يعمل داخل هذا المكان المقدس والمكانة العظيمة للمسجد النبوي في نفوس السلاطين من أنه عندما وصل الظاهر بيبرس الى المدينة النبوية عام ٦٥٨ هـ واقام بها ثلاثة ايام هرب منها أميرها جواز بن شيحة بن قاسم بن مهنا الحسيني فقال الظاهر بيبرس لو كان جواز يستحق القتل ما قتلته لأنه في حرم النبي صلى الله عليه وسلم^(١٢٥) وعندما وفد شيخ الخدام بالمسجد النبوي الشريف على الظاهر بيبرس ببلاد الشام أكرمه وقربه وخلع عليه ثم ارسله صحبة القاضي شمس الدين بالجمال والالات والرجال مع الراكب الشامي لعمارة المسجد النبوي وذلك بعد حريق المسجد عام ٦٥٤ هـ^(١٢٦)

وفي عام ٦٦٧ هـ قدم الطواشي جمال الدين محسن الصالحى شيخ الخدام على الظاهر بيبرس فأكرمه وعظّمه وأقام له خيمة على باب الدهلي واعطاه أكثر من مائتي الف درهم نقرة^(١٢٧)، وورد في ذى القعدة من عام ٧٣٦ هـ مرسوم من السلطان الناصر محمد بن قلاوون الى القاضي شرف الدين الاسيوطى مضمونه ((أنا قد فوضنا امارة المدينة الى الأمير مزروع بن جواز وقد كتبنا له بذلك تقليداً))^(١٢٨) وفي هذا المرسوم السلطاني خير دليل على تلك المكانة العالية والثقة الكبيرة التي

وضعت في علماء المسجد النبوي وكان القاضي شرف الدين الاسيوطي اصبح هو المسؤول عن الامن والنظام وتعيين وعزل الامراء واستتباب الامن بالمدينة. وعندما قام الأمير غرير هيازع الحسيني بالتعدى على الحجرة النبوية الشريفة وأخذ مما بها من حاصلات وذلك عام ٨٢٤ هـ زاعماً أنه على سبيل القرض وتعرض بالأذى والتعدى على بعض علماء المسجد النبوي إلا أن السلطان لم يقف مكتوف الأيدي أمام ذلك بل أصدر أمره بالقبض على الأمير غرير وحمله الى مصر وجيء به متحفظاً به والقي به في السجن حتى مات بالقاهرة مسجوناً بها^(١٢٩)

وعندما ضيق أمير المدينة على القاضي سراج الدين عمر بن أحمد الدمهوري وطلب منه عشرة آلاف درهم التجأ القاضي الى الخدام واشتكى اليهم فأدخلوه الحجرة ومنعوا أحد يصل اليه، الا أنه خدع وخرج فطلبه الأمير الى القلعة ومنعه من النزول الى الصلاة ثم خلوا سبيله واحتالوا عليه حتى أخذوا منه ما طلبوه. فعز ذلك على الخدام واشاعوا القضية وعمدوا على ايصال الخبر الى السلطان فما كان من السلطان الى أن أمر فاحتاط على خبر الامير وعزل عنه غلمانة ونوابه فاعتذروا بأن الامير ما أخذها الا قرضاً ودفعوا المال لوكيل القاضي وجاءته الدراهم محمولة الى المدينة^(١٣٠).

كما كانت لبعض خدام المسجد النبوي وجاهة ومكانة يميزه لدى أمراء المدينة وكانت لهم منزلة خاصة من ذلك أنه عندما توفي أحد المشايخ وخلف أيتاماً ووظائف فسعى عليها بعض المفسدون لدى الأمير ودله على تلك الوظائف وجملة من المال ورسم بانتزاعها منهم فقام صواب بن عبدالله المغيثي أحد الخدام بالمسجد النبوي الشريف ومن الموصوفين بالدين المتين والورع المكين فقام وقال لشيخ الخدام قم بهمتك معنا في دفع هذا الأذى فإنه والله لا يصل هذا اللعين الى هذه الوظيفة الا أن

يفعل بى كذا وكذا فبلغ الأمير خبره فأعرض عن الساعى وعن المال واستقر أولاد الشيخ فى وظائفهم^(١٣١) وما كان ذلك الا لمكانة هذا الخادم عند أمير المدينة ومكانة خدام المسجد النبوي بشكل عام عند سلاطين الاسلام ويتضح ذلك من وقف السلطان صلاح الدين الايوبي ثلث قرية سنديس بالقلبوية وقرية نفادة من أعمال قوص على ٢٤ خادما لخدمة الضريح النبوي الشريف وذلك فى ١٨ ربيع الآخر عام ٥٦٩هـ، كما قام الملك الصالح اسماعيل من وقف ٢/٣ قرية سنديس على ١٦ خادماً للحجرة النبوية الشريفة^(١٣٢)

هكذا يمكن القول أن موظفى المسجد النبوي كانت لهم مكانة خاصة مميزة لدى حكام وسلاطين المماليك وظهر ذلك بشكل واضح ممن خلال التعامل الذى كان يتم بين سلاطين المماليك وبين موظفى المسجد النبوي فى كافة الأمور والمسائل المتعلقة بأمور المسجد النبوي وسرعة استجابة السلاطين لمتطلبات الموظفين دون تأخير وربما يعود ذلك كما قدمنا الى عظمة ومكانة المسجد النبوي الشريف فى نفوسهم وأن أعمالهم هذه قربة الى الله تعالى والى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

كيفية التعيين:

اختلفت طرق تولى الوظائف داخل المسجد النبوي الشريف ما بين ثلاث طرق الأولى التولية بقرار سلطانى والثانية وهى طريقة الوارثة والثالثة طريقة النيابة فى ادارة الوظائف

أولاً: التولية بقرار سلطانى:

كانت التولية بقرار سلطانى لوظائف الحرم النبوي هى إحدى طرق العمل الوظيفى وقد استأثرت هذه الطريقة بعدد كبير من الوظائف مثل الامامة والخطابة

والقضاء والوظائف الثلاثة كانت في الغالب تحت سلطة فرد واحد يتولاها بقرار من قبل السلطان وفي بعض الاحيان كانت تصدر القرارات السلطانية بتعيين من ينوب عن امام وخطيب المسجد النبوي كما شملت قرارات التولية رؤساء الخدام ومشايخ الحرم وذلك نظراً لحساسية هذا المنصب وأهميته وكانت أولى القرارات التي صدرت بشأن تولية امام وخطيب للمسجد النبوي في العهد المملوكي يعود الى زمن السلطان قلاوون حين أصدر أمر سلطانياً بتولية الشيخ سراج الدين بن حجر بن احمد الخزرجي خطيباً وإماماً للمسجد النبوي وذلك عام ٦٨٢هـ^(١٣٣)

ومنذ ذلك التاريخ توالت القرارات السلطانية بشأن عزل وتولية أئمة المسجد النبوي الشريف منذ ذلك القرار السلطاني الصادر عام ٧٥٠هـ بشأن تولية محمد بن عبدالمعطي بن سالم الكناني امامة وخطابة المسجد النبوي فباشرها مدة من الزمن ثم صدر قرار سلطاني آخر بعزله وتولية القاضي بدر الدين بن الخشاب بدلاً منه^(١٣٤)

ثم تولى الشيخ بدر الدين حسن القيسى امامة وخطابة المدينة المنورة بمرسوم من قبل السلطان وجاء من مصر لمباشرة مهام عمله الذي وكله به السلطان إلا أنه لم تطل اقامته بالمدينة حيث وقع بينه وبين الامير طفيل خلافاً رجع على أثره الى مصر مع الحاج المصري وظل بالقاهرة حتى وفاته ٧٥١هـ^(١٣٥)

كما أن توليه أمر امامة المدينة وخطابتها كانت بمرسوم سلطاني كما كان تولية شيخ الخدام في ذلك الوقت بقرار سلطاني كذلك منذ ذلك أنه عندما حج السلطان الملك الناصر عام ٧١٩هـ ودخل المدينة ووجد سعد الدين الضرير في مشيخة الخدام أصدر السلطان أمراً بعزله وتولية الظهير الاشرفي مختار وهو الذي اشتهر بالنشاط

وكثرة الأعمال الهامة والعظيمة زمن ولايته وكان شديداً على أهل البدع والضلالة وضبطت الأوقاف في ولايته وعمر ما تخرب منها وتوفى عام ٧٢٣هـ^(١٣٦).

كما أصدر السلطان الظاهر برقوق أمراً بتولية القاضي فتح الدين بن عبد الصمد بن الزبير المحروقي أصدر أمره بتولية نظر المسجد النبوي ونظر ديوان الخدام وذلك بعد موت الشهاب أحمد السندوبي^(١٣٧) كما أصدر مرسوم سلطاني آخر بتولية مسرور بن عبدالله نائباً عن شيخ الخدام افتخار الدين وعندما توفى افتخار الدين اصدر السلطان مرسوماً بتولية مسرور السبلي رئاسة الخدام ثم صدر مرسوم سلطاني آخر بتعيين زين الدين مقبل شيخاً للخدام واستمرار مسرور السبلي نائباً له^(١٣٨)

ثانياً: التولية بالنيابة:

وهي إحدى طرق ممارسة العمل الوظيفي داخل المسجد النبوي حيث كان متولى العمل يقوم باختيار اشخاصاً آخرين لإدارة العمل الموكل اليه وقد تحدثنا عن ذلك في موقع سابق سواء لمساعدته في أداء عمله أو لمرض ألم به أو لسفر أضطر اليه أو أى من الأسباب وكانت هذه إحدى طرق التواجد داخل الهيكل الوظيفي بالحرم النبوي فقد كان أحمد الشهاب المصرى نزيل المدينة أيام الظاهر جقمق ينوب عن رؤساء مؤذنيها كالحب المطرى وغيره متبرعاً مع كون الظاهر قرر له خمسين ديناراً^(١٣٩)

كما أناب أحمد بن محمد الصنعائي في الحكم والخطابة ودرس وحدث بكتاب المصابيح وجامع الأصول مات عام ٧٢٦هـ^(١٤٠) كما ناب صندل الهندي أحد الخدام بالمسجد النبوي الشريف وناب في المشيخة بعد وفاة متوليها^(١٤١) كما ناب القاضي حسن بن أحمد المعروف بدر الدين تولى القضاء والخطابة والامامة نيابة عن صهره

القاضي شرف الدين الاسيوطي^(١٤٢) وغيرها من الحالات التي تولى فيها الموظف البديل بجوار الموظف الرئيسي.

ثالثاً: التولية بالوراثة:

وهي ثالث الطرق المتبعة في مباشرة الوظائف داخل الحرم النبوي الشريف وهي إحدى الطرق الشائعة والمتشعبة في ذلك الوقت والتي لم تقتصر على وظائف معينة بل شملت كافة الوظائف تقريباً وكان المتبع في بعض هذه الوظائف بل قاعدة العمل بها أن يرث الابن مكانة أبيه الوظيفية ثم يأتي التقليد السلطاني ليؤكد أحقيته بذلك ويثبته في مكانه الوظيفي بذات المنصب بعد وفاة أبيه والأمثلة في الوراثة في الوظائف داخل الحرم النبوي متعددة ذكرنا بعضها منها في عمل المؤذنين ونضيف الى ذلك الحسين بن الحسن بن القطان المؤذن بالمدينة قد مات أبوه وهو في بطن أمه وعندما شب اشتغل بالعلم واستقر في وظيفة أبيه في الأذان وكان صيماً حسن الصوت وحسن العشرة^(١٤٣)

كما كان محمد بن ابراهيم المصري المؤذن والذي قدم والده من مصر ليمارس وظيفة الأذان بالحرم النبوي وخلفه ابنه محمد وكان رئيساً للمؤذنين بالمسجد النبوي بعد أبيه كذلك توارث وظيفة الأذان محمد بن عبدالرحمن المؤذن هو ووالده وجده وكان من الفقهاء والنبلاء وبذل جهداً في طلب العلم والاجتهاد وتوفي عام ٧٢٠هـ^(١٤٤) وتستمر وظيفة الأذان في عبدالله بن محمد المصري المؤذن بالحرم النبوي الشريف وكان أبوه وجده كذلك وكان محمود الصفات رضى الأخلاق ولد عام ٧٠١هـ وتوفي عام ٧٥١هـ^(١٤٥)

كما كان صواب الشمس المغيتى أحد خدام المسجد النبوى وكان مشهوراً بالدين والورع كثير الاحسان الى الفقراء والمحتاجين والمتوفى عام ٧٣٤هـ وبعد وفاته خلفه اولاده فى وظائفه^(١٤٦) وكان الأخوان حسن بن قاسم القطان وأخوه احمد بن قاسم مؤذنا بالحرم النبوى وخلف حسن ولداً اسمه أحمد خلفه فى الأذان بالمسجد النبوى، كما كان محمد بن حسن أحد مؤذنى المسجد النبوى وبعد وفاته عام ٧٥٠هـ خلفه ولده أحمد فى الأذان^(١٤٧)

كما قام محمد صلاح الدين بن صالح المولود بالمدينة عام ٨٤١هـ والذى استقل بقضاء المدينة بعد استعفاء عمه، كما استقل بالنظر على المسجد الحرام عوضاً عن أخيه وشارك بقية أخوته وولده فى الخطابة والامامة كما شارك محمد مجد الدين بن صالح وأخيه محمد شمس الدين بن صالح أخوتهم وأولادهم فى الخطابة والامامة^(١٤٨) كما كان محمد بن أحمد جمال الدين الشهير بالمطرى رئيس المؤذنين وكان قد ورث رئاسة الأذان بالمسجد عن والده^(١٤٩)

هذه كانت طرق التوظيف والعمل داخل المسجد النبوي ما بين القرار السلطاني بالتعيين والولاية أو الوراثة عن طريق الانتقال الوظيفى من الأباء الى الابناء أو عن طريق الأنابة فى الوظائف وأى كانت طريقة الوصول الى الوظيفة والعمل داخل المسجد النبوى فإنها كانت محببه لدى نفوس القائمين عليها.

المؤهلات العلمية:

كان موظفى المسجد النبوى بشكل عام على قدر كبير من العلم والمعرفة سواء أكان ذلك فى الوظائف العليا مثل وظائف أئمة وخطيب المسجد النبوي وشيخ الحرم أو ناظر الحرم أو فى الوظائف الأقل درجة سواء المؤذنين أو الفراشين أو الوظائف

الدنيا والثانوية مثل البوابين والمبخرين وحارس النعال وغيرها من الوظائف كان أصحابها على قدر كبير من التفقه في أمور الدين وعلوم القرآن والحديث والسنة النبوية وعلوم اللغة العربية وسواء أكان ذلك حسب شروط الواقفين أو لم يذكر في نصوص الوقفيات والواضح أيضاً أن طلب العلم والسعى في الحصول عليه كان لا يتقطع من جانب موظفي المسجد النبوي سواء عن طريق السفر والترحال إلى القاهرة وبلاد الشام والعراق واليمن أو حضور جلسات العلم المتوفرة والمتاحة تحت أيديهم في جنبات المسجد النبوي والتي أمهها عدد كبير من علماء المسلمين من مختلف البلدان لذلك لم يكن مستغرباً أن نجد كل موظفي المسجد النبوي على قدر كبير من العلم والأمثلة على ذلك كثيرة منها عبدالرحمن بن حسن بن ويعرف بابن القطان المولود بالمدينة ونشأ وحفظ القرآن والعمدة والمنهاج الفرعي والاصلي والفية ابن مالك والذي كان كآبيه أحد مؤذني المسجد النبوي وعرض في سنة اثنين وسبعين وما بعدها على البدر ابراهيم بن الخشاب والنور على بن أحمد بن اسماعيل الفوى والعز بن عبدالسلام الكازروني والكمال ابى الفضل محمد بن أحمد النويرى وجماعة أجازوا له وسمع البخارى على الزين العراقى وسمع صحيح مسلم أحمد الششتري وأخذ الفقه وأصوله على الاسيوطى وأذن له بالتدريس واستحق بذلك أن يستفاد منه وممن أخذ عنه التقى بن فهد وتوفى عام ٨٢٩هـ^(١٥٠)

كما كان رئيس المؤذنين بالحرم النبوي عبدالله بن محمد المطرى المولود عام ٧٩٨هـ قد أهتم بدراسة الحديث والتاريخ وارتحل في سماع الحديث إلى الشام ومصر والعراق واشتهر بحسن الأخلاق وكثرة العبادة وله ذيل على طبقات الشافعية لابن كثير وحدث ببغداد والشام والقاهرة وقرأ عليه الجلال صحيح مسلم وشرح معانى الآثار للطحاوى وأربعين النووى وشرح الأسماء الحسنى للبيهقى وشرح قصيده ابن

الفارض وانتهت اليه مشيخة الصوفية بالحرمين ولم يتزوج قط وكان كثير الشفقة على الفقراء والمساكين جيد الخطبة مشهور بكرم النفس كريماً فى أحواله عزيزاً بين أقرانه^(١٥١)

وكان دينار بن عبدالله ابو العز أحد الخدام بالمسجد النبوى قد سمع من الجمال المطرى وخالص البهائى ومحمد بن ابراهيم المؤذن وحدث وسمع منه الشيخ العراقى^(١٥٢)

وكان قائم المحمدى الظاهرى جقمق شيخ الخدام بالمسجد النبوى عام ٨٣١ هـ قد لزم التخلق بالخير من التلاوة وحضور مجلس العلم مع التواضع ولين الجانب بل كان يقرأ فى شرح القدورى على الفخر عثمان الطرابلسى ويجتمع عنده علماء الحنفية وغيرهم ويقول السخاوى: ولما كنت بالمدينة أخذ عنى أشياء من الكتب الستة وغيرها كشرح معانى الآثار للطحاوى وحصل القول البديع والرمى بالنشاب وغيرهما من تأليفى وكتبت له إجازة وأخبرنى أنه تلا القرآن بروايات على التاج السكندرى المالكى بعد تلاوته على غيره من أئمة القراء وكتب الخط الحسن وظهر بذلك بركة رؤيته النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة ٨٥٣ هـ فى منامه ومثوله بين يديه وأمره اياه بقراءة الفاتحة فى حضرته الشريفة وكان يحج كل عام الى أن مات عام ٨٩٠ هـ وكان عمر سراج الدين أحد خدام المسجد النبوى والذى نشأ بالمدينة فحفظ القرآن واشتغل فى حفظ المنهاج وغيره وسمع على ابى الفرج المراغى وحضر دروس الشهاب الأبيشيطة والسيد الطباطبى وتوفى أواخر عام ٨٥٧ هـ كما حفظ أحد الفراشين بالمسجد النبوى الشريف وهو عبدالوهاب بن محمد بن الشمس العوفى حفظ مختصر ابى شجاع وبعض المنهاج واشتغل ودخل البلاد الشامية والقاهرة ويقول السخاوى: ممن سمع منى بمكة والمدينة^(١٥٣)

كما كان الشيخ عز الدين دينار شيخ الخدام والذي تولى المشيخة عام ٧٢٧ هـ بعد وفاة الشيخ ناصر الدين نصر عطاالله لم يبرح في قراءة القرآن وفعل الخيرات وقد ترك أملاكاً كثيرة ما بين نخيل ودور وأعتق الاماء والعبيد زهاء الثلاثين وكفل جماعات من الارامل والايام وعمهم بالخير والأنعام ورتب لهم الشراب والطعام والمسكن والملبس والمقام واستمر ملازماً لقراءة القرآن طوال حياته^(١٥٤)

وكان رئيس المؤذنين بالمدينة النبوية أحمد بن محمد ويعرف بابن الخطيب ثم بابن الريس سمع بالمدينة على الجمال الكازروني وعلى ابي السعادات بن ظهيرة وقرأ على الحب المطري ودخل القاهرة والشام وغيرها مراراً وسمع بدمشق وحلب على حافظها البرهان وله نظم جيد ومات بالمدينة عام ٨٥٤ هـ^(١٥٥) كما سمع صواب بن عبدالله المحمودي أحد خدام المسجد النبوي وسمع منه الحافظ أبو الفضل وابو الحسن والهيثمي وحدث عنه أبو حامد بالإجازة^(١٥٦)

كان ذلك هو الوضع الذي كان عليه موظفي المسجد النبوي من هم دون مستوى الامامة والخطابة والقضاء وكانوا على هذا القدر من الفقه في أمور الدين والعلم والمعرفة فما بالننا اذا نظرنا الى مستوى العلماء الأئمة والخطباء والقضاة وهي الفئة الأعلى في المستوى العلمي والفكري ودرجة التفقه في أمور الدين وبكل تأكيد فإنهم ليسوا بحاجة الى سرد أو ترجمة أو تقديم لأن المكان هنا بلا شك لا يتسع للحديث عن المستوى العلمي والفكري لأولئك الأئمة العظام بالمسجد النبوي وانما نسوق مثل بسيط مختصر وهو محمد بن أحمد الكازروني الأصل المولود بالمدينة عام ٧٥٧ هـ واشتغل بالعلم واجاز له جماعة العلماء بالتدريس والأفتاء وصفه النجم السكاكيني في اجازته ولده شيخ الاسلام مفتي الأنام الجامع بين المشروع والمعقول البارع في الفروع والأصول ذي المهمة العلية مدرس الروضة النبوية: وقد اختصر

المغنى للبارزى وشرح مختصر التنبيه للشرف عيسى بن عذارة البجلي وكتب فى آخر حياته شرحاً على شرح التنبيه وكتب تفسيراً اعتمد فيه على القرطبي^(١٥٧)

الختامة

شهدت ساحة المسجد النبوى خلال العهد المملوكى عدد كبيراً من المسميات الوظيفية أمها عدد كبير من الموظفين من مختلف بلدان العالم الاسلامى ممن تركوا أوطانهم وأولادهم رغبة فى المعيشة بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم والموت بالمدينة النبوية الشريفة وكان عدد كبير من هؤلاء الوافدين من رجال العلم الذين استطاعوا أن يملأوا جنبات المسجد النبوى بشموع العلم والمعرفة فكثرت عدد العلماء وزاد عدد الطلبة الأمر الذى أدى الى ضرورة وجود هيكل وظيفى يدير أمور الحرم النبوى حتى تستقيم الأمور بعد أن أصبح مقصداً للعلماء وطلبة العلم من شتى البقاع.

وانقسمت الوظائف داخل الحرم النبوى الى وظائف رئيسية كانت الدعامة الأساسية فى إدارة وتنظيم الحياة والحركة داخل جنبات المسجد النبوى الشريف مثل الإمامة والخطابة والقضاء والتي أمها عدد كبير من علماء أهل السنة من مختلف البلدان الاسلامية وكانوا جميعاً من أصحاب العلم والمعرفة، أو أهل الخدمة من مختلفى الجنسيات والبلدان الذين لعبوا دوراً بارزاً ورئسياً فى تنظيم وإدارة المسجد النبوى الشريف وكانوا من أهل الحظوة والجاه والخير والكرامات معظمين عند السلطان والأمراء ممن يعمل لهم حساب ومعهم فراشى المسجد ومؤذنيه الذين تمتعوا بالذكاء والثقافة والتفقه فى الدين وشهد لهم العلماء وأئمة العلم بحسن الأخلاق وحسن السيرة والعشرة وحب الخيرات.

كما شهدت ساحة المسجد النبوى الى جانب تلك الوظائف الاساسية الرئيسية مجموعة أخرى من الوظائف الأقل مرتبة والتي لا غنى عن وجودها بحال من الأحوال والتي ظهر عدداً منها من خلال رغبة الواقفين نظراً لظهور الحاجة اليها فى إدارة وتنظيم أمور المسجد النبوى كما يراها الواقف فشهدنا المبحر وقارئ المصحف والبواب وحارس النعال وغيرها من الوظائف التى ظهرت فى ذلك الوقت وتهافت

الناس عليها لأدائها والقيام بها قربة الى الله تعالى وحباً فى جوار رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد شهدت تلك الفترة أيضاً قيام عدداً من الموظفين بين جدران المسجد النبوى ممن جمعوا بين أكثر من عمل وظيفى، ومما لا شك فيه أن أصحاب هذه الوظائف والأعمال المزدوجة هم أناس مؤهلين لأداء أكثر من عمل فى آن واحد من حيث التعمق فى أمور الدين والدنيا والقوة والشجاعة والصبر والقدرة على مواجهة الأمور وتحدى الصعاب.

ورأينا أيضاً تلك المكانة العليا التى كانت عليها أئمة وعلماء المسجد النبوى الشريف لدى السلاطين والأمراء على السواء وتمتعهم بقدر كبير من الحرمه والمكانة العالية لديهم وشاهدنا الطريقة التى كان يتم بها اختيار الموظفين داخل المسجد النبوى سواء أكان ذلك التعيين بقرار صادر من قبل السلطان المملوكى والذى ظهر بشكل واضح فى الوظائف الكبرى داخل المسجد النبوى أو عن طريق الإنابة وهو شكل شائع فى العمل داخل جنات المسجد النبوى وكانت الأسباب الداعية الى ذلك كثيرة منها أما كثرة وثقل الأعمال المنوط بها صاحب العمل الوظيفى أو سفره لأمر ما من أمور أو لمرض ألم به يحول بينه وبين ممارسة عمله وأداء وظيفته وهما كان السبب الداعى الى وجود النائب فإنه كان عليه القيام بنفس الدور الذى يقوم به صاحب العمل الرئيسى ولا يقصر فى شئ من تبعات ذلك العمل وأن تتوفر نفس الشروط التى يجب أن تتوفر فى صاحب العمل عند اختياره لأداء هذا العمل أما الطريقة الأخرى والأخيرة من طرق العمل داخل الحرم النبوى الشريف فهى طريقة الوراثة هى الطريقة الأكثر شيوعاً بين طرق العمل والتوظيف داخل المسجد النبوى وظهرت بشكل واضح بين طائفة المؤذنين والفراشين والخدام وغيرهما من وظائف المسجد النبوى.

الهوامش

- (١) عبد الرحمن المدريس - المدينة المنورة في العصر المملوكي - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض ٢٠٠١، ص ٢١٢
- (٢) نور الدين علي السمهودي - وفاء الوفا باخبار دار المصطفى - تحقيق د. عبدالرازق عيسى - مكتبة الثقافة - القاهرة - ١٩٩٨م - ص ٢١٩-٢٢٠
- (٣) ابن بطوطة محمد بن عبدالله - رحلة ابن بطوطة - دار النفائس - بيروت - ط ١ - ١٩٩٧م - ص ١٢٠
- (٤) الحافظ شمس الدين الذهبي - العبر في خبر من غير - ج ٤ - تحقيق ابو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ١٤٠٥هـ - ٧٠١ - ص ٧٦٤.
- (٥) ابي الفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلي - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٧ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - ص ٧٢.
- (٦) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى - المغامم المطابة في معالم طابة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ، ج ٣ مصدر سابق ج ٣ ص ١٣١٩.
- (٧) الفيروز ابادى: مصدر سابق، ج ٣ ص ٣٢٢٩.
- (٨) شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. دائرة المعارف يجيدر اباد، ١٣٤٩هـ، ص ١٢.
- (٩) الفيروز ابادى مصدر سابق ج ٣ ص ١٣٠٠
- (١٠) ابن فرحون - ابي محمد عبدالله - تاريخ المدينة المنورة - تعليق حسين شكري - دار الارقم - بيروت - ١٩٨٦م - ص ٢١٢

- (١١) السخاوى محمد عبدالرحمن - التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١ - دار المعارف - القاهرة -، ص ٦١ - ٦٢
- (١٢) العسقلانى: الدرر الكامنة، ج١ ص ١٣٩ - ١٤٠
- (١٣) الفيروز ابادى- المصدر السابق - ص ١١٧٣
- (١٤) السخاوى - التحفة اللطيفة - ج٢ - ص ١٦١-١٦٤
- (١٥) ابى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى - ذيل الدرر الكامنة. تحقيق د/ عدنان درويش- معهد المخطوطات العربية - القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ص ٢٩٣
- (١٦) تقى الدين أحمد بن على المقرئى- السلوك لمعرفة دول الملوك، ق١ ج٤ - تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور مطبعة دار الكتب - القاهرة- ١٩٧٢ م، ص ٢٧٧
- (١٧) ابن العماد الحنبلى - شذرات الذهب، ج٧ ص ٢٤٧
- (١٨) شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع تحقيق عبداللطيف حسن عبدالرحمن - منشورات دار الكتب بيروت لبنان ٢٠٠٣م، ج٢، ص ١٢٢
- (١٩) السخاوى- التحفة اللطيفة مصدر سابق ج١، ص ١٤٤
- (٢٠) ابن فرحون - مصدر سابق - ص ٢٠٣-٢٠٤
- (٢١) العسقلانى- الدرر، ج١ ص ٧٣/ السخاوى: الضوء اللامع، ج١٠ ص ٢١٤. - ابن العماد الحنبلى - شذرات الذهب، ج٧ ص ٧٦ / السخاوى: التحفة اللطيفة، ج٢ ص ١٥١. ابن فرحون: مصدر سابق ص ٢٠٢. - العسقلانى: مصدر سابق، ج١ ص ٣١٥
- (٢٢) السخاوى- الضوء اللامع - المجلد الثانى - الجزء الرابع - ص ١١٩

- (٢٣) الفيروز ابادى - مصدر سابق - ج٣ - ص١١٨٢
- (٢٤) السخاوى - التحفة اللطيفة - ج١ - ص٥٥
- (٢٥) ابن فرحون- مصدر سابق ص٦٥
- (٢٦) ابن النجار محمد بن محمود - الدررة الثمينة في تاريخ المدينة- تحقيق صالح جمال - مكتبة الثقافة - مكة - ١٣١٤هـ، ص٢٨٥.
- (٢٧) المرجانى محمد بن عبدالمملك- تاريخ المدينة - دار الكتاب- القاهرة- ١٤١٧هـ، ص٢٢١.
- (٢٨) شمس الدين السخاوى- التحفة اللطيفة، ج٢ - ص ١٠٥، ١٢٤، ١٣٥
- (٢٩) ابن فرحون: مصدر سابق، ص١٤٣
- (٣٠) السخاوى- التحفة اللطيفة، ج١ ص ١٥٣، ٦٥
- (٣١) ابن فرحون - مصدر سابق، ص ١٤١-١٤٢
- (٣٢) ابن فرحون- مصدر سابق ص ١٤٤-١٤٥
- (٣٣) السخاوى- التحفة اللطيفة ج٢ ص ٤٤٤، ٤٦٣، ٥١٣، ٥٢١/ ابن فرحون- المصدر السابق ص ٣٠
- (٣٤) الفيروز ابادى- مصدر سابق ج٣ ص١٢٠٩
- (٣٥) راشد سعد راشد القحطاني- أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين الشريفين. مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية-الرياض- ١٤١٤هـ، ص١٢٠
- (٣٦) السخاوى- التحفة اللطيفة، ج١ ص١٠٦.
- (٣٧) الفيروز ابادى- مصدر سابق ج٣ ص١٢٩٤.
- (٣٨) ابن فرحون- مصدر سابق ج١٦٨.
- (٣٩) ابن العماد الحنبلى - شذرات الذهب، ص١٧

- (٤٠) السخاوى- التحفة اللطيفة، ج٢ ص ١٨٧، ٢٨٨، ٣٣١، ٣٣٢
- (٤١) السخاوى- التحفة اللطيفة، ج٢ ص ٤١٩، ٤٥٣
- (٤٢) المصدر السابق - ج١ - ص ١٦١
- (٤٣) ابن فرحون- مصدر سابق - ص ٤٩
- (٤٤) السخاوى- الضوء اللامع، ج٢- ٢- ج٤ - ص ٢٦٣
- (٤٥) السخاوى- الضوء اللامع، ج٦ - ص ٧٢
- (٤٦) السخاوى- الضوء اللامع ج٦ - ص ٢٨٣
- (٤٧) السخاوى - التحفة اللطيفة - ج٢ - ص ٨٩
- (٤٨) العسقلانى - الدرر- ج٣ - ص ١٤٧
- (٤٩) ابن العماد الحنبلى - شذرات الذهب - ج٧ - ص ٢٧٧
- (٥٠) السخاوى- الضوء اللامع - المجلد الأول - الجزء الثانى - ص ١٧١
- (٥١) د. عبدالباسط عبدالرازق بدر - الحياة الثقافية فى المدينة المنورة فى العهد المملوكى. مجلة مركز بحوث المدينة المنورة العدد الخامس ربيع الثانى-١٤٢١هـ- ص ٧٤
- (٥٢) السخاوى- التحفة اللطيفة، ج١ ص ١٤١
- (٥٣) محمد بن على الشوكانى- البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٤٨هـ ج٢ ص ١٤٦.
- (٥٤) السخاوى- التحفة اللطيفة، ج١ ص ٦٩-٧١
- (٥٥) ابن فرحون- مصدر سابق ص ١٥٢
- (٥٦) ابن حجر - الدرر الكامنة، ج١ ص ٧٩

- (٥٧) د. أحمد هاشم البدرشيني - اثر الاوقاف على الحياة الدينية والاجتماعية في مكة والمدينة في العهد المملوكي - مجلة مركز بحوث دراسات المدينة - العدد ١٣ - ١٤٢٦هـ - ص ٥٢.
- (٥٨) راشد سعد رشاد القحطاني - مرجع سابق، ص ١١٧.
- (٥٩) الفيروز ابادي - مصدر سابق، ج ٣ ص ١٢٣٩.
- (٦٠) راشد سعد راشد القحطاني - مرجع سابق ص ١١٨
- (٦١) د. أحمد هاشم البدرشيني - مرجع سابق ص ٥٣-٥٥
- (٦٢) راشد سعد راشد: المرجع السابق ص ١١٩
- (٦٣) الشوكاني محمد - ج ١ - ص ١٥٩-١٦٠.
- (٦٤) السخاوي - الضوء اللامع، ج ٨ - ص ٦٧.
- (٦٥) راشد سعد راشد القحطاني - مرجع سابق، ص ١١٨.
- (٦٦) محمد هزاع الشهري - المسجد النبوي في العصر العثماني، دراسة معمارية، مكتبة دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٣٧٨
- (٦٧) الأغا - كلمة تركية، من المصدر أغمق، ومعناه الكبر وتقدم السن، وقيل إنها من الفارسية "أفا" وجرى العرب على إضافة تاء إليها إذا وقعت مضافاً، وتطلق على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة، وعلى الخادم الخصي الذي يؤذن له بدخول غرف النساء. راجع، د/ أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨، ص ١٧. / محمد احمد دهمان - معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي - بيروت - دار الفكر ١٤٢٠هـ - ص ١٨٠
- (٦٨) إبراهيم رفعت باشا - مرآة الحرمين • دار الكتب - القاهرة، ١٩٢٥ - ص ٤٦٠.
- (٦٩) محمد هزاع الشهري - المسجد النبوي في العصر العثماني - ص ٣٧٨ •

- (٧٠) الطواشي - كلمة تطلق على العبد ألخصي، وجمعها طواشية، ولها عدة معان فكلمة طواش بفتح الطاء وتشديدها معناها تجارة اللؤلؤ، وجمعها طواويش و طواشون، والطواشية معناها تجار اللؤلؤ. ففي لسان العرب الطوش: خفة العقل. وفي ترتيب القاموس طوش مظل غريمه. راجع سيف مرزوق الشمالان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت و الخليج العربي، الكويت، ١٩٧٥، ج١، ص ٢٨٢ - محمد احمد دهمان - مرجع سابق ص ١٣٥ - ابن منظور جمال الدين - لسان العرب، ج ٢ دار صادر - بيروت - ١٩٦٧م ص ١٠٩ - الفيروز أبادي محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج ٣ - دار المامون - القاهرة - ١٩٣٨م، ص ١٠٨
- (٧١) سليمان عبد الغنى مالكي وآخرون - الأغوات دراسة لأغوات المسجد الحرام والمسجد النبوي،، مركز أبحاث الحج، جدة، د ٠ ت، ص ٢٣ ٠
- (٧٢) محمد بن أحمد بن أياس الحنفي - بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج ١، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٤هـ، ص ٥٨
- (٧٣) أبي محمد عبدالله بن فرحون - تاريخ المدينة المنورة المسمى. نصيحة المشاور وتعزية المجاور. تعليق حسين شكرى. بيروت. دار الأرقم، ص ٢٣٩.
- (٧٤) راشد سعد راشد القحطاني، ص ١٢٢
- (٧٥) د. أحمد هاشم البدرشيني - أثر الأوقاف على الحياة الدينية والاجتماعية فى مكة والمدينة فى العهد المملوكي. مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة. العدد الثالث عشر. ربيع الثانى. جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ - ص ٥٣-٥٤
- (٧٦) رحلة ابن بطوطة - مصدر سابق، ص ١٢١
- (٧٧) السخاوى - التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٥٢
- (٧٨) ابن فرحون - مصدر سابق، ص ٥٦

- (٧٩) السخاوى - التحفة اللطيفة، ج٢ - ص ٣٥٢، ٣٦١
- (٨٠) السخاوى - التحفة اللطيفة، ج٢ - ص ٣٧٢، ٣٩٠، ٤٠٣
- (٨١) ابن فرحون - مصدر سابق، ص ٤٨-٤٩
- (٨٢) السخاوى - التحفة اللطيفة، ج١ - ص ٢٢٢
- (٨٣) ابن فرحون - مصدر سابق، ص ٤١-٤٢
- (٨٤) السخاوى - التحفة اللطيفة، ج١ - ص ٤٦٠، ٣٤٧
- (٨٥) ابن فرحون - مصدر سابق - ص ٥٢-٥٧
- (٨٦) الفيروز ابادى، مصدر سابق، ص ١٢٧٣، ١٢٠٧
- (٨٧) ابن فرحون - مصدر سابق - ص ١٨٥-١٨٦
- (٨٨) السخاوى - التحفة اللطيفة، ج١ - ص ٢٠٣-٢٠٧
- (٨٩) الفيروز ابادى - مصدر سابق - ج٣ - ص ١٢٢٧
- (٩٠) ابن فرحون - مصدر سابق - ص ٣٧
- (٩١) الفيروز ابادى - مصدر سابق ج٣ - ص ١٢١٦، ١٢٢١
- (٩٢) العسقلانى - الدرر الكامنة، ج٢، ص ١٠٣
- (٩٣) الفيروز ابادى - مصدر سابق ج٣ - ص ١٢٧٦، ١٢٨٤
- (٩٤) السخاوى - الضوء اللامع، ج١، ص ١٦-٢٦٤
- (٩٥) ابن فرحون - مصدر سابق - ص ٣٨
- (٩٦) السمهودى - ذروة الوفا، ج٢، ص ٤٧٤.
- (٩٧) ابن فرحون - المصدر السابق، ص ١٩٩

- (٩٨) نور الدين على السمهودي - ذروة الوفا بما يجب لحضرة المصطفى، تحقيق د. عبدالرازق عبدالرازق عيسى - المدينة المنورة - مكتبة الثقافة، القاهرة - ط ١ - ٢٠٠٨ م - ص ٢٥١
- (٩٩) السمهودي - وفاء الوفا، ج ٢ - ص ٣٥١.
- (١٠٠) السمهودي - المصدر السابق، ج ٣ - ص ٢٥.
- (١٠١) الفيروز ابادى - مصدر سابق - ج ٣ - ص ١٢٩٦.
- (١٠٢) السخاوى - الضوء اللامع، ج ٣ - ص ١٥٩.
- (١٠٣) ابن فرحون - مصدر سابق - ص ٤٥.
- (١٠٤) السخاوى - الضوء اللامع، ج ٢ - ص ١٢٢.
- (١٠٥) ابن فرحون - مصدر سابق، ص ٢١.
- (١٠٦) راشد سعد راشد القحطاني - مرجع سابق، ص ١٢٢.
- (١٠٧) السخاوى - التحفة اللطيفة، ص ٢٩٥.
- (١٠٨) ابن فرحون - المصدر السابق، ص ١٨٢.
- (١٠٩) السخاوى - التحفة اللطيفة، ج ١ - ص ١٢٥ - ١٥٥ - ٤٢٦ - ٤٤٦.
- (١١٠) السخاوى - المصدر السابق، ج ٢ - ص ١٠٤.
- (١١١) راشد سعد راشد القحطاني - مرجع سابق، ص ١٢٢.
- (١١٢) راشد سعد راشد القحطاني - مرجع سابق، ص ١٢٣.
- (١١٣) محي الدين عبدالظاهر - الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر عبدالعزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٦ هـ - ص ٢٠٠.
- (١١٤) راشد سعد راشد - المرجع السابق، ص ١٢٣.
- (١١٥) السخاوى - التحفة اللطيفة - ج ١ - ص ١١٥، ١١٨، ١٢٣، ١٣٥، ١٦٣، ١٩٤

- (١١٦) السخاوي: - ل ضوء اللامع، ج٣ ص ١٤٧، ١٤٦، ٢٦٦، ٢٠٠
- (١١٧) ابن فرحون - مصدر سابق - ص ١٨٠-١٨٢ / السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢ - ص ١٠٤، ١٧٠، ١٩٥، ٣٠٩، ٣٠١، ٢٨٩، ٢٢٤
- (١١٨) السخاوي - التحفة اللطيفة، ج١ - ص ٣٨٩.
- (١١٩) السخاوي - الضوء اللامع، ج٤ - ص ٩.
- (١٢٠) السخاوي - المصدر السابق - ج٧ - ص ٢٦٣.
- (١٢١) السخاوي - التحفة اللطيفة - ج٢ - ص ٣٠٢.
- (١٢٢) الفيروز ابادي - مصدر سابق، ج٣ - ص ١٢٨٣.
- (١٢٣) العسقلاني - الدرر الكامنة، ج٤ - ص ٢٣٦.
- (١٢٤) السخاوي - الضوء اللامع، ج٧ - ص ٨٢.
- (١٢٥) جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغرى بردى - النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ج٧ - ص ١٤٦.
- (١٢٦) السخاوي - التحفة اللطيفة، ج٢ - ص ٤٠٣.
- (١٢٧) المقرئى - السلوك، ق٢ ج١ - ص ٥٨٠.
- (١٢٨) الفيروز ابادي - مصدر سابق، ج٣ - ص ١٣٠٩.
- (١٢٩) السمهودى - وفاء الوفا، ص ٣٥٧.
- (١٣٠) ابن فرحون - مصدر سابق، ص ١٨٧.
- (١٣١) الفيروز ابادي - مصدر سابق، ج٣ - ص ١٢١٩.
- (١٣٢) د. محمد محمد أمين - الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ١٢٥٠ - ١٥١٧. دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية القاهرة، د. ت - ص ٦٢-١٠٥.

- (١٣٣) نور الدين على السمهودي - ذروة الوفا، ص ٢١٩.
- (١٣٤) الفيروز ابادى - مصدر سابق - ج ٣ - ص ١٢٩١.
- (١٣٥) ابن فرحون - مصدر سابق، ص ٢٠٥.
- (١٣٦) الفيروز ابادى - مصدر سابق، ج ٣ - ص ١٢٢٧-١٢٢٨.
- (١٣٧) السخاوى - التحفة اللطيفة، ج ٢ - ص ٤٥٣.
- (١٣٨) الفيروز ابادى - المصدر السابق، ج ٣ - ص ١٢٩٦.
- (١٣٩) السخاوى - التحفة اللطيفة - ج ٢ - ص ١٦٢؟.
- (١٤٠) العسقلانى - الدرر، ج ١ - ص ٣١٥٦.
- (١٤١) السخاوى - التحفة اللطيفة، ج ١ - ص ٤٥٨.
- (١٤٢) الفيروز ابادى - مصدر سابق، ج ٣ - ص ١١٩٨.
- (١٤٣) السخاوى - التحفة اللطيفة، ج ١ - ص ٢٩١.
- (١٤٤) الفيروز ابادى - المصدر السابق، ج ٣ - ص ١٢٩٥-١٢٩٦.
- (١٤٥) العسقلانى - مصدر السابق، ج ٢ - ص ٢٨٣.
- (١٤٦) السخاوى - التحفة اللطيفة، ج ١ - ص ٤٦٠.
- (١٤٧) ابن فرحون - مصدر سابق - ص ١٤٥، ١٧٠.
- (١٤٨) السخاوى - الضوء اللامع، ج ٩ - ص ٩٢.
- (١٤٩) الفيروز ابادى - مصدر سابق - ج ٣ - ص ١٢٨٩.
- (١٥٠) السخاوى - الضوء اللامع - ج ٤ - ص ٦٨-٦٩.
- (١٥١) السخاوى - التحفة اللطيفة، ج ٢ - ص ٧٥.
- (١٥٢) العسقلانى - الدرر، ج ٢ - ص ١٠٣.

-
- (١٥٣) السخاوى- الضوء اللامع -، ج٦ - ص ٨٥، ٩٨، ١٨١
- (١٥٤) الفيروز ابادى- مصدر سابق - ج٣ - ص ١٢٠١ - ١٢٠٣ / السخاوى: التحفة اللطيفة - مصر سابق - ج١ - ص ٦١
- (١٥٥) السخاوى- الضوء اللامع - المجلد الأول - الجزء الثانى - ص ١٧٧
- (١٥٦) العسقلانى الدرر- مصدر سابق - ج٢ - ص ٢٠٨ / السخاوى: التحفة اللطيفة، ج٢ - ص ٣٥٧ - ٣٥٨.
- (١٥٧) السخاوى- الضوء اللامع -، ج٧ - ص ٨٤ - ٨٦.

المصادر والمراجع

- (١) ابن بطوطة - محمد بن عبدالله: رحلة ابن بطوطة. دار النفائس بيروت ط ١
١٩٩٧م.
- (٢) ابن تغرى بردى - جمال الدين ابى المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة فى ملوك
مصر القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،
القاهرة، ج٧.
- (٣) ابن حجر العسقلانى - شهاب الدين أحمد: الدرر الكامنة فى أعيان المائة
الثامنة. دائرة المعارف يجيدر اباد، ١٣٤٩هـ.
- (٤) ابن العماد الحنبلى - ابى الفلاح عبدالحى: شذرات الذهب فى أخبار من
ذهب، ج٧- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- ١٤١١هـ.
- (٥) ابن فرحون - أبى محمد عبدالله: تاريخ المدينة المنورة المسمى. نصيحة المشاور
وتعزية المجاور. تعليق حسين شكرى. دار الأرقم. بيروت - ١٩٨٦.
- (٦) ابن منظور جمال الدين - لسان العرب، ج ٢ دار صادر - ١٩٦٧م
- (٧) ابن النجار - محمد بن محمود: الدرر الكامنة فى تاريخ المدينة - تحقيق صالح
جمال - مكة - مكتبة الثقافة.
- (٨) ابى الفضل شهاب الدين - أحمد بن على بن حجر العسقلانى: ذيل الدرر
الكامنة. تحقيق د/ عدنان درويش. القاهرة معهد المخطوطات العربية،
١٤١٢هـ.
- (٩) أياس الحنفى - محمد بن أحمد بن: بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج ١،
تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٤هـ.
- (١٠) باشا - إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين. دار الكتب - القاهرة، ١٩٢٥

- (١١) بدر - عبدالباسط عبدالرازق: الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العهد المملوكي. مجلة مركز بحوث المدينة المنورة العدد الخامس ربيع الثاني.
- (١٢) البدرشيني - أحمد هاشم: أثر الأوقاف على الحياة الدينية والاجتماعية في مكة والمدينة في العهد المملوكي. مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة. العدد الثالث عشر. ربيع الثاني. جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ.
- (١٣) الحافظ شمس الدين الذهبي: العبر في خبر من غير - ج٤ - تحقيق ابو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٨م.
- (١٤) دهمان - محمد احمد - معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي - بيروت - دار الفكر ١٤٢٠هـ
- (١٥) السخاوى - شمس الدين محمد بن عبدالرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع تحقيق عبداللطيف حسن عبدالرحمن. منشورات دار الكتب بيروت لبنان ٢٠٠٣م
- (١٦) _____: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١ - القاهرة - دار المعارف.
- (١٧) سليمان - أحمد السعيد: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨.
- (١٨) السمهودى - نور الدين على: ذروة الوفا بما يجب لحضرة المصطفى - تحقيق عبدالرازق عبدالرازق عيسي المدينة المنورة مكتبة الثقافة، القاهرة ط ٢٠٠٨ م.
- (١٩) الشمالان - سيف مرزوق: تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت و الخليج العربي، الكويت، ١٩٧٥

- (٢٠) الشوكاني - محمد بن علي: البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة، القاهرة- ١٣٤٨هـ.
- (٢١) عبدالظاهر - محي الدين: الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر عبدالعزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م.
- (٢٢) الفيروز ابادى - مجد الدين محمد بن يعقوب: المغائم المطابة فى معالم طابة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ.
- (٢٣) _____، القاموس المحيط، ج ٣ القاهرة - دار المامون - ١٩٣٨ م
- (٢٤) القحطاني - راشد سعد راشد: أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين الشريفين. مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ١٤١٤هـ.
- (٢٥) مالكي - سليمان عبد الغنى وآخرون: الأغوات دراسة لأغوات المسجد الحرام والمسجد النبوي، مركز أبحاث الحج، جدة، د ٠ ت
- (٢٦) المديرس - عبد الرحمن: المدينة المنورة فى العصر المملوكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض. (٢٠٠١).
- (٢٧) المرجاني - محمد بن عبد الملك: تاريخ المدينة - القاهرة - دار الكتاب ١٤١٧هـ.
- (٢٨) المقرئى - تقى الدين أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ق ١ ج ٤ - تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور مطبعة دار الكتب - القاهرة - ١٩٧٢ م.
- (٢٩) محمد - محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ١٢٥٠ - ١٥١٧. دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية القاهرة، د. ت.
- (٣٠) محمد هزاع الشهري: المسجد النبوي فى العصر العثماني، دراسة معمارية، مكتبة دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٤.

الاهتمام بالبيئة في عهد رسول الله ﷺ
"العهد المدني دراسة تحليلية"

إعداد

د. نورة بنت أحمد بن حامد الحارثي

أستاذ مساعد تخصص

تاريخ إسلامي ووكيلة كلية الآداب والإدارة

جامعة الملك خالد - فرع بيشة

الاهتمام بالبيئة في عهد رسول الله ﷺ

"العهد المدني دراسة تحليلية"

إعداد

د. نورة بنت أحمد بن حامد الحارثي

ملخص:

احتلت مسألة البيئة مكانة بالغة الأهمية في الإسلام، وقد أبرزت السيرة النبوية هذا الاهتمام من خلال السلوك العملي المقرون بالتشريع قولاً وفعلاً وتقريراً، وكانت بيئة المدينة في العهد النبوي أنموذجاً لتلاقي عمارة الأرض وحسن الاستخلاف فيها، فالبيئة من صميم التشريع وأساس من أسس الأحكام الإسلامية، وقد قام هذا البحث على تتبع أساسيات البيئة وفق المنهج الإسلامي وتلمس مؤشرات تطبيقه في حرم الرسول ﷺ. كما سعى هذا البحث إلى تحقيق هدف تكريس منهج السيرة النبوية في التعامل مع البيئة، وعلى التأكيد على زيادة الإسلام في ضرورة المحافظة على البيئة وعمارتها، وعلى نشر الوعي البيئي بين الناس، وبناء علاقة الرفق بمقدرات المحيط البيئي.

والتزم هذا البحث بالمحددات الزمنية والمكانية والموضوعية ومحدد المصادر الرئيسة التي تستند إلى الأحاديث النبوية الشريفة وكتب السنن، ولقد اجتهدنا في هذا البحث في الإجابة على رقي النموذج النبوي التطبيقي في التأسيس لمسألة التعامل مع البيئة في العهد النبوي المدني.

Summary:

The issue of the environment status received an important place in Islam. The biography of the Prophet highlighted this concern through the practical behavior coupled with legislation in word and deed and a report.

The natural environment of the Prophet's Era in Madinah was a model for the convergence of building land and the good succession

The environment is in the heart of the legislation and the basis of the foundations of Islamic law, this research has to keep track of the basics of the environment according to the Islamic approach and touch the indicators applied in the campus of the Prophet peace be upon him.

This research has sought to achieve the goal of devoting curriculum Biography of the Prophet in dealing with the environment, and to emphasize the leadership of Islam in the need to preserve the environment and architecture, and to spread environmental awareness among the people, and build a relationship of kindness the destiny of the ecosystem.

المقدمة

قضايا البيئة^(١) في الإسلام قضايا إنسانية تتعلق بالحياة البشرية والحياة الطبيعية، والرؤية الشمولية الواعية للكون، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ* وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾^(٢)، والبيئة من صميم التشريع الإسلامي وأساس الأحكام^(٣)، فالأمن البيئي في الإسلام مكفول بضمان قواعد الإسلام التي تلزم الإنسان حفظ تنوعها الحيوي ونموها والانتفاع بها دون تخريب وإفساد، قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤).

وتتأصل في الإسلام مسألة الحركية وهي "حركة ذات مراحل، كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية، فهو- أي الإسلام- لا يقابل الواقع

(١) **البيئة**: الدراسات البيئية هي إحدى فروع علم الأحياء، إذ تبحث في الكائنات الحية ومواطنها البيئية، ومصطلح علم البيئة Ecology يتكون من مقطعين يونانيين هما Oikos وتعني: مكان المعيشة، و Logus وتعني دراسة بمعنى أنه علم دراسة أماكن معيشة الكائنات الحية. أما مصطلح البيئة Environment فهو أشمل من مصطلح الايكولوجي لأنه يضم مجموعة من المنظومات الطبيعية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية التي تتفاعل مع بعضها البعض، وتعيش فيها الكائنات وتمارس فيها نشاطها وتستمد منها مقومات حياتها. ولمزيد من المعلومات انظر: حاتوغ: علماء، أبو دية: محمد: علم البيئة، (عمان: دار الشروق، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)، ص: ٩؛ عودات: سناء: الجغرافيا البيئية، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م)، ص: ١٥.

(٢) سورة: ق: الآية: ٦-٧.

(٣) ياسين: عبد الله المنزلاوي: البيئة من منظور إسلامي، (جدة: مكتبة تهامة، ١٤٢٨ هجري - ٢٠٠٨م)، ص: ١٥؛ الحمودي: فهد: حماية البيئة والموارد الطبيعية في السنة النبوية، (الرياض: كنوز إشبيلية،

١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، ص: ٦.

(٤) سورة: محمد: الآية: ٢٢.

بنظريات مجردة^(٥). وهذا ما أصلته السيرة النبوية قولاً وفعلاً محفزة لعمارة البيئة توجيهاً وتطبيقاً، وقد شرّعت السيرة النبوية قواعد وأسس لهذه الغاية، فكانت مناسبة بناء المسجد النبوي أكبر مثال حي لعمارة البيئة عند المسلمين^(٦)، فالإنسان الذي كرمه الله بالاستخلاف في الأرض هو أحد مكوني البيئة الأساسيين، وهو المكلف استخلافاً في الأرض، وهذا التكليف الرباني يستوجب عليه فرضاً العناية بالمحيط الطبيعي وعناصره من ماء وهواء وتربة وكائنات حية، وهو في هذا الاستخلاف معني بالنشاط البشري الذي يتأثر بالبيئة ويؤثر بها. والمسلم معني بالنظام البيئي بحكم الأمر الرباني في عمارة الأرض وذلك من خلال ترك المكون الحيوي للكائنات الحية يسير وفق العلاقات التي تشكل دورة الحياة، وكذلك العناية بالمكون الطبيعي المادي الذي يضمن عدم هدره وتدميره ومن ثم الإخلال بقوانين الفيزياء والكيمياء الحيوية.

جاءت السنة النبوية بقاعدة عامة تحكم أسلوب التعاطي بين البشر، والتعامل مع المحيط البيئي الذي يعيشون عليه، وتقوم هذه القاعدة على عدم الإضرار بالناس وبالبيئة من حولنا، وذلك يتمثل في قول رسول الله ﷺ: "لا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ"^(٧). وهذا التوجيه النبوي لا يخاطب فئة معينة من الناس بل هو واجب تشاركي، سواء في

(٥) الغضبان: محمد منير: المنهج الحركي للسيرة النبوية، ط٦، (الأردن: الزرقاء، مكتبة المنار، ١٤١٠ هجري - ١٩٩٠م)، ص: ٨.

(٦) وزير: يحيى: العمارة الإسلامية والبيئة، ط١، (الكويت: مطابع السياسة، ١٤٢٥ هجري - ٢٠٠٤م)، ص: ٤٢.

(٧) ابن ماجه: محمد: سنن ابن ماجه، إشراف ومراجعة: صالح آل الشيخ، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، (الرياض: دار السلام، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ص: ٣٣٥. رقم الحديث ٢٣٤٠؛ مالك: ابن أنس: الموطأ، تحقيق: محمد عبد الباقي، ط٢، كتاب الأفضية، باب القضاء في المرفق، (القاهرة: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، ص: ٥٥٥. رقم الحديث ١٣.

المحافظة على البيئة أو في استغلال مواردها إذ يقول أيضا رسولنا الكريم ﷺ: "المسلمون شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار"^(١). ووفق هذا الإطار العام الذي يحدد مشكلة الدراسة فإن هذا البحث يسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

أولاً: تكريس منهج السيرة النبوية في التعامل مع البيئة ليحل بديلاً للمنهج النفعي الغربي الذي يستنزف مقدرات البيئة ويخل بتكاملية عناصرها.

ثانياً: التأكيد على ريادة الإسلام في ضرورة المحافظة على البيئة وعمارتها.

ثالثاً: نشر الوعي البيئي بين الناس، وبناء علاقة الرفق بمقدرات المحيط البيئي، وهذا منطلق شرعي لدى المسلمين، وضرورة حياتية تضمن الحياة السليمة والكرامة.

رابعاً: التربية البيئية الإسلامية مصدر إلهام واعتزاز ينبغي تعظيمه قيماً إنسانية وسلوكاً تطبيقياً.

وتجدر الإشارة إلى أننا نعي أن موضوع البيئة متشعب وذو أطروحات تتعلق بمناحي الحياة كافة، وبذلك فإن الباحثة تلزم نفسها في هذه الدراسة بمحددات أربعة هي:

المحدد الأول: الإطار الزمني وهو العهد النبوي المدني، ويتمثل في العشر سنوات الأولى من مرحلة التأسيس والبناء للدولة الإسلامية.

المحدد الثاني: الإطار المكاني وهو المدينة المنورة ونواحيها.

المحدد الثالث: السلوك الذي كرسه السيرة النبوية في التعامل مع البيئة الطبيعية.

المحدد الرابع: المصادر الرئيسة التي تستند إلى الأحاديث النبوية الشريفة، وكتب السنن ومن ثم مراجع ذات صلة وثيقة بموضوع التربية البيئية في الإسلام.

(١) ابن حنبل: أحمد: مسند الإمام أحمد، حققه، وضبط نصه: أيمن الزامل، وأحمد عيد، ج٧، (بيروت: عالم الكتب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ص: ٦٥٢. رقم الحديث ٢٣٤٧١.

هذا، وقد أسعفتنا سيرة الرسول ﷺ بتوفير الأحاديث والمرويات والسنن في إثراء الموضوع كونها المصدر الرئيسي في هذه الدراسة، ومن نافلة القول أن نتكئ على المصدر الأساسي الأول وهو القرآن الكريم في المسائل الجوهرية التي تشرع لهذا الموضوع. أما المصادر الأخرى مثل كتب الإخباريين والجغرافيين وكتب السيرة إذ كانت عوناً لأضواء جوانب عدة خدمت البحث. وقد برز في هذا الموضوع كتب مهمة ولكنها قليلة مقارنة بأهمية الموضوع وجلاله وخطورته في وقتنا الحاضر الذي تتعرض فيه البيئة لهجمة نفعية شرسة تدمر مقدراتها.

ولعل أسباباً عدة تدفعنا إلى تبني فكرة هذا البحث غير أن ثلاثة أسباب تلح أكثر من غيرها في وجوب الالتفات إلى هذا؛ إذ تتعرض البيئة الطبيعية في عصرنا الحاضر إلى التشويه وتدمير تنوعها الحيوي، والتلوث جراء التسابق المحموم بين الدول الصناعية والشركات الكبرى على استغلال مقدرات البيئة. بينما يطرح الإسلام رؤية تقوم على التوازن في الحفاظ على البيئة وعمارة الأرض والرفق بمقدراتها، وكان العهد النبوي نموذجاً مشرقاً ينبغي الاقتداء به حفاظاً على أمانة الاستخلاف في الأرض، قال الله تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٢). وفوق هذا فإننا في هذا العصر نحتاج إلى العودة إلى مصادرنا الإسلامية الأساسية في بناء أنساق الحياة المختلفة، ومن بينها بناء مناهجنا الدراسية في المراحل الدراسية الأساسية والعلوية على أساس التربية البيئية الإسلامية، وأن يشكل ذلك مصدر فخر واعتزاز للأجيال القادمة. وإن كان ثمة أسئلة تقدم مشكلة البحث، فعيننا فيما يأتي من متون وحواشي بالإجابة على الأسئلة التالية: هل عنيت السيرة النبوية بالبيئة؟ ما هو مفهوم البيئة

(٢) سورة: الأنعام الآية: ٣٨.

الاهتمام بالبيئة في عهد رسول الله ﷺ العهد المدني دراسة تحليلية 'د. نورة بنت أحمد الخارثي ٢٥٣

وفق المنظور الإسلامي؟ وهل ثمة تربية بيئية إسلامية؟ وسؤال المحور الثاني الأهم في هذا البحث: كيف كان النموذج النبوي التطبيقي في التأسيس لمسألة التعامل مع البيئة في العهد النبوي المدني؟

ماهية البيئة

مفهوم البيئة لغة:

تناول القرآن الكريم موضوع البيئة في مئات من الآيات الكريمة، والبيئة في معاجم اللغة العربية الحلول في المكان والنزول فيه فهي المستقر والمنزل، والموضع الذي يرجع إليه الإنسان فيتخذ فيه منزله وعيشه^(١). وقد جاء في القرآن الكريم مشتقات الجذر بواً بمعنى اتخذ منزلاً وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءْ لِقَوْمِكَ مِمَّا بَمِصْرَ بَيْوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وبمعنى أسكن في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾^(٤)، والبيئة وفق هذا هي المنزل، والموطن والمستقر.

(١) الفراهيدي: الخليل: كتاب العين، طبعة جديدة فنية منقحة، ط٢، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)، ص: ٩٢-٩٣؛ ابن منظور: محمد: لسان العرب، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه: عامر حيدر، راجعه: عبد المنعم إبراهيم، م١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)؛ ص: ٤٣-٤٦؛ الفيروز أبادي: محمد: القاموس المحيط، اعتنى^١ به ورتبه وفصله: حسان عبد المنان، (بيروت: بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، ص: ١٧٩.

(٢) سورة: يونس: الآية: ٨٧.

(٣) سورة: العنكبوت: الآية: ٥٨.

(٤) سورة الحشر: الآية: ٩.

مفهوم البيئة اصطلاحاً:

نلاحظ أن مفهوم البيئة في الاصطلاح يعني الوسط المحيط بالإنسان مادي وغير مادي، بشري وغير بشري^(٥)، والوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان، بما يضم من ظواهر طبيعية وبشرية يتأثر بها ويؤثر فيها^(٦)، إنها سلسلة التواصل بين دورات طاقات الحياة في مجال الإنسان الحيوي والمتمثل في الأرض مستقر الإنسان وموطنه^(٧)، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(٨) وأيضاً قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(٩). وقد هياً سبحانه وتعالى مسببات المعاش وأساسيات الحياة في البيئة لتكون بيت الإنسان ومستقره، يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ، وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾^(١٠).

- (٥) الزوكة: محمد خميس: البيئة ومحاور تدهورها وآثارها على صحة الإنسان، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م)، ص: ١٩؛ الحمودي: حماية البيئة والموارد الطبيعية، ص: ١٥-١٦؛ المنزلاوي: البيئة من منظور إسلامي، ص: ١٩.
- (٦) الفقي: محمد عبد القادر الفقي: البيئة: مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث " رؤية إسلامية"، (القاهرة: مكتبة ابن سينا، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص: ٨-١٠؛ مطاوع: إبراهيم عصمت: التربية البيئية في الوطن العربي، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، ص: ٤٣.
- (٧) السلوم: يوسف: البيئة والتنمية، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ص: ١٠؛ المنزلاوي: البيئة من منظور إسلامي، ص: ٢٠، ٢٢.
- (٨) سورة الأعراف: الآية: ١٠.
- (٩) سورة هود: الآية: ٦١.
- (١٠) سورة يس: الآيتان: ٣٣-٣٥.

السلوك البيئي وفق المنهج النبوي:

جاءت النظرة الإسلامية إلى البيئة وضرورة حمايتها والمحافظة عليها وفق سلوك التنمية المستدامة، ووفق محكات الضوابط الأخلاقية والدينية التي تلزم الاستمرارية في الحفاظ على البيئة إلزاما ماديا وعمليا وإلزاما خلقيا روحيا، فالممارسة البيئية وفق هذا دنيا ودين، إتقان الأولى طريق إلى الجنة، ووفق هذا لا يجوز أن يجور المسلم على البيئة، ولا يناددها^(١) بل "يأخذ منها بقدر حاجته وحاجة من يعولهم، بدون إسراف، وبلا إفراط ولا تفريط. كما أنها تُعدّ لونا من ألوان شكر المنعم على ما أنعم به على خلقه، انطلاقا من كون العمل في الأرض نمطا من أنماط الشكر لله"^(٢).

كان الرسول ﷺ رفيقا بالبيئة لصيقا بها، وكانت البيئة مطواعة له وهي التي كانت بإذن ربها، كليمته وحارسته ورهن إشارته، وهي وإن كانت مؤشرات ودلائل إعجاز نبوي فقد أراد الرسول ﷺ أن يُكوّن في تعاطيه مع البيئة قيما واتجاهات لدى المسلمين في التعامل مع البيئة، وفي هذا السياق يرشدنا سيد الخلق ﷺ إلى شيوع الجمال البيئي والروائح الطيبة، وتجميل البيئة بالنباتات العطرية وحتى تهاديها، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "مَنْ عَرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ، فَلَا يَرُدُّهُ؛ فَإِنَّهُ خَفِيفٌ

(١) الفقي: محمد عبد القادر الفقي: ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، (الندوة العلمية الدولية الثالثة للحدوث الشريف حول: القيم الحضارية في السنة النبوية، الأمانة العامة لندوة الحديث، www.nabialrahma.com، ص: ٦.

(٢) الحمودي: حماية البيئة والموارد الطبيعية، ص: ٤١٥؛ الفقي: ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، ص: ٧.

المَحْمِلُ طَيْبُ الرِّيحِ" (٣). فالبيئة أساساً نقية صافية طيبة، قائمة على أساس التوازن (٤)، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (٥).

لقد وجه الرسول ﷺ المسلمين في المدينة إلى ما يعرف بالسلوك والوعي البيئي وإدراك أهمية الحنو على المحيط الطبيعي واحترامه، واعتبار ذلك مطلباً شرعياً وفقهياً دينياً وحالة إنسانية وحضارية، فالمسلم أولى الناس بعمارة محيطه، والمحافظة على بيئته الطبيعية والبشرية. ولم يشأ رسول الله ﷺ أن يترك التوجيه النبوي في ضرورة الحفاظ على المكتسبات البيئية التي حباها الله إياها فقط، بل حتم على المسلم عمارة الأرض، قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (٦)، والعمارة في اللغة نقيض الخراب (٧). كما أكد التوجيه النبوي على الرفق والترشيد في استغلال مواردها وأن يحافظ عليها إرثاً مشتركاً للإنسان على مر الأيام ليتحقق له السكنى الكريمة ويرفع فيها مستوى معيشته.

(٣) مسلم: صحيح مسلم، طبعة ممتازة مقارنة مع عدة طبعات، ومرقمة ترقيماً متسلسلاً مع ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، مع الإشارة إلى مواضع التكرار، كتاب الألفاظ، باب استعمال المسك، (الرياض: دار السلام، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ص: ٩٩٩. رقم الحديث ٥٨٨٣.

(٤) الجميلي: السيد الجميلي: الإسلام والبيئة دراسة علمية إسلامية طيبة، (القاهرة: مركز الكتاب للنشر، ١٤١٧هـ جري-١٩٩٧م)، ص: ١٤؛ مطاوع: التربية البيئية في الوطن العربي، ص: ١١.

(٥) سورة الحجر: الآية: ١٩.

(٦) سورة هود: الآية: ٦١.

(٧) الفراهيدي: العين، ص: ٦٨١؛ الرازي: محمد: مختار الصحاح، ترتيب: محمود خاطر، تحقيق وضبط: حمزة فتح الله، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ص: ٤٥٤؛ الأصفهاني: الحسين بن محمد: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ضبطه وصححه وخرج آياته وشواهد: إبراهيم شمس الدين، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هجري-١٩٩٧م)، ص: ٣٨٨؛ ابن منظور: لسان العرب، م ٤، ص: ٦٩٥.

هكذا تجلت عظمة المنهج النبوي في التعامل مع البيئة بأن جعله مستداما، يحفظ التوازن البيئي وفق مفهوم جماعي واع يرتبط بمصلحة الناس الصحية والمجتمعية والنفعية المباشرة في الحفاظ على كرامته الإنسانية ويضبط ذلك كله الدافع الديني، فالمسلم متعاطف مع محيطه، سواء مع أخيه الإنسان، أو في رفقه بالحيوان، أو في ألفته للمحيط الطبيعي، فالتعاطي مع البيئة في المنهج الإسلامي حالة إيمانية، حيث طالب الإسلام الإنسان بأن يتعامل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها لاستمرارية الوجود الإنساني^(١).

أركان الفلسفة البيئية في الإسلام:

جاء حفاظ المسلم على البيئة انصياعا لأوامر الله عز وجل واقتداء بسنة الرسول ﷺ، وبقصد تحقيق الكرامة الإنسانية وانسجاما مع المقاصد التي فرضها الإسلام في الحفاظ على دين الإنسان ونفسه وعقله ونسله وممتلكاته^(٢)، وبذا فإن تكاملية هذا تتم في تعمير الأرض وحسن استغلالها، وعدم هدر طاقاتها والمحافظة على سلامة الهواء والماء، واحترام بقاء التنوع الحيوي، والإبقاء على صورة الأرض جميلة مصانة ثم الرفق بالبيئة والاعتدال في استخدام موارد البيئة المحيطة دون جور أو إسراف لأن هناك علاقة متبادلة بين الإنسان والبيئة فكل منها يؤثر على الآخر^(٣).

(١) سردار: ضياء الدين سردار: نحو نظرية إسلامية عن البيئة، مجلة المسلم المعاصر، السنة: ١٥، العدد:

٥٩، (١٤١٢ هجري - ١٩٩١ م)، ص: ٧٩؛ الفقي: البيئة مشاكلها وقضاياها، ص: ١٩.

(٢) الشعبي: فيصل: التخطيط الإداري في العهد النبوي المدني، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد

والإدارة، ١٥، العدد: ١، (١٤٢٢ هجري - ٢٠٠١ م)، ص: ٥٩ - ٦٥ - ٩٧.

(٣) مرسي: محمد مرسي محمد: الإسلام والبيئة، (الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٠

هجري - ١٩٩٩ م)، ص: ٧؛ عودات: الجغرافيا البيئية، ص: ٣٩؛ الزوكة: البيئة ومحاور تدهورها، ص:

نشاهد أن الإسلام رفع من شأن المكون البيئي ومنحه أساسا علميا وإداريا ودينيا وجعل قوام أركانه ألوهيا وإنسانيا وحياتيا وكونيا^(٤)، فمن منطلق العبودية لله سبحانه وتعالى تأتي سلوكيات الإنسان ما ظهر منها وما بطن لله سبحانه وابتغاء مرضاته، والمكلف المؤهل وفق هذا الأساس هو الإنسان الذي كرمه الله بوراثة الأرض وعمارته فخلقها من مكوناتها البيئي الطبيعي، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾^(٥)، وسخرها له لتستقيم له الحياة بكل مكوناتها الكونية الطبيعية والمشيدة خدمة لمجالات البيئة الشخصية الجسدية، ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾^(٦)، فالإسلام يحرم على المرء الإضرار بنفسه، والبيئة الاجتماعية التي هي أساس من أسس التعامل الإنساني في الإسلام عميا عن المعتقد واللون والجنس فالمسألة تقوم على مكون أخلاقي إيماني علمي يحفز على العدل والاعتدال والتوازن والاتساق والاستحسان^(٧).

وفي أسس النظرة البيئية النبوية أن الأرض مقدسة وطاهرة يتطهر بها المسلم "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"^(٨)، وفي سنن الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

.١٢

(٤) الفريجات: غالب: مؤشرات وقضايا التربية البيئية، (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ١٤٢٨ هـ/جري،

٢٠٠٨م)، ص: ٣٨؛ الفقي: البيئة، ص: ١٩.

(٥) سورة المؤمنون: الآية: ١٢.

(٦) سورة الأعراف: الآية: ١٠.

(٧) الشرنوبى: محمد: الإنسان والبيئة، ط ٢، (القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م)، ص: ١٩؛

الفريجات: مؤشرات وقضايا التربية البيئية ص: ٣٨-٣٩؛ مطاوع: التربية البيئية في الوطن العربي، ص: ٤٤.

(٨) مسلم: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ص: ٣٢٧. رقم الحديث: ١١٦٣.

قال: قال رسول الله ﷺ: «الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْمَقْبَرَةَ، وَالْحَمَّامُ»^(٢). ففي غياب الماء يكون التيمم، ولأن الطهارة مرتكز أساسي في الدين فإن الإبقاء على الأرض طهورا غير ملوثة يقيم ركنا أساسيا من أركان الإسلام ألا وهو الصلاة، فأجر عظيم يناله من يحافظ على طهارتها، وأي إثم يناله من يعطل على المسلمين طهارتهم! قال تعالى: ﴿وَأَلْوَسْتَهُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقِيَنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(٣).

البيئة وفق أنساقها:

الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يحمل تصورا ثقافيا عن البيئة، وينطلق من خلفيته الثقافية والعقدية والتراثية^(٤). فالتفاعل البيئي يتسم وفق النظرة الوضعية الغربية "بالخواء الروحي والافتقار إلى البعد القيمي والأخلاقي... واعتماد المادية والمصالح الذاتية أساسا في التعامل مع البيئة... مما ولد ما نراه من أزمة البيئة الحالية"^(٥). أما الإسلام فأعطى السلوك الثقافي البيئي أبعادا قيمية وروحية ومادية وجعلها أساسا للتصور الإسلامي للبيئة، وهي نظرة جعلت من البيئة كينونة حية من

(٢) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا

المقبرة والحمام، ص: ١١٣. رقم الحديث: ٣١٧.

(٣) **غَدَقًا**: الغدق بفتح الدال الماء الكثير، ومنه أغدق المطر واغدودق أي كثر قطره، والمعنى: أي فتحنا

عليهم أبواب المعيشة لنختبرهم بالشكر. انظر: الفراهيدي: العين، ص: ٧٠٦؛ الرازي: مختار الصحاح،

ص: ٤٧١؛ المقرئ: احمد: المصباح المنير، طبعة بلونين ميسرة، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٠هـ -

١٩٩٠م)، ص: ١٦٨؛ الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص: ١٢٤٨. سورة الجن: الآية: ١٠.

(٤) صبارني: محمد: البيئة إطارها: ومعناها - سلسلة قضايا بيئية، (الكويت: جمعية حماية البيئة الكويتية،

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ٩-١٠؛ ياسين: البيئة من منظور إسلامي، ص: ٢٤.

(٥) مطاوع: التربية البيئية في الوطن العربي، ٤٤؛ ياسين: البيئة من منظور إسلامي، ص: ٢٦.

حيث التفاعل والحس والنمو ليكون الإنسان مهياً للتوفيق بين مصالحه الخاصة ومصالح مجتمعه^(٦).

نظر الإسلام إلى التعامل مع البيئة وفق سلوك إيماني، يؤجر عليه الفرد إن التزم وقدر، ويعاقب إن خالف وأهمل، فالبيئة خلق يشهد بالربوبية وبالوجود الإلهي وبالصفات الإلهية وبالوحدانية وبقدرة الخالق وحكمته وإبداعه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(٧)، فالتوازن البيئي آية من آيات الله الواعظة للإنسان وهي شاهدة على الإنسان وعلى عمله^(٨)، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة به"^(٩). وقد حث الرسول ﷺ المسلمين من المهاجرين على بناء بيوتهم فوق الأرض التي اقتطعها لهم جوار المسجد النبوي الشريف وهي ذات الأرض التي اقتطع لنفسه عليه الصلاة والسلام فيها أرضاً، ووزع ما تبقى على الأنصار ﷺ وفي هذا اكتمال صورة الالتصاق بالأرض مكاناً للإعمار سكناً ودار عبادة ومكان اجتماع للمسلمين، وهو ما حفز المسلمين على الاحتذاء بسنة النبي ﷺ في مجاورة المسجد النبوي فشكل ذلك مجتمعاً عمرانياً ضخماً^(١٠).

(٦) الشربوني: محمد: الإنسان والبيئة، ط٣، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، ص:

٢٤؛ ياسين: البيئة من منظور إسلامي، ص: ٣٨-٣٩.

(٧) سورة لقمان: الآية: ٢٠.

(٨) الحمودي: حماية البيئة والموارد الطبيعية، ص: ٤١٦؛ ياسين: البيئة من منظور إسلامي، ص: ٤٠-٤٤.

(٩) الطبراني: سليمان: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، ج٥، (الموصل: مكتبة العلوم والحكم،

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ص: ٦١. رقم الحديث: ٤٥٩٦.

(١٠) ابن النجار: الدرر الثمينة في أخبار المدينة، قابل أصوله: وعلق عليه: حسين شكري، (بيروت: دار

علاقة الإنسان بالبيئة:

العلاقة مع البيئة - كما أشرنا- علاقة ثقافية، فلا بد لها من تصور يبني علاقة الإنسان معها وسلوكه إزاءها^(٢) يقوم على الانسجام والألفة والعمران، وقد جاء هذا من خلال روابط أقرها الإسلام تقوم على وحدة الإنسان والبيئة والتي تتمظهر في وحدة الخلق والنشأة والتكوين يقول تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٣) وأيضا وحدة النظام والقانون يقول تعالى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾^(٤)، ووحدة الغاية والوظيفة والولاء ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٥)، ووحدة المصير ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾^(٦) والوجدان والشعور، قال رسول الله ﷺ: "هذا جبل نجبه وحبنا"^(٧).

وفي قوامه الإنسان على البيئة تتجلى مسألة الحفاظ على العوامل الحياتية، فالمسلم لا يحدث خللا ولا تدميرا للتباين النوعي في الكائنات الحية من شجر وطير وحيوان وديدان وطحالب وبكتيريا، بمعنى أن المسلم لا يتدخل في المكوّن الطبيعي

الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت)، ص: ٦٤٣؛ أبو البقاء: محمد: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة القبر الشريف، تحقيق: علاء الأزهري وأيمن الأزهري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ص: ٢٦٧.

(٢) الشربوني: الإنسان والبيئة، ص: ٢٢؛ المنزلاوي: البيئة من منظور إسلامي، ص: ٥٠.

(٣) سورة الزمر: الآية: ٦٢.

(٤) سورة الملك: الآية: ٣.

(٥) سورة الذاريات: الآية: ٥٦.

(٦) سورة الشورى: الآية: ٥٣.

(٧) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أحد جبل نجبه وحبنا، ص: ٨٤١. رقم الحديث:

لهذا التباين سواء بقتل أنواع من المكونات أو بتغليب نوع على آخر عن طريق إدخال أو إزالة بعض الحيوانات^(٨).

يقول الرسول ﷺ: "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون"^(٩)، وهذا تكريم للإنسان: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(١٠)، فسخر الله له كل ما فيها قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ دَلُولًا﴾^(١١)، وقد حثت السنة النبوية على المحافظة على النظم البيئية وذلك بعدم تغيير العوامل الطبيعية المتعلقة بالهواء والماء والتربة واستنزاف الموارد الطبيعية وإفسادها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(١٢). وهذه المسؤولية الجماعية المشتركة تفرض على المسلمين عدم منع بعضهم بعضاً من الاستفادة من مكوناتها الأساسية، فلا يجوز حرمان العطشان أو الجائعة أنعامه للكلاً والماء، قال عليه الصلاة والسلام: "من منع فضل مائه، أو فضل كلئه، منعه الله فضله يوم القيامة"^(١). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "لا يمنع فضل الماء، ولا يمنع نقع البئر"^(٢). وورد عن رسول الله ﷺ أيضاً قوله: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم

(٨) الفريجات: مؤشرات وقضايا التربية البيئية، ص: ١٧؛ مطاوع: التربية البيئية في الوطن العربي، ص: ٤٥.

(٩) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب من ترجى له السلامة من الفتن، ص: ٥٧٦. رقم الحديث: ٤٠٠٠.

(١٠) سورة الإسراء: الآية: ٧٠.

(١١) سورة الملك: الآية: ١٥.

(١٢) سورة الشعراء: الآيتان: ١٥٢-١٥٢.

(١) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص: ٦٣١. رقم الحديث: ٦٦٧٣.

ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الرهون، باب النهي عن بيع الماء، ص: ٣٥٥. رقم الحديث: ٢٤٧٩ (٢)

القيامة ولا ينظر إليهم" ومن هؤلاء الثلاثة "رجل منع فضل مائه، فيقول الله: اليوم أمنعتك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يدك"^(٣).

رشاد عمارة الأرض:

جاء فعل الرسول الكريم ﷺ في عمارة البيئة بما يلي عدم نجس المكان قيمته، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من أحيا أرضا ميتة فله منها - يعني أجزا - وما أكلت العوافي منها فهو له صدقة"^(٤)، وراعى ألا يغيب أصحاب الحق حقهم، وليس أدل على ذلك من تقدير رسول الله ﷺ ثمن الأرض التي بني عليها المسجد النبوي، ونقد اليتيمين من بني النجار ثمنها، فقد أخرج البخاري ومسلم - رحمهما الله - عن أنس رضي الله عنه قال: "أمر رسول الله ﷺ ببناء المسجد، فقال: "يا بني النجار! ثامنوني بمخاطكم هذا؟"، قالوا: لا! والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، ولكنه اشتراه منهما، وكان ليتين من بني النجار وهما سهل وسهيل ابني عمرو بن مالك"^(٥)، وبني عليها رسول الله ﷺ مسجده، فكان أول عمل قام به عند دخوله المدينة هو بناؤه مسجده النبوي الشريف عند مبرك ناقته"^(٦).

(٣) البخاري: محمد: صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب من رأى أن صاحب الحوض والقرية أحق بمائه،

(جدة: دار ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، ص: ٤٧٦. رقم الحديث: ٢٣٦٩.

(٤) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد، م، ٥، ص: ٣٩. رقم الحديث: ١٤٣٢٢؛ الترمذي: محمد: جامع الترمذي،

طبعة مصححة ومترجمة ومرتبطة على حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف، بإشراف ومراجعة: صالح

آل الشيخ، كتاب الأحكام، باب ما ذكر في إحياء أرض الموت، (الرياض: دار السلام، ١٤٢٠هـ -

١٩٩٩م)، ٣٣٥. رقم الحديث ١٣٧٩.

(٥) ابن الأثير: علي: أسد الغابة، ج ٥، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، ٢٠٧ -

٢٠٨ - ٢٠٩.

(٦) البخاري: صحيح البخاري، ج ٣، كتاب الجهاد، ٣٠٢. رقم الحديث ٢٩١٢؛ مسلم: صحيح مسلم،

وكانت أسواق المدينة تقام على أطرافها دفعا للجلبة والضوضاء وحفاظا على النظافة من فضلات السوق، وقد قال رسول الله ﷺ في هذا السياق: "إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا - أراه قال - أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود"^(٧)، ومثله ما رُوي عن سعد ﷺ: قال رسول الله ﷺ: "طهروا أفنيتكم فإن اليهود لا تطهر أفنيتها"^(٨). وقد جعل الرسول ﷺ للمسلمين سوقا مستقلة في المدينة في موضع يقال له مهزور^(١). فقال عليه الصلاة والسلام: "هذا سوقكم فلا ينتقصن ولا يضربن عليه خراج"^(٢).

ومن التوجيهات التي انتهجتها السنة النبوية أن الأرض التي يراد عمارتها، يجب أن تستصلح بما يتناسب مع طبيعة الاستصلاح، فعند عمارة المسجد النبوي نقلت

ج ٢، باب الزكاة، ٦٨٣. رقم الحديث ٦٨٢؛ مؤلف مجهول: مخطوطة: فضائل ومعالم مكة والمدينة وفي النسب الشريف وما يتعلق بالحج وغير ذلك، مكتبة الحرم المكي، رقم المخطوط: ١٩٤، ص: ٧٩؛ ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، ص: ٢٦٦؛ ابن النجار: الدرر الثمينة في أخبار المدينة، ص: ٨٦.

(٧) الترمذي: محمد: سنن الترمذي، تحقيق: صدقي العطار، كتاب الأدب عن رسول الله صلى ﷺ، باب ما جاء في النظافة، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)، ص: ٧٩٧. رقم الحديث ٢٨٠٨.

(٨) الطبراني: المعجم الكبير، ج ٤، ص: ٢٥٧. رقم الحديث: ٤٣٢٤.

(١) الحموي، معجم البلدان، م ٤، ج ٨، ٤٠٠؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٢، ٧٤٨.

(٢) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب الأسواق ودخولها ولا يضربن عليه خراج، ص: ٣١٩. رقم الحديث: ٢٢٣٣؛ السمهودي: وفاء الوفاء، م ١، ج ٢، ٧٤٩. والخراج هو: الخراج: هو مقدار محدد من المال، أو المحاصيل الزراعية تُفرض على الأرض التي فتحها المسلمون عنوة، وإذا صالحوا أهلها فإنهم يقومون عليها بخراج معلوم، ومحدد يؤدونه إلى بيت مال المسلمين. انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ٤٣٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ١٤٦؛ الماوردي، الأحكام السلطانية، ٢٦٢؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ٨٥-٨٦.

القبور الموجودة في الموقع إلى مكان آخر، وإن كانت لقبورا للمشركين، والدرس المستفاد الثاني أن سعف النخيل الذي سقف به المسجد النبوي كان من تلك التي اقتلعت من الموقع، فالبيئتين الطبيعية والنباتية كانتا محل نفع للمسلمين عند بناء المسجد.

فعلاوة على نقل القبور واستخدام النخيل الذي قلع، سويت الخرب التي كانت في المكان، وتم تجهيز مواد البناء من المتاح في المحيط، فاللبن الذي استخدم في بناء المداميك^(٣)، وسعف النخل للسقف، وجذوع النخل أعمدة وكلها مما كان متوفرا^(٤)، وهو تصالح مع البيئة ومع ضرورات البناء، حيث سارت الأمور جنبا إلى جنب من حيث الاستصلاح، وتوفير أساسيات عملية البناء، وهي دروس مستفادة من سيرة نبينا الكريم ﷺ في ضرورة احترام البيئة واستغلالها الاستغلال الأمثل^(٥). وحين هم المسلمون في بناء المسجد كان لهم في رسول الله ﷺ أسوة وقدوة حسنة، فقد كان عليه الصلاة والسلام يترك للمسلمين إبداء الأفكار المبتكرة الجديدة في موضوع البناء فعن جابر بن عبد الله ؓ أن امرأة قالت: يا رسول الله ألا تجعل لك شيئا تقعد عليه فإن لي غلاما نجارا قال: "إن شئت". فعملت المنبر، وقد عمل المنبر من ثلاث درجات من خشب طرفاء الغابة^(٦).

(٣) المداميك: جمع ومفردهما: المدمك، وهو الصف من اللبن والحجارة في البناء عند أهل الحجاز وعند أهل العراق ساف، وهو من الدمك أي التوثيق وضبط البناء، يقال: دمكت الشمس في الجو إذا ارتفعت في الجو. انظر: ابن منظور: لسان العرب، م١٠، ٥١٧-٥١٨؛ الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ٥٨٨.

(٤) المرجاني: عبد الله: بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار، دراسة وتحقيق: محمد فضل: م١، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م)، ص: ٤٨٨؛ ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، ٢٦٧.

(٥) وزيري: يجي، العمارة الإسلامية والبيئة، ص: ٤٣.

(٦) صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة؛ وفي رواية للبخاري أن رسول الله ﷺ بعث امرأة أن مري

وفي هذه الحادثة درسان كبيران يستفاد منهما في عمارة البيئة، هو دور المرأة التي تشير على رسول الله ﷺ فيستحسن مشورتها، ودورها الفاعل في مشاركة الرجل في الحالة الابتكارية في جعل منبر لمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام مستخدمين خشب الغابة، وفي هذا استغلال لما هو متاح من البيئة النباتية المحيطة. ولا بأس في أن يجلب المسلمون إلى بيئتهم ما يحسن منها، فهذا هو تميم الداري ﷺ يحضر للمسجد النبوي قناديلا وزيتا لإنارة المسجد^(٧)، فَيَسَّرُ النَّبِيُّ ﷺ بذلك فيقول له: "نورت الإسلام نور الله عليك في الدنيا والآخرة"^(١). وصار المسجد من يومها مركز المدينة، وفي الحفاظ على بيئة المسجد والطرق المؤدية إليها وإلى سواها من مسالك الناس، يقول رسول الله ﷺ: "عَرَضْتُ عَلَيَّ أُمَّتِي بِأَعْمَالِهَا. حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا. فَرَأَيْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَدَى يَنْحَى عَنِ الطَّرِيقِ. وَرَأَيْتُ فِي سَيِّئِ أَعْمَالِهَا النَّخَاعَةَ"^(٢) تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ"^(٣). وفي رواية للبخاري عن أنس بن مالك ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "البزاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها"^(٤).

غلامك النجار يعمل لي أعوادا أجلس عليهن". انظر: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الاستعانة بالنجار والصناع في أعواد المنبر والمسجد، ص: ٩٨. رقم الحديث: ٤٤٨.

(٧) وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة، ص: ٤٣.

(١) وافي: عبد المجيد وافي: المنبر النبوي، مجلة منبر الإسلام، العدد: ٣، السنة: ٢٣، (١٣٩٤ هجري، ١٩٧٤م)، ص: ١٢٠-١٣٢.

(٢) النخاعة: بالضم أي النخامة، أو ما يخرج من الصدر، أو ما يخرج من الخيشوم، وهي البزقة التي تخرج من أصل القم مما يلي النخاع. انظر: الفراهيدي: العين، ٩٤٨؛ الرازي: مختار الصحاح، ٦٥١؛ الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ١٦٩٧.

(٣) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب إمطة الأذى عن الطريق، ص: ٥٢٨. رقم الحديث: ٣٦٨٣.

(٤) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كفارة البزاق في المسجد، ص: ٩١. رقم الحديث:

وتحمل هذه الرواية إشارة كَثْرَةَ وجود الغابات في العهد النبوي في المدينة، بينما أعطت السيرة النبوية في هذه الحادثة رحابة الأفق في التجديد والابتكار في العمارة الإسلامية بما يتوافق مع مقتضيات اختلاف البيئات الجغرافية والطبيعية وظروف كل زمان ومكان مع الاحتفاظ بروح الدين الحنيف وعدم مخالفة الشريعة^(٥).

كانت المدينة المثال الأكثر وضوحاً في العهد النبوي على البيئة العمرانية، حيث تشير المصادر إلى أنها تكونت في نهاية عهد الرسول ﷺ من جزأين أساسيين^(٦) التجمع العمراني الرئيسي ثم الضواحي أو منازل القبائل، وتكونت الكتلة العمرانية الرئيسية من تسعة أحياء سكنية فيما أحاطت بالضواحي المزراع^(٧). وقد وصلت الطرقات الرئيسية والفرعية بين وسط المدينة وضواحيها والأحياء، فقربت المسافات وأشاعت اجتماعياً وإنسانياً فاصبحت أكثر دفئاً، وساعدت على تدفق وانسيابية الأنشطة الاقتصادية، كما عني المسلمون بالشوارع ونظافتها وإزالة ما يعيق حركة الناس فيها، واستحسن الرسول ﷺ فعل المسلمين رصف دروبهم في الليالي الماطرة بالحصى، وقد أشارت سنن ابن ماجه إلى قول نبي الهدى ﷺ "ما أحسن هذا"^(٨) عندما فعل المسلمون

٤١٥؛ ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب إمطة الأذى عن الطريق، ص: ٥٢٨. رقم الحديث: ٣٦٨٣.

(٥) وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة، ص: ٤٤.

(٦) الحريقي: فهد بن نويصر: "دور المسجد في تشكيل النسيج العمراني وتأكيده هوية المدينة الإسلامية المعاصرة، من سجل ندوة عمارة المساجد"، المجلد العاشر، (الرياض: كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، ١٤٢٠ هجري، ١٩٩٩م)، ص: ٢٧: ٣٦.

(٧) وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة، ص: ٤٤.

(٨) أبو داود: سليمان: سنن أبو داود، كتاب الصلاة، باب في حصى المسجد، طبعة مصححة ومترجمة حسب المعجم المفهرس وتحفة الإشراف ومأخوذة من أصح النسخ ومذيلة بفهرس لتراجم الأبواب

ذلك، وبالمقابل فقد أخرج مسلم من حديث أبي برزة قال: "قلت: يا نبي الله! علمني شيئاً أنتفع به". قال: "أعزل الأذى عن طريق المسلمين"^(٩).

وتأتي العناية بالطريق في الحفاظ على البيئة الاجتماعية والطبيعية فيها، فعن رسول الله ﷺ قال: "إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ". فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها. قال: "فَإِنْ أَيْتُمُ إِلَى الْمَجَالِسِ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا". قالوا: وما حقُّ الطريق؟ قال: "غَضُّ الْبَصْرِ، وَكَفُّ الْأَذَى"^(١٠). وفي مسألة كف الأذى ما روي عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "كان على الطريق غصن شجرة يؤذي الناس فأماطها رجل، فأُدْخِلَ الْجَنَّةَ"^(١١).

موقف الإسلام من تلوث الهواء:

سعى الإسلام إلى الإحساس بالبيئة والتفاعل معها، ولأن الرياح مقوم بيئي ومقوم حياتي فقد قال عليه الصلاة والسلام: "الريح من روح الله، قال سلمة: "فروح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها، وسلوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها"^(١٢)، ووعت السنة النبوية ما للرياح من خير وفائدة، وما لها

وأطراف الأحاديث والآثار من قبل طلبة العلم، بإشراف ومراجعة: الشيخ صالح آل الشيخ، (الرياض:

دار السلام، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ص: ٧٧. رقم الحديث: ٤٥٨.

(٩) صحيح مسلم، كتاب الأدب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، ص: ١١٤٣. رقم الحديث: ٦٦٧٣؛

ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب إمطة الأذى عن الطريق، ص: ٥٢٨. رقم

الحديث: ٣٦٨١.

(١٠) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات،

ص: ٤٩٩. رقم الحديث: ٢٤٦٥.

(١١) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد، ٣م، ص: ٧٠٣. رقم الحديث: ١٠٤٣٦.

(١٢) أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح، ص: ٧١٧، رقم الحديث:

من مشكلات بيئية إذا جاءت عاتية أو محملة بالأوبئة، وقد رُبطت هنا بمنحى عقدي إيماني فهي من روح الله على المسلم ألا يسبها وأن يسأل الله خيرها. وفي هذا تطرح السيرة النبوية قضايا الهواء من تلوث وأغبرة قد يتسبب بها الإنسان، ولأن السيرة النبوية هادية للمسلم في أزمانه وأمكنته المختلفة فقد حذرت السنة من تلوث الهواء الناتج عن الصناعات، ووسائل النقل مثلما حذرت من تلوثه من مخلفات وفضلات الإنسان والكائنات الحية التي يمكن أن تسهم في نشر الأوبئة والأمراض.

يقول رسول الله ﷺ: "اتقوا اللعانين"، قالوا: وما اللعانان يا رسول الله! قال: الذي يتخلى^(٤) في طريق الناس أو في ظلهم^(٥). ولأن البيئة المكانية ملك لكل الناس فلا يجوز التعدي عليها ولا الإساءة لها، ولا ينبغي للمؤمن أن يتسبب في نشر الأوبئة فيها وذلك من خلال سلوكيات تضر بالبيئة وتنتشر الأوبئة فيها، كما لا يجوز الخبث في مورد الماء، ولا على قارعة الطريق، ولا في الظل حيث يستظل الناس يقول رسول الله ﷺ: "اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، والظل، وقارعة الطريق"^(٦).

.٥٠٩٧

(٤) يتخلى: الخلاء المكان الذي لا شيء فيه، وهو المتوضأ، ومعنى الحديث: أي يتغوط في موضع يمر به الناس. انظر: مسلم: صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال، حاشية ص: ١٢٧؛ الرازي: مختار الصحاح، ص: ١٨٨؛ الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص: ٥١٥.

(٥) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال، ص: ١٢٧. رقم الحديث: ٦١٨.

(٦) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق، ص: ٥٠. رقم الحديث: ٣٢٨.

المحافظة على الماء:

أما المكون البيئي الرئيسي الثاني فهو الماء، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٧)، وقال أيضا تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ* يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١). ونشاهد بأن هذا المكون ارتبط في أسس العقيدة الإسلامية ففيه الطهارة التي يستقبلها المسلم خمس مرات في اليوم، ولا يجوز لامرئ أن يلوث الماء، يقول رسول الله ﷺ: "إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء الذي لا يجري ثم يغتسل فيه"^(٢). وقد نهى النبي ﷺ عن التبول في الماء ولو كان دائما، يقول رسول الله ﷺ: "لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه"^(٣)، ففي رواية لابن ماجه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يبولن أحدكم في الماء الراكد"^(٤) وهو على أهميته للصلاة ثمين غال في نظر

(٧) سورة الأنبياء: الآية: ٣٠.

(١) سورة النحل: الآيتان: ١٠-١١.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب النهي عن الاستنجاء باليمين، ص: ٤٠. رقم الحديث: ١٥٣؛ وفي رواية لابن ماجه في هذا الشأن أن رسول الله ﷺ قال: "إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا أراد أن يعود فليتح الإناء ثم ليعده، إن كان يريد". سنن ابن ماجه، كتاب الأشربة، باب التنفس في الإناء، ص: ٤٩٤. رقم الحديث: ٣٤٢٧.

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم، ص: ٥٥. رقم الحديث: ٢٣٩؛ مسلم: صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، ص: ١٣٢. رقم الحديث: ٦٥٦.

(٤) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن البول في الماء الراكد، ص: ٥٢. رقم الحديث: ٣٤٤.

رسولنا محمد ﷺ، وقد دعا عليه الصلاة والسلام إلى الاقتصاد في استخدام الماء، وهي نظرة العالم العارف بما في المحيط من شح في المياه، سواء في المواسم المطرية أو في الينابيع والآبار، فقد أخرج ابن ماجه عن ابن عمرو بن العاص أنه عليه الصلاة والسلام مرّاً بسعد، وهو يتوضأ، فقال: "ما هذا السرف؟". فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: "نعم، وإن كنت على نهر جار."^(٥)

وفي هذا يرد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال: "جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، يسأله عن الوضوء؟ فأراه ثلاثاً ثلاثاً. قال: هذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم"^(٦). وفي كلمات الرواية الثلاث الأخيرة زجر شديد للمسلمين عند الإسراف في استخدام الماء، فمن يفعل ذلك فهو مسيء معتد وظالم، حتى وإن جاء هذا الإسراف في مسألة الوضوء والتطهر، وفي هذا هدي نبوي عظيم في الحفاظ على الماء مقوم الحياة والطهارة الأساسي. وقد رغب الرسول ﷺ المسلمين بحفر الآبار في قوله عليه الصلاة والسلام: "سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته، من علم علماً أو كرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس شجرة أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته"^(٧).

(٥) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه، ص: ٦٢. رقم الحديث: ٤٢٥.

(٦) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد، م ٢، ص: ٦٣٣. رقم الحديث: ٦٦٨٤.

(٧) الألباني: محمد بن ناصر: الترغيب والترهيب، ج ٢، ط ٥، (الرياض: مكتبة المعارف، د. ت)، ص: ٣٥٤. رقم الحديث: ص: ٢٦٠٠.

الزراعة في العهد النبوي:

استكره الرسول ﷺ على المسلمين ترك الأرض بوراً غير مستصلحة ولا مستغلة، فقد حث عليه الصلاة والسلام المسلمين على التوجه إلى الزراعة والالتصاق بالأرض، وإحياء الأرض البور، فقال عليه السلام: "من أحيا أرضاً ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق"^(٨)، وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: "من أعمار أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها"^(١). فلقد جاء الاستنبات وزراعة الأرض مكوناً أساسياً من الاستخلاف في الأرض، وحث المصطفى ﷺ المسلمين على الزراعة ووجههم إلى ذلك، وفي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: "ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة"^(٢)، وفي هذا الحديث حث لحوج على الغراس، وتبشير كبير للمسلمين بالأجر والثواب، فقد كرر الحديث كلمة صدقة خمس مرات مؤشراً على عظم الأجر الذي يناله المسلم المزارع الذي يزرع الأرض ليأكل، وهذه دعوة نبوية شريفة إلى الأكل مما يزرع المرء في أرض الله، فله في ذلك الأجر الكبير حتى أن صدقاته تتضاعف وإن ذهب بعض الغرس لوحش البرية أو للطائر وحتى لمن اعتدى على الأرض سارقاً أو محتاجاً، فعلى المسلم ألا يثنيه ثمن عن زراعة الأرض، فكسبه كسبان؛ كسب دنيوي معاشي،

(٨) أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الخراج، باب في إحياء الموات، ص: ٤٥٠. رقم الحديث: ٣٠٧٣. ومعنى العرق الظالم: أي أن يغرس الرجل في أرض غيره فيستحقها بذلك، أي كل ما أخذ واحتقر وغرس بغير حق. انظر: أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الخراج، باب في إحياء الموات، ص: ٤٥١. رقم الحديث: ٣٠٧٨.

(١) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً، ص: ٤٦٩. رقم الحديث: ٢٣٣٥.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، ص: ٦٨٠. رقم الحديث: ٣٩٧٣.

وكسب أخروي يؤجر عليه المسلم في عمارة البيئة واستصلاحها وفي إسهامه في دورة التنوع الحيوي، مما يأكل الحيوان والطيور.

ومن تعظيم الإسلام لهذا الفعل بأن جعله متوارثا بالانتقال إلى غيره حيا أو ميتا، فله في ذلك أجر الصدقة الجارية إلى يوم القيامة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل"^(٣). وفي ضرورة استصلاح الأرض وزراعتها يرد عن أبي النجاشي مولى رافع بن خديج، قال: سمعت رافع بن خديج بن رافع عن عمه ظهير بن رافع، قال ظهير: "لقد نهانا رسول الله ﷺ عن أمر كان بنا رافقا، قلت: ما قال رسول الله ﷺ فهو حق. قال: دعاني رسول الله ﷺ قال: "ما تصنعون بمحافلكم"^(٤)؟". قلت: نؤاجرها على الربيع وعلى الأوسق^(٥) من التمر والشعير. قال: "لا تفعلوا، أزرعوها، أو أزرعوها، أو أمسكوها". قال رافع: قلت سمعا وطاعة"^(٦). والإمسك هنا أولى من التأجير لحكمة كانت في زمانها فقد ترك رسول الله ﷺ خبير لليهود قبل إجلائهم منها ليزرعوا أرضها

(٣) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد، م ٤، ص: ٤٩٣. رقم الحديث: ١٣٠١٢.

(٤) **بمحافلكم**: المحافل: هي المزارع، ومفردها حقل وهو الزرع الذي يزرع إذا تشعب قبل أن يغلط سوقه، وقيل هو الحقل، وهي الأرض التي تزرع وتسميه أهل العراق القراح، والمحقلة: بيع الزرع قبل بدو صلاحه وهو أن يدفع الأرض بالثلث والربع أو اقل أو أكثر. انظر: الفراهيدي: العين، ص: ٢٠٣٠؛ ابن منظور: لسان العرب، م ١١، ص: ١٩٣.

(٥) **الأوسق**: جمع والمفرد الوسق: وهو مكيال معلوم، يعني ستين صاعا بصاع النبي ﷺ فهو خمسة أرطال وثلث، والوسق: حمل بعير، كما يعني أيضا ضم الشيء إلى الشيء. انظر: الفراهيدي: العين، ١٠٤٩؛ ابن منظور: لسان العرب، م ١٠، ص: ٤٥٦؛ الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص: ٤٠٢.

(٦) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضا في الزراعة والتمر، ص: ٤٧٠. رقم الحديث: ٢٣٣٩.

مقابل شطر ما تغله أرض تلك البلدة، وهذا يعني أنه إذا فعل المسلمون ما نهاهم عنه من تأجير الأرض "لا فرق في جواز هذه المعاملة بين المسلمين وأهل الذمة"^(٧)، كما حرم الإسلام على لسان نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام الاعتداء على المزروعات النافعة وحرم اجتثاثها من الأرض بغير الضرورة، ومن ذلك ما رواه أبو داود من أن رسول الله ﷺ قال: "من قطع سدره صوب الله رأسه في النار"^(٨).

يعتبر النهج النبوي في الشأن الزراعي حالة ريادية متقدمة في الفهم البيئي، فلم يكتف عليه الصلاة والسلام بترغيب المسلمين بزراعة الأرض واستصلاحها فقط بل شرّع لذلك، حيث أقام عليه الصلاة والسلام نظام المحميات الطبيعية النباتية والحيوانية، وحى ﷺ موارد الأرض من الاستخدام الجائر للآبار وعيون المياه، وليس أدل على ذلك مما فعله في المدينة، كما هو موضح أدناه، فهذا يعني أن رسول الله ﷺ منع الناس من التعدي على البيئة ودافع عنها متوعداً من اجتاز الحمى أو اعتدى عليه بإثم وعقوبة من الله عز وجل، وحماية البيئة وفق المفهوم الحديث "المحافظة على البيئة من كل ما يفسدها أو يضر بها ويلوثها"^(٩)، وهذا يوجب وضع حراسة ومراقبة على المكان من جهة، وسن التشريعات التي تنظم هذا العمل من رعاية وصيانة، وهي حالة متقدمة في الفهم الإنساني تجاه البيئة.

الرفق بالحيوان:

(٧) العسقلاني: أحمد: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٧ هجري - ١٩٨٧ م)، ص: ١٩.

(١) أبو داود: سنن أبو داود، كتاب الأدب، باب في قطع السدر، ص: ٧٣٥. رقم الحديث: ٥٢٣٩.

(٢) الفقي: ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، ص: ١١؛ الزوكة: البيئة ومحاور تدهورها وآثارها على صحة الإنسان، ١١-١٢.

جعل عليه الصلاة والسلام في المدينة محميات للحيوانات البرية، والتي كانت تستخدم أيضا لحماية حيوانات المسلمين الذين يستأذنون النبي ﷺ في جعل حيواناتهم فيها. وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملاً خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له". قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: "نعم في كل كبد رطبة أجر"^(٣). ودخلت امرأة بالمقابل النار في هرة، قال رسول الله ﷺ: "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت"^(٤). وفي هذا إرشاد نبوي إلى الرفق بالحيوان.

البيئة الطبيعية في المدينة:

تحتضن المدينة من الجنوب جبل عير ووادي العقيق، ومن الشمال جبل أحد ووادي قناة، وهي في سطر الجبال والوديان واحة خصبة يمخرها وادي بطحان، ووادي رانوءاء، وسد وادي الشظاة^(٥). وتقع المدينة وسط الحجاز، حيث ترتفع فوق مستوى

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ص: ١٢٣٨-١٢٣٩. رقم الحديث: ٦٠٠٩.

(٤) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الثاء الحسن، ص: ٦١٩. رقم الحديث: ٤٢٥٦.

(٥) ابن زبالة: أخبار المدينة، جمع وتوثيق ودراسة: صلاح بن سلامة، (المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ص: ٢١٥؛ ابن النجار: الدرر الثمينه، ٥٥-٥٦؛ المرجاني: بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار، ص: ٢٦٣-٢٨٢-٢٨٣؛ الفيروز آبادي: المعجم المطبوع في معالم طابة، تحقيق: حمد الجاسر، (الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٠هـ-١٩٦٩م)، ص: ٤٠-٤٥-١٦٨-٢٦٩.

سطح البحر قرابة مائتي متر، ومناخها رطب بارد محتمل في الشتاء جاف حار شديد الحرارة والسموم في الصيف، ومعتدل لطيف منعش في الخريف والربيع^(٦).

رُوي عن النبي ﷺ حين خرج مهاجرا من مكة إلى المدينة قوله: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد وصححها، وبارك لنا في مداها وصاعها، وانقل حماها فاجعلها في الجحفة"^(١). وهذا تشریف وتعظيم لمكانة المدينة وسكانها. كما قال رسول الله ﷺ: "لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء"^(٢). كما أنه أمر نبوي للناس يكفل لأهل المدينة الإكرام على المدى. كما أن رسول ﷺ دعا للمدينة، وهذا مما يزيد المدينة من الفضل والبركة ما رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال: "اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما بمكة من البركة"، وفي حديث آخر أخرجه أيضا مسلم قوله عليه الصلاة والسلام: "اللهم! بارك لهم في مكياهم، وبارك لهم في صاعهم، وبارك لهم في مدهم"^(٣). وروي عن رسول الله ﷺ فيما جعل الله في تمورها وغبارها من شفاء، فقد قال أيضا نبينا ﷺ في هذا: "أما علمتم أن عجوة المدينة شفاء من السقم، وغبارها شفاء من الجذام"^(٤). وعن أبي هريرة ؓ أنه قال: "كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى

(٦) حافظ: عبد السلام هاشم، المدينة المنورة في التاريخ، دراسة شاملة، ١٤٠٢ هجري - ١٩٨٢م، ص: ٩١؛ حافظ: على: فصول من تاريخ المدينة المنورة، ط٣، (جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، ١٤١٧ هجري - ١٩٩٦م ص: ١٧.

(١) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد، ج ٨، ص: ٦٩. رقم الحديث: ٢٤٧٩٢.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب إثم من كاد أهل المدينة، ص: ٣٧٤. رقم الحديث: ١٨٧٧.

(٣) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، ص: ٥٧٥. رقم الحديثان: ٣٣٢٥ - ٣٣٢٦.

(٤) المرجاني: بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار، ص: ٢٠٨؛ المناوي: محمد: فيض

النبي ﷺ، وإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: "اللهم! بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا، اللهم! إن إبراهيم عليه السلام عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة، ومثله معه". قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر^(٥).

حرم المدينة:

تقع حدود الحرم المدني بين جبلين وحررتين، والجبلان هما أحد وعير، أما الحرتان فهما الوبرة وواقم، وهي مسيجة من أكثر جهاتها بالمزارع والنخيل^(٦). قال أبو هريرة رضي الله عنه: "حرم رسول الله ﷺ ما بين لابتي -أي حرثتها- المدينة. قال أبو هريرة: فلو وجدت الطباء ما بين لابتيها ما ذعرتها. وجعل حول المدينة اثني عشر ميلا حمى^(٧). وقال عليه الصلاة والسلام: "المدينة حرم ما بين عير إلى ثور"^(٨). وعن عدي بن

القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، ج ٤، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ص: ٥٢٦. رقم الحديث ٥٧٥٥.

(٥) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، ص: ٥٧٦. رقم الحديث: ٣٣٣٤.

(٦) ابن زبالة: أخبار المدينة، ص: ٢١١؛ ابن النجار: الدرر الثمينة، ٥١-٥٢-٥٣؛ المرجاني: بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار، م ١، ص: ١٩٤-١٩٥-١٩٦؛ أبو البقاء: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، ص: ٢٣٨-٢٣٩؛ شراب: محمد: المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي، ج ١، (بيروت: دار الشامية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ص: ٤٢-٤٣.

(٧) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد، م ٣، ص: ١٣٦. رقم الحديث: ٧٧٤٠.

(٨) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها، ص: ٥٧٥. رقم الحديث: ٣٣٢٧. وعير هو جبل بناحية المدينة، بينما جبل ثور بمكة. انظر: النووي: محبى الدين: شرح صحيح مسلم، اعتناء وتحقيق: عادل بن سعد، كتاب الحج، باب فضل المدينة، م ٥، ج ١٠، (القاهرة: دار ابن الهيثم، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ص:

زيد قال: "حمى رسول الله ﷺ كل ناحية من المدينة بريدا بريدا"^(٩) لا يخبط شجره، ولا يعضد إلا ما يساق به الجمل"^(١). ومفردتا الحمى والحرم مترادفان هنا مؤكدين على الأهمية في الفعل، وفي هذا رؤية نبوية في أن الإنسان هو السبب في الخلل البيئي أو في حفظ توازنها، وللمدينة في هذا حرمة دينية ودينية في قتل حيوانها واقتلاع شجرها، وهي أيضا محمية تسهم في البقاء على التوازن الطبيعي، وعلى التنوع الحيوي وعلى الاخصاب والتكاثر في النوعين الحيواني والنباتي. ولقد كان رسول الله ﷺ سبّاقا في التوكيد على أن على الإنسان التزامات خُلُقِيَّة نحو الحيوانات والنباتات والمنظومات البيئية أيضا.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "لكل نبي حرم، وحرمي المدينة"^(٢). وروى أيضا كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ حرم ما بين لابتي المدينة أن يصاد وحشها"^(٣). وفي هذا رؤية نبوية عظيمة في ضرورة الحفاظ على الحيوانات البرية وفق منظومة أخلاقية بيئية مصدرها القرآن الكريم والسيرة النبوية فالأرض وما عليها خلق من خلق الله يسبح بحمده تعالى، وهو ذو قيمة وفق هذا المنظور وفي منظور

.٢٦٨

(٩) **البريد**: الرسول المبرد على دواب البريد، والبريد ستة أميال يتم بها فرسخان، فالبريد فرسخان أو اثنا عشر ميلا، وقيل: ما بين كل منزلتين بريد. انظر: الفراهيدي: العين، ص: ٦٥؛ ابن منظور: لسان العرب، م٣، ص: ١٠٤؛ الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص: ١١٧.

(١) أبو داود: سنن أبو داود، كتاب المناسك، باب في تحريم المدينة، ص: ٢٩٥. رقم الحديث: ٢٠٣٦.

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط، ج٤، (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، ص: ٢٣١. رقم الحديث: ٤٠٥٧.

(٣) الطبراني: المعجم الأوسط، ج٦، ص: ٣٥٦. رقم الحديث: ٦٦٠٧.

التوازن البيئي وليس بالضرورة لأنه نافع للبشر، وعليه فالحرمة هنا تطال صيد الوحش أيضا.

وعن عاصم بن سليمان الأحول قال: قلت لأنس بن مالك: "أحرم رسول الله ﷺ المدينة؟ قال: نعم، ما بين كذا إلى كذا. لا يقطع شجرها، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً"^(٤). فمن هذه الأحاديث الشريفة يتضح للعيان أن نبينا محمد ﷺ أراد في هذا الشأن أن ينظم العلاقة بين الإنسان والأرض وما عليها من بشر وحيوان ونباتات، فالأرض التي استخلفه الله عليها ملك له يفعل فيها ما يشاء شريطة عدم الإيذاء للبيئة من حوله، ففي بقائها سليمة فائدة له وفي إيذائها إيذاء لنفسه.

طبيعة المدينة الجغرافية:

في الوصف العام للمدينة فإن من أهم العناصر الطبيعية فيها الحرار، والحرار جمع حرة، والحررة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار. والجمع الحرار والحرار، وربما جمع بالواو والنون فقول حرون، كما قالوا أرضون، وإحرون أيضاً^(٥)، وهي قشرة بركانية تغطي المدينة من جهاتها الثلاث الشرقية والغربية والجنوبية، وكان من أكثرها شهرة: حرة الوبرة، وحررة واقم، حدث داود بن خالد عن ربيعة بن أبي

(٤) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، ص: ٥٧٤. رقم الحديث: ٣٣٢٣. ومعنى 'لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً' الصرف: التوبة، والعدل: الفدية، وقيل: الصرف النافلة، والعدل: الفريضة، وقيل بل الصرف هو التطوع، بينما العدل الكيل والاكْتِسَاب. انظر: الفراهيدي: العين، ص: ٥١٦؛ ابن منظور: لسان العرب، ٩م، ص: ٢٢٨؛ الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص: ٩٧٥.
(٥) الفراهيدي: العين، ص: ١٩٧؛ ابن منظور: لسان العرب، ٤م، ص: ٢١٠؛ الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص: ٣٦١.

عبد الرحمن عن ربيعة يعني ابن الهدير، قال: ما سمعت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يُحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً قط غير حديث واحد، قال: قلت: وما هو؟ قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريدُ قبور الشهداء حتى إذا أشرفنا على حرة واقم، فلما تدلَّينا منها فإذا قبور بمَحْنِيَّة، قال: قلنا: يا رسول الله! أقبور إخواننا هذه؟ قال: "هذه قبور أصحابنا، فلما جئنا قبور الشهداء قال: "هذه قبور إخواننا"^(١).

وحرة قباء، وحرة شوران، وحرة فذك، وحرة ليلى، وحرة معصم، وحرة واقم، وحرة الوبرة، واللابتان^(٢).

كما اشتهرت المدينة بكثرة الوديان فيها، ومن أشهرها:

وادي العقيق: وسمي بالعقيق: لحرمة موضعه ولأن السيل عرق في الحرة أي شق وقطع، وفيه عيون ونخل^(٣)، والعقيق: واد مبارك أحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: حدثني النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني الليلة آتٍ من ربي وهو بالعقيق أن صلِّ في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة وحجة^(٤)، وقد أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم صيده، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كنت أصيد الوحش وأهدي لحومها إلى

(١) أبو داود: سنن أبو داود، كتاب النكاح، باب زيارة القبور، ص: ٢٩٦. رقم الحديث: ٢٠٤٣.

(٢) الفيروز آبادي: المغام المطابة في معالم طابة، ص: ١٠٢-١٠٣-١٠٩-١٠٧-١١٢-١١٤؛ المراغي: تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق: سعيد عبدالفتاح، (مكة المكرمة: مكتبة نزار الباز، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ص: ٢٢٣؛ العياشي: المدينة بين الماضي والحاضر، ص: ١٦١.

(٣) الهمداني: محمد: صفة جريرة العرب، تحقيق: محمد الأكوع، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، ص: ٢٣٦-٢٣٧؛ الحموي: ياقوت: معجم البلدان، تحقيق: محمد مرعشلي، م٣، ج٥، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ص: ٣٤؛ ابن النجار: الدررة الثمينة، ٥٥-٦٥.

(٤) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحض على اتفاق أهل العلم، ص: ١٤٨٩. رقم الحديث: ٧٣٤٣.

رسول الله ﷺ، ففقدني فقال: يا سلمة، أين كنت؟ فقلت: يا رسول الله، تَبَاعَدَ الصيد، فأنا أصيد بصدور قناة نحو ثيب. فقال: لو كنت تصيد بالعقيق لشيئتك إذا خَرَجْتَ، وتلقيتُكَ إذا جِئْتَ، إني أحبُّ العقيق^(٥).

وادي بطحان: عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنَّ بَطْحَانَ على ترعة من تُرع الجنة"^(٦). ويأتي من الحرة العليا، وهو مسيل يمر داخل المدينة من جنوبها إلى شمالها^(٧).

وادي مهزور^(٨): يأتي هذا الوادي من حرة شوران وكان يمر بالمسجد النبوي والبقيع^(٩)، فعن أبي مالك بن ثعلبة بن أبي مالك، عن أبيه قال: "قضى رسول الله ﷺ

(٥) ابن شبه: تاريخ المدينة المنورة، ص: ج ١، ١٧١؛ ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، ٢٤٢؛ الفيروز آبادي: المغام المطابة في معالم طابة، ص: ٢٦٩.

(٦) ابن شبه: تاريخ المدينة المنورة، ج ١، ص: ١٦٦.

(٧) ابن زباله: أخبار المدينة، ٢٢٦؛ الحموي: معجم البلدان، ١، ج ٢، ص: ٣٥٢؛ المراغي: أبو بكر بن الحسين: تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، (مكة المكرمة: مكتبة نزار الباز، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)، ص: ١٨٠؛ السمهودي: وفاة الوفاء، ج ٣، ص: ١٠٧١.

(٨) **مَهْزُور:** الهُزْر: شدة الضرب بالخشب، ويعني المتقحم في البيع والإغلاء، يقال: هزرت له في البيع بمعنى أغليت، و مَهْزُور: اسم وادي في الحجاز لبني قريظة، وكانت لهم فيه قلاع، وماء وادي مهزور: يأتي من بني قريظة، وسيل صدره من حرة شوران، يصب في أموال بني قريظة، ثم يأتي بالمدينة فيسقيها، ويمر في مسجد رسول الله ﷺ ثم يسكب في زغابة، ويلتقي هو وبطحان حيث تلتقي جميع السيول. انظر: ابن زباله: أخبار المدينة، ص: ٢٢٨؛ ابن شبه: عمر: تاريخ المدينة المنورة، حققه: محمد شلتوت، ج ١، (مكة المكرمة: دن، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م)، ص: ١٧٠- ١٧١؛ الحموي: معجم البلدان، ٤، ج ٨، ص: ٣٤٨؛ المطري: جمال الدين: تاريخ المدينة الشريفة المسمى "التعريف بما آنتست الهجرة من معالم دار الهجرة"، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، (مكة: مكتبة مصطفى الباز، د. ت)، ص: ١٣٨؛ ابن منظور: لسان العرب، ٥، ص: ٣٠٨؛ السمهودي: نور الدين: وفاة الوفاء، تحقيق: محمد عبد الحميد، ٢، ج ٣، (بيروت: دار

في مَهْزُور ووادي بني قريظة: أن الماء إلى العقبين، لا يَحْبَسُ الأعلى على الأسفل ويحبس الأسفل على الأعلى. فعن جعفر عن أبيه قال: قضى رسول الله ﷺ في سَيْلِ مَهْزُورٍ، أن لأهل النخل إلى العقبين، ولأهل الزرع إلى الشراكين، ثم يرسلون الماء إلى من هو أسفل منهم^(١).

وادي قناة: يقول عنه ابن زبالة سيل قناة إذا استجمع يأتي من الطائف من وج، ويعتبر من فحول أودية العرب^(٢). روي عن شريح بن هانئ الشيباني - هكذا قال أبو غسان - أنه قدم على عمر بن الخطاب ﷺ ومعه امرأته أم الغمر، فأسلمت ففرق بينهما عمر ﷺ، فقال: "يا أمير المؤمنين، اردد علي زوجتي". فقال: "إنها قد أسلمت، ولا تجل لك إلا أن تُسلم فأردّها عليك". فنزل شريح بقناة، فأقام بها وقال:
 ألا يا صاحبي ببطن وجٍّ رَوَاحاً، لا أرى لكُمَا مُقَامَا
 ألا تَرِيَانُ أمَّ العَمْرِ أَمَسَتْ قَرِيباً لا أَطِيقُ لَهَا كَلَامَا
 فجعل بطن قناة بطن وج، لأن السيل يأتي منه^(٣).

إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ-١٩٥٣م، ١٠٧٦.

(٩) الحموي: معجم البلدان، م٤، ج٨، ص: ٣٤٨؛ الفيروز آبادي: المغام المطابة في معالم طابة، ص: ٣٩٧.

(١) ابن شبه: تاريخ المدينة المنورة ج١، ص: ١٧١؛ المراغي: تحقيق النصرة، ص: ٢٢٨؛ المطري: تاريخ المدينة الشريفة، ص: ١٣٨-١٧٢.

(٢) أخبار المدينة، ٢٢٧.

(٣) الواقدي: محمد: المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ج١، ط٣، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ص: ٥٤٢-٩٦٣؛ ابن شبه: تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص: ١٧٢؛ الحموي: معجم البلدان، م٤، ج٧، ص: ٩١-٩٢؛ السمهودي: وفاء الوفاء، م٢، ج٣، ١٠٧٤.

(٤) **وادي الرانونة:** وقد ذكره ابن شبة باسم رانون، ويأتي من مقمة في جبل يمانى غير، ويصب على قرين صريجه، ثم على سد عبد الله بن عمرو بن عثمان انظر: تاريخ المدينة، ج١، ص: ١٦٨.

الرانوناء:^(٤) وادي الرانوناء - وقيل: وادي الرنونااء بحذف الألف بعد الراء- يسيل من ناحية جبل عير ويلتقي بوادي بطحان، والمعروف باسم سيدنا حمزة رضي الله عنه^(٥)، وهناك أودية أخرى متعددة في المدينة.

ومقابل أودية المدينة اشتهرت عدد من الجبال، ومن أهمها: جبل القلادة، جبل المقشعر، جبل صاوي، وجبل الكويرة، جبل برام، وجبل عسيب، جبال كشف، جبل مكران، جبل آرة، جبل أحد، جبل عينين، جبل عير، جبل مخيض، جبل غريب، جبل ثور، جبل بني عبيد، جبل سلع، جبل الراية، جبل ذباب، جبل ميطان^(٦).

وقد احتاجت البيئة التي يشح فيها الموسم المطري إلى الآبار أيضا، فذكرتها المصادر منها: بئر غرس: نقرأ في الطبقات أن بئر غرس من عيون الجنة، وأن ماؤها أطيب المياه وكان رسول الله ﷺ يستعذب له منها، فروى ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان جالس على شفير بئر غرس فقال: "رأيت الليلة أني جالس على عين من عيون الجنة يعني هذه البئر"^(١). و"غسل النبي ﷺ ثلاث غسالات بماء سدر في قميص وغسل من ماء يقال لها: الغرس بسعد بن خيشمة بقاء، وكان يشرب منها"^(٢).

(٥) ابن زبالة: أخبار المدينة، ص: ٢٢٧-٢٢٨؛ المراغي: تحقيق النصر، ص: ٢٢٧؛ الهمداني: صفة جزيرة العرب، ٢٦٣؛ السمهودي: وفاء الوفاء، م ٢، ج ٣، ص: ١٠٧٢؛ الخياري: أحمد ياسين: تاريخ معالم المدينة المنورة، (الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، ص: ٢٩٠.

(٦) الحموي: معجم البلدان، م ٤، ج ٧، ص: ١٢١-٣٠٦؛ المطري: تاريخ المدينة الشريفة، ص: ١٤٢-١٤٨-١٤٩-١٥١-١٦٥؛ المراغي: تحقيق النصر، ٢٢٨؛ المرجاني: بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار، م ١، ص: ٣٣١-٣٣٢.

(١) ابن سعد: ج ١، ص: ٥٠٤.

(٢) ابن شبة: تاريخ المدينة المنورة، ج ١، ص: ١٦٢؛ السمهودي: وفاء الوفاء، م ٢، ج ٣، ص: ٩٧٨.

بئر البصة^(٣): روى ابن زبالة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى أبا سعيد فقال: "هل عندك سدر أغسل به رأسي فإن اليوم الجمعة". قال: "نعم". وأخرج له سدرًا وخرج معه إلى بئر البصة فغسل صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراقبة شعره في بئر البصة^(٤).

بئر بضاعة^(٥): روى ابن شبة وغيره عن سهل بن سعد قوله: "سقيت الرسول صلى الله عليه وسلم بيدي من بئر بضاعة^(٦): وفي موقع البئر أفتى النبي عليه الصلاة والسلام: "بأن الماء طهور ما لم يتغير"^(٧).

بئر أريس^(٨): جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قف بئر أريس وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر، وجاء أبو بكر فجلس إلى جانبه على يمينه ودلى ساقيه كما فعل

(٣) **بئر البصة**: بفتح الباء وفتح الضاد المشددة، وقيل: البصة، وهي بئر قريبة من البقيع، وهي على الطريق الماضي إلى قباء، وهدمها السيل وطمرها. انظر: ابن زبالة: أخبار المدينة، ص: ٢١٣؛ السمهودي: وفاء الوفاء، ٢م، ج٣، ص: ٩٥٤.

(٤) ابن زبالة: أخبار المدينة، ٢١٣؛ المرجاني: بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار، ١م، ص: ٣١٢-٣١٢؛ السمهودي: وفاء الوفاء، ٢م، ج٣، ص: ٩٥٤؛ الفيروز آبادي: المعجم المطبوع في معالم طابة، ص: ٣٠.

(٥) **بئر بضاعة**: بضم الموحدة على المشهور، ويحكى كسرهما، ويفتح الضاد المعجمة، وبالعين المهملة بعدها هاء، وهي بئر تقع غربي بئر حاء إلى الجهة الشمالية بينهما غلوة سهم. انظر: ابن زبالة: أخبار المدينة، ص: ٢١٤؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص: ٥٠٣-٥٠٤.

(٦) ابن شبة: تاريخ المدينة، ج١، ١٥٧؛ المراغي: تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، ١٩١.

(٧) ابن زبالة: أخبار المدينة، ٢١٤؛ السمهودي: وفاء الوفاء، ٢م، ج٣، ص: ٩٥٦.

(٨) **بئر أريس**: بفتح الهمزة، وكسر الراء وسكون المثناة التحتية، وإهمال آخره، وتنسب إلى رجل من يهود يقال له: أريس، ومعناها بلغة الشام الفلاح. انظر: المطري: تاريخ المدينة، ١٢٣؛ الإسفراييني: سعد الله بن عمر: زبدة الأعمال، (مكة المكرمة: مكتبة نزار الباز، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ص: ٢١٧؛ السمهودي: وفاء الوفاء، ٢م، ج٣، ص: ٩٤٢.

رسول الله ﷺ، وجاء عمر فجلس على يسار النبي ﷺ ودلى رجله في البئر كما فعل أبو بكر، وجاء عثمان فوجد القف قد ملئ فجلس وجاههم في الشق الآخر من القف، وقد بشر النبي ﷺ الثلاثة بالجنة^(٩). وروى البخاري من حديث أنس ﷺ قال: "كان خاتم النبي ﷺ في يده، وفي يد أبي بكر بعده، وفي يد عمر بعد أبي بكر، فلما كان عثمان جلس على بئر أريس قال: فأخرج الخاتم، فجعل يعبث به، فسقط. قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فنزح البئر، فلم يجده"^(١٠).

بئر السقيا: وهي مقابلة لمسجد قباء وعندها مزارع، ويستقى منها، وماؤها عذب^(١١)، وروي عن الواقدي أن أبا أيوب الأنصاري ﷺ حينما نزل عنده النبي ﷺ كان يستعذب له الماء من بئر مالك بن النضر والد أنس، ثم كان أنس وهند وحارثة أولاد أسماء يحملون الماء لبيوت نسائه من بئر السقيا، وكان رباح عبد النبي ﷺ يستقي له من بئر السقيا مرة ومن بئر الغرس مرة^(١٢). ونقرأ عن هذه البئر ما روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها "أن النبي ﷺ كان يُسقى له الماء من بئر السقيا"^(٢).

(٩) الحموي: معجم البلدان، م، ١، ص: ٢٣٩؛ السمهودي: وفاء الوفاء، م، ٢، ج، ٣، ص: ٩٤٦.

(١٠) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: اللباس، باب: هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر، ص: ١٢١٨ - ١٢١٩. رقم الحديث: ٥٨٧٩.

(١١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج، ١، ٥٠٣ - ٥٠٦؛ المطري: تاريخ المدينة الشريفة، ١٥٩؛ ابن النجار: الدرر الثمينة، ٥٩؛ الفيروز آبادي: المغام المطابة في معالم طابة، ص: ١٧٩.

(١) الواقدي: المغازي، ج، ١، ص: ١١٤.

(٢) ابن شبة: تاريخ المدينة، م، ١، ١٥٨؛ السمهودي: وفاء الوفاء، م، ٢، ج، ٣، ٩٧٢؛ العياشي: إبراهيم بن علي: المدينة بين الماضي والحاضر، ط، ٢، (المدينة: مكتبة الثقافة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، ص: ١٧٧.

بئر حاء^(٣): وقد ورد في الصحيح أن أبا طلحة بن سهل رضي الله عنه كان أكثر الناس مالا في المدينة من نخل، وكان أحب أمواله إليه بئر حاء، وكانت مستقبلة المسجد النبوي وكان صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله بئر حاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت الآية الكريمة: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾^(٤)، قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إن أحب أموالي إلي بئر حاء، وأنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَخَّ^(٥)!! ذَلِكَ مَالٌ رَائِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَائِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ». فَقَالَ: أَفْعَلُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفَسَّمَهَا فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ^(٦).

بئر رومة: وهي بئر عثمان، وقد اشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه من يهودي على مرحلتين، نصفها الأول باثني عشر الف درهم، والثاني بثمانية آلاف درهم، وقد

(٣) **بئر حاء**: وجاءت في لفظ آخر بئر حاء، والبئر حاء: مصدر مشتقة من الفعل برح: أي زال عنه وصار في البراح، وبرح الأرض: تركها، والبئر حاء في اللغة: الأرض الظاهرة المنكشفة، وهي بستان كبير بجوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وهذه الأرض تُعرف بقصر بني جديلة. انظر: الحموي: معجم البلدان، ١م، ١ج، ٥٢٤؛ معجم البلدان، ١م، ١ج، ٢، ٢٣٩ - ٤١٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ٢م، ٤٧٨؛ الإسفرائيني: زبدة الأعمال، ٢١٨؛ السمهودي: وفاء الوفاء، ٢م، ٣، ٩٦٥.

(٤) سورة آل عمران: الآية: ٩٢.

(٥) **بَخَّ**: بوزن بل، وهي كلمة فخر، تقال عند المدح والرضا بالشيء، والتكرار للمبالغة. انظر: الفراهيدي: العين، ٥٨؛ ابن منظور: لسان العرب، ٣م، ٦؛ الفيومي: المصباح، ٣٧.

(٦) البخاري: صحيح البخاري، في كتاب الوصايا، باب إذا وقفت أرضاً ولم يبين الحدود فهو جائز، ٥٧٧. رقم الحديث ٢٧٦٩؛ مؤلف مجهول: مخطوطة: فضائل ومعالم مكة والمدينة، ص: ٧٢.

انصاع عثمان بن عفان ﷺ لرغبة الرسول عليه الصلاة والسلام في شراء البئر من اليهودي، فقال رسول الله ﷺ: "من يشري رومة ويجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها شرب في الجنة"^(٧).

بئر العهن: يقول السمهودي عنها أنها بئر اليسير، وأن رسول الله ﷺ نزل عليها، وكان اسمها عسرة فسمها اليسيرة وأنه توضعاً بها.. وأنها من منازل بني أمية من الأنصار^(٨).

وبئر إهاب: وهي بالحرّة، وأيضا بئر الأعواف، وبئر حلوة، وبئر أبي عينه، وبئر القراصنة، وبئر جشم، وبئر سميحة، وعين الشهداء، وعين الحفيف، وعين النبي ﷺ، وبئر عين الأزرق، وبئر عروة، وبئر أنس بن مالك^(٩)، وغيرها.

وأيضاً يبدو أن المدينة كانت ذات غابات في العهد النبوي الشريف فشكل ذلك أحد عناصر البيئة في المدينة، فمن الحدائق المشهورة: حدائق العقيق، وحدائق الناعمة، وحدائق النويعة بالعوالي، وحدائق ضاحية قربان، وقباء والعنابس^(١).

(٧) ابن زبالة: أخبار المدينة، ص: ٢١٦؛ الحموي: معجم البلدان، ١م، ج ٢، ص: ٢٤٠؛ المراغي: تحقيق النصرة، ٢١٣.

(٨) المرجاني: بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار، ١م، ص: ٣١٨؛ السمهودي: وفاء الوفاء، ٢م، ج ٣، ٩٧٧.

(٩) ابن زبالة: أخبار المدينة، ٢١٣؛ المرجاني: بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار، ١م، ص: من صفحة ٣٠٢ إلى صفحة ٣١٩؛ الفيروز آبادي: المغام المطابة في معالم طابة، من صفحة ٢٨ إلى صفحة: ٤٩.

(١) ابن زبالة: أخبار المدينة، ٢٤٤؛ ابن شبة: تاريخ المدينة، ج ١، ١٦٦؛ الحموي: معجم البلدان، ٣م، ج ٦، ص: ٣٤٠؛ ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، ٢٤٢؛ ابن النجار: الدرّة الثمينّة، ٥٧-٥٨؛ السمهودي: وفاء الوفاء، ٢م، ج ٣، ١٠٨٦؛ المرجاني: بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي ﷺ المختار، ١م، ص: ٢٦٣-٢٦٤-٢٦٥.

الغاية

كانت البيئة جزءاً أساسياً من نظرة العقيدة الإسلامية التكاملية الشاملة إلى الحياة والكون ولذلك فهي من صميم التشريع والأحكام والقواعد الإسلامية، وهذا ما أصلته السيرة النبوية قولاً وفعلاً وتقريراً، فالعناية بالبيئة في المنهج النبوي أسلوب حياة مكلف به المسلم وغير المسلم سواء في العهد النبوي أو في العصور اللاحقة، وسواء في دار الإسلام أو في أي مكان على الأرض، وبذا فقد فاق المنهج الإسلامي المنهج الغربي الحديث القائم على النفعية التي تستنزف مقدرات البيئة وتخل بمكوناتها الحيوي. وتأسيساً على هذا يطرح الإسلام مسألة التوازن بين الحفاظ على البيئة وعمارة الأرض والرفق بمقدراتها. فانسجم مفهوم البيئة لغة واصطلاحاً مع النظرة الإسلامية القائمة على عمارة الأرض، واستخلاف الإنسان فيها وفق محكمات الضوابط الأخلاقية والدينية، وكان للمسلمين في رسول الله ﷺ قدوة حسنة حيث كان رفيقاً بالبيئة لصيقاً بها مما رفع من مستوى السلوك والوعي البيئي عند المسلمين في المدينة وفق منظومة جماعية واعية ترتبط بمصلحة الناس الصحية والمجتمعية والنفعية المباشرة في الحفاظ على الكرامة الإنسانية انسجاماً مع المقاصد التي فرضها الإسلام في الحفاظ على دين الإنسان ونفسه وعقله ونسله وممتلكاته، وفي هذا تسامٍ وتفوق على النظرة الغربية التي تبتغي المصلحة الذاتية والرجحية في السلوك الثقافي البيئي بينما حثت السنة النبوية الشريفة على المحافظة على النظم البيئية وذلك بعدم تغيير العوامل الطبيعية المتعلقة بالهواء والماء والتربة واستنزاف الموارد الطبيعية وإفسادها، وهذا سعي إلى الإحساس بالبيئة والتفاعل معها بكل أنساقها من ماء وهواء وتربة وتنوع حيوي.

أما في مسألة استصلاح الأرض وزراعتها فيعتبر النهج النبوي حالة ريادية متقدمة في الفهم البيئي، فلم يكتف رسول الله ﷺ بترغيب المسلمين بزراعة الأرض واستصلاحها فقط، بل شرع لذلك، حيث أقام عليه الصلاة والسلام نظام المحميات الطبيعية النباتية والحيوانية، وحمى عليه السلام موارد الأرض من الاستخدام الجائر للآبار وعيون المياه، وقد جاءت الرؤية النبوية في ترسيخ الحمى والمحميات في أن الإنسان ممكن أن يكون هو السبب في الخلل البيئي أو في حفظ توازن البيئة.

وفي نهاية هذا البحث يمكننا وضع نقاط جوهرية لاهتمام الإسلام بالبيئة تتمثل في الآتي:

- حرم الإسلام الاعتداء على المرافق العامة، فمنع تلوث المياه كما منع التبول والتغوط في المياه والطرقات العامة.
 - الدعوة إلى النظافة العامة في البدن والثوب وموضع العبادة وغيرها.
 - حجب الإسلام إبعاد الأذى عن الطرقات واعتبر ذلك صدقة بل سببا في دخول الجنة.
 - إعمار الأماكن غير العامرة، والتشجيع على استزراع الأرض حتى لو كان الغارس لا يرجو أن يمتد به الأجل لكي يجني ثمرة ما غرس.
 - تحريم وتحريم الاعتداء على المزروعات النافعة واجتثاثها من الأرض لغير ضرورة.
 - نظر الإسلام برفق إلى الحيوان واعتبر الإحسان إليه من أسباب دخول الجنة.
 - أرشد الإسلام إلى استهلاك المياه ومن ثم حرم الإسراف في استغلال مصادر البيئة ومواردها بل أمر بالاعتدال في ذلك.
- وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات:

- مؤلف مجهول: مخطوطة: فضائل ومعالم مكة والمدينة وفي النسب الشريف وما يتعلق بالحج وغير ذلك، مكتبة الحرم المكي، رقم المخطوط: ١٩٤.

ثانيا: المصادر:

- القرآن الكريم: سورة آل عمران، سورة: الإسراء، سورة: الأعراف، سورة: الأنبياء، سورة: الأنعام، سورة: الجن، سورة: الحجر، سورة: الحشر، سورة: الذاريات، سورة: الزمر، سورة: الشعراء، سورة: الشورى، سورة: العنكبوت، سورة: ق، سورة: لقمان، سورة: محمد، سورة المؤمنون، سورة الأعراف، سورة: الملك، سورة: النحل، سورة: هود، سورة: يس، سورة: يونس.
- ابن الأثير: علي: أسد الغابة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الإسفراييني: سعد الله بن عمر: زبدة الأعمال، مكة المكرمة: مكتبة نزار الباز، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- الأصفهاني: الحسين بن محمد: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ضبطه وصححه وخرج آياته وشواهد: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هجري - ١٩٩٧م.
- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، جدة: دار ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

-
- أبو البقاء: محمد: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة القبر الشريف، تحقيق: علاء الأزهري وأيمن الأزهري، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
 - الترمذي: محمد: جامع الترمذي، طبعة مصححة ومرقمة ومرتبة على حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف، بإشراف ومراجعة: صالح آل الشيخ، الرياض: دار السلام، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
 - سنن الترمذي، تحقيق: صدقي العطار، كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في النظافة، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
 - ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٧ هجري، ١٩٨٧ م.
 - الحموي: ياقوت: معجم البلدان، تحقيق: محمد مرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
 - ابن حنبل: أحمد: مسند الإمام أحمد، حققه، وضبط نصه: أيمن الزامل، وأحمد عيد، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
 - أبو داود: سليمان: سنن أبو داود، طبعة مصححة ومرقمة ومرتبة حسب المعجم المفهرس وتحفة الإشراف ومأخوذة من أصح النسخ ومذيبة بفهرس لتراجم الأبواب وأطراف الأحاديث والآثار من قبل طلبة العلم، بإشراف ومراجعة: الشيخ صالح آل الشيخ، الرياض: دار السلام، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المفضل، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ضبطه وصححه وخرج آياته وشواهد: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هجري، ١٩٩٧ م.
- الرازي: محمد: مختار الصحاح، ترتيب: محمود خاطر، تحقيق وضبط: حمزة فتح الله، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ-١٩٩٢ م.
- ابن زبالة: أخبار المدينة، جمع وتوثيق ودراسة: صلاح بن سلامة، المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م.
- ابن سعد: محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، بيروت: دار صادر، د.ت.
- السمهودي: نور الدين: وفاء الوفاء، تحقيق: محمد عبد الحميد، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤ هـ-١٩٥٣ م.
- ابن شبة: عمر: تاريخ المدينة المنورة، حققه: محمد شلتوت، مكة المكرمة: د.ن، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩ م.
- الطبراني: سليمان: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤ م.
- المعجم الأوسط، القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م.
- الفراهيدي: الخليل: كتاب العين، طبعة جديدة فنية منقحة، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م.
- الفيروز آبادي: محمد: المغام المطابة في معالم طابة، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٠ هـ-١٩٦٩ م.

-
- الفيروز آبادي: محمد: القاموس المحيط، اعتنى^١ به ورتبه وفصله: حسان عبد المنان، بيروت: بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م
 - ابن ماجه: محمد القزويني: سنن ابن ماجه، إشراف ومراجعة: صالح آل الشيخ، الرياض: دار السلام، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
 - مالك: ابن أنس: الموطأ، تحقيق: محمد عبد الباقي، ط٢، كتاب الأفضية، باب القضاء في المرفق، القاهرة: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
 - المراغي: أبو بكر بن الحسين: تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، مكة المكرمة: مكتبة نزار الباز، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
 - المرجاني: عبد الله: بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار، دراسة وتحقيق: محمد فضل، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
 - مسلم: مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، طبعة ممتازة مقارنة مع عدة طبعات، ومقدمة ترقىما مسلسلًا مع ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، مع الإشارة إلى^١ مواضع التكرار، كتاب الألفاظ، باب استعمال المسك، الرياض: دار السلام، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
 - المطري: جمال الدين: تاريخ المدينة الشريفة المسمى "التعريف بما آنتت الهجرة من معالم دار الهجرة"، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، مكة: مكتبة مصطفى الباز، د. ت.
 - المقرئ: أحمد: المصباح المنير، طبعة بلونين ميسرة، بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

- المناوي: محمد عبد الرؤوف: فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- ابن منظور: محمد: لسان العرب، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه: عامر حيدر، راجعه: عبد المنعم إبراهيم، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- ابن النجار: الدررة الثمينة في أخبار المدينة، قابل أصوله: وعلق عليه: حسين شكري، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت.
- النووي: محيي الدين: شرح صحيح مسلم، اعتناء وتحقيق: عادل بن سعد، كتاب الحج، باب فضل المدينة، القاهرة: دار ابن الهيثم، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- الهمداني: محمد: صفة جريرة العرب، تحقيق: محمد الأكوع، صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- الواقدي: محمد بن عمر: محمد: المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

ثالثاً: المراجع:

- الألباني: محمد بن ناصر: الترغيب والترهيب، ط٥، الرياض: مكتبة المعارف، د. ت.
- الجميلي: السيد الجميلي: الإسلام والبيئة دراسة علمية إسلامية طبية، القاهرة: مركز الكتاب للنشر، ط١، ١٤١٧هـ جري - ١٩٩٦م.
- حاتوغ: علياء: أبو دية: محمد: علم البيئة، عمان: دار الشروق، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- حافظ: عبد السلام هاشم: المدينة المنورة في التاريخ، دراسة شاملة، ١٤٠٢ هجري - ١٩٨٢م.
- حافظ: علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ط٣، جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، ١٤١٧ هجري - ١٩٩٦م.
- الحمودي: فهد: حماية البيئة والموارد الطبيعية في السنة النبوية، الرياض: كنوز اشبيليا، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- الخياري: احمد ياسين: تاريخ معالم المدينة المنورة، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- الزوكة: محمد خميس: البيئة ومحاور تدهورها وآثارها على صحة الإنسان، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م.
- السلوم: يوسف: البيئة والتنمية، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- شراب: محمد: المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي، بيروت: دار الشامية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- الشربوني: محمد عبد الرحمن: الإنسان والبيئة، ط٣، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- صباريني: محمد: البيئة إطارها: ومعناها - سلسلة قضايا بيئية، الكويت: جمعية حماية البيئة الكويتية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- عودات: سناء: الجغرافيا البيئية، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- العياشي: إبراهيم بن علي: المدينة بين الماضي والحاضر، ط٢، (المدينة: مكتبة الثقافة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م)، ص: ١٧٧.
- الغضبان: محمد منير، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ط٦، الأردن: الزرقاء، مكتبة المنار، ١٤١٠ هجري- ١٩٩٠م.
- الفريجات: غالب الفريجات: مؤشرات وقضايا التربية البيئية، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ١٤٢٨ هجري- ٢٠٠٨م.
- الفقهي: محمد عبد القادر الفقهي، البيئة: مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث "رؤية إسلامية"، القاهرة: مكتبة ابن سينا، ١٤١٤ هجري، ١٩٩٣م.
- مرسي: محمد مرسي محمد: الإسلام والبيئة، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٠ هجري- ١٩٩٩م.
- مطوع: إبراهيم عصمت: التربية البيئية في الوطن العربي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

-
- وزيرى: يحيى: العمارة الإسلامية والبيئة، الكويت: مطابع السياسة، ١٤٢٥ هجرى - ٢٠٠٤م.
 - ياسين: عبد الله المنزلاوي: البيئة من منظور إسلامي، جدة: مكتبة تهامة، ١٤٢٨ هجرى - ٢٠٠٨م.

رابعاً: الدوريات:

- الحريقي: فهد بن نويصر: "دور المسجد في تشكيل النسيج العمراني وتأكيده هوية المدينة الإسلامية المعاصرة، من سجل ندوة عمارة المساجد"، المجلد العاشر، الرياض: كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، ١٤٢٠ هجرى، ١٩٩٩م.
- سردار: ضياء الدين سردار، "نحو نظرية إسلامية عن البيئة"، مجلة المسلم المعاصر، السنة ١٥، العدد ٥٩، ١٤١٢ هجرى ١٩٩١م.
- الشعبي: فيصل بن أحمد بن عابد: التخطيط الإداري في العهد النبوي المدني، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد والإدارة، م١٥، ع١، ١٤٢٢ هجرى-٢٠٠١م.
- وافي: عبد المجيد وافي: "المنبر النبوي"، مجلة منبر الإسلام، العدد ٣ السنة ٢٣، القاهرة، ١٣٩٤ هجرى، ١٩٧٤م.
- وزيرى: يحيى: العمارة الإسلامية والبيئة، الكويت: مطابع السياسة، ١٤٢٥ هجرى - ٢٠٠٤م.

الاهتمام بالبيئة في عهد رسول الله ﷺ' العهد المدني دراسة تحليلية' د. نورة بنت أحمد الخارثي ٣٠١

خامسا: الندوات:

الفاقي: محمد عبد القادر: ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية،
الندوة العلمية الدولية الثالثة للحديث الشريف حول: القيم الحضارية في السنة
النبوية، الأمانة العامة لندوة الحديث، www.nabialrahma.com.